

شاعر عربي يطلق الرصاص على نفسه احتجاجاً على مذبحة لبنان

من الخنـــــــادق ... إلى الفنـــــــادق :

مأســـاة أمّـــة في مأســـاة شاعـــر

بقلم الدكتور محمد جابر الانصاري

الأمم تصهرها المحن ، فتخرج منها بمعدن اصفى ، بعد ضراوة الحريق .. هذه قاعدة عامة اثبتتها شواهد تاريخية عديدة .

ولعل من اهم الشواهد التي تعنينا نحن العرب ، لاننا ندفع ثمنها من وجودنا وكرامتنا كل يوم ، التجربة التاريخية التى مر بها اليهود عبر تاريخهم ، وكيف عاشوا فى اختبارات متتالية اشبه ما تكون بالكوارث المتعاقبة جيلا بعد جيل . فلم يتخلوا عما كانوا يعتقدونه ويأملونه ، رغم استحالته تاريخيا طوال عهود تاريخهم المنصرم ، حتى واتتهم الفرصة ووافاهم الظرف التاريخى فتحالفوا مع قوى الاستعمار العالمى وعرفوا كيف يعبئون قواهم ، ويستغلون نقاط ضعفنا ، ليحققوا حلمهم التاريخى الذى تقادم عليه العهد ، بعد فترة قصيرة جداً من التجربة المهلكة التى مروا بها فى المانيا النازية حيث تصور الكثيرون انهم لن تقوم لهم قائمة على الاطلاق ..

واليوم ، وفى خلال دخان المحرقة النازية التى اقامتها اسرائيل للشعب الفلسطيني وللشعب اللبناني (والتى تنتظر كل شـــعب عربى آخر مع اتســـاع المخطط الصهيوني) ، نقول من خـــلال هذه المحرقة الرهيبة ربما تصـــور الكثيرون ان اسرائيل قد نجحت فى القضاء على روح المقاومة فى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، ولكن إذا كان لتجارب التاريخ من معنى ، فان هذه المحرقة يفترض ان تكون المصهر الـــذى اذاب الشوائب والترسبات المحيطة بالمعـــدن الفلسطيني والعربى ، ليخرج هذا المعدن اشد نقاء واكثر صلابة ، إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب . اقول : « يفترض ان .. » والباقى على الارادة العربية .

كل شىء يحترق

وانا اعلم تماماً ، انه من اصعب الاشياء على الانسان العربى ان يتفاءل هذه الايام ، بل ان يتجنب التشاؤم القاتم المهلك .. ومع الأيام الأولى للغزو الاسرائيلى للبنان ، انتحر الشاعر العربى اللبناني الكبير خليل حاوي ، شاعر الانبعاث والخصب ، لانه راى كل شىء يحترق دون ان يتحرك عصب حي ونبض حي فى هذه الامة يوقف الماساة ويرد على المذبحة .

وقرر حاوي ، بالصفاء والعفـــوية المعهودين فيه ان يصرخ فى الضمائر الناعسة ، لعلها تستيقظ ، فلم يجد أقوى من الانتحار فى زمن أصبح فيه القتل لغة



التعاطى والتعبير بدل الكلمة والفكرة .

فهل تبلغت الأمة العربية نبا انتحار احد شعرائها الكبـــار ، وهى التى تميز تاريخها برفض الانتحار .. لانه كان تاريخ عمل وصمود ومقاومة وايمان .. ولم يكن خليل حاوي المتشبع بروح امته يفتقد كل ذلك ، ولكنه راى أمته تفتقد ذلك كله فى زمنها الراهن ، وتتنكر لتاريخها ، فاراد بانتحاره وموته ان يكون تذكار الحياة لامته .. الحياة الحرة الكريمة المقبلة مع الغد الآتى .. لقد تبلغنا الرسالة يا خليل ..

فهل تتبلغ امتك رسالة انتحارك ، لتعود إلى رسالة شعرك اى لتعود الى روحها الحقيقية التى كنت احد القلائل الذين عبروا عنها بصدق منذ ايام جدك الكبير ابى الطيب المتنبي الذى كان فى مقدمة من احببت .

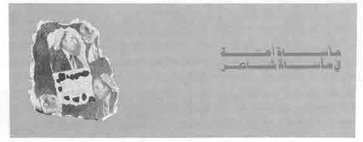
نحن يا خليل ، رغم الانتحار ، ننتظر وننتظر « الانبعاث » كلمتك المحببة ، هو ما زال فى قلوبنا حقيقة ، ازدادت تاكيدا بعد انتحارك لأن انتحارك هو الاستشهاد فى سبيل الانبعاث الحقيقى المقبل ، ولانه الدليل الحي ، كحيوية الدم الذى تدفق من جسدك ، على انه يوجد فى هذه الأمة ضمير واحد حي يشعر بالمهانة الى درجة الانتحار ، رغم كثرة الضمائر النائمة والغارقة فى اللامبالاة واللهو والهروب ومباذل الحياة الذليلة ومباهجها المخزية .

عندما ينتحر شاعر فى أمة من اجـــل قضيتها ، لا يكون ذلك مدعاة ياس ، بل دليلا على بدء دبيب الحياة والحيوية والانبعاث فى الجسم العقيم المتجمد .. هكذا علمنا خليل حاوي .

وعندما يصمد مقاتلون ومقاومون فى خنادقهم حتى الرمق الأخير ، رغم تفوق العدو القتالي ، ورغم تخلى امتهم عنهم ، ويموتون وهم واقفون ، فذلك ايضا دليل انبعاث جديد فى تاريخ الامة . ولا عيب ان يموت الانسان الصامد الفقير بالسلاح الفتاك المتفوق على سلاحه ، ولكن العيب ان يهرب وان تستسلم روحه للغزو ، وسيكون وقوف المقاتلين العرب فى لبنان طيلة اسابيع الغزو ، وامام جيش لم تقف فى وجهه الجيوش التقليدية كل هذا الوقت ،ولم تقاومه كل هذه المقاومة ، نقول سيكون هذا الوقوف التاريخي البطولي ، رغم كل ضحاياه وخسائره ، ورغم التسويات التى فرضت وتفرض على ابطاله ، تحولا تاريخيا حقيقيا فى حياة هذه الأمة طال الزمان ام قصر .. هكذا علمتنا المقاومة الفلسطينية ــ اللبنانية .

الشعب الفلسطيني واللبناني اصغر شعبين من شعوب العرب عدداً . واجها اكبر عدو للعرب عدة وقوة وصلفا .. وكتبا بداية هزيمته المعنوية والروحيـــــــــة والتاريخية .. ومن لا يصدق فليقرا اليوم ما يكتبه مفكرو اليهود انفسهم فى امريكا وأوربا ، بل وفى اسرائيل ذاتها ، عن الخراب والخواء الداخلى الذى أصاب الفكرة الصهيونية والروح الصهيونية والكيان الصهيونى ، وحول اسرائيل إلى مجرد قوة عسكرية غاشمة ، بلا قيم ولا اخلاق ، حتى فى ميزان القيم والأخلاق الغربية التى أعطت اسرائيل معنى وجودها فى البداية .

واذا كان خليل حاوى قد انتحر من شدة سوداوية المأساة العربية ، فان للصورة جانبها الآخر ، وللحقيقة وجهها الآخر ، ومن قلب اسرائيل تظهر شهادة فكرية بقلم



احد قادة اليسار الصهيوني الملتزم بفكرة ارض الميعاد وبفكرة الدولة الصهيونية ، يقول باعلى صوته ، وجيش اسرائيل ما يزال ينشر الدمار فى لبنان ، بان حكومة مناحم بيغن قد كتبت بيدها الآن كارثة الشعب اليهودى ومأساته . وان اليهود قد نجوا من محرقة هتلر ليواجهوا محرقتهم الحقيقية بتصرفاتهم وفعل ايديهم ، وانه بعـــد كل مـــا فعله جيش اسرائيـــل بالفلسطينيين واللبنانيين ، فليس أمـام اسرائيل ما تنتظره فى الغد القريب ، وقبل نهاية الثمانينات ، غير مصير الكارثة والمأساة .

ويمضي المفكر والزعيم الاسرائيلى المذكور قائلا : « لقد تحولنا من دولة اسرائيل على ارض الميعاد إلى مملكة اورشليم الصليبية التى احتلت القلاع والمدن على طول الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط واخذت تزرع فيه الخراب والدمار حتى جاءها صلاح الدين فى حطين » ..

للصبر حدود

وينتهى الى القول بانه يرى حروبا جديدة فى المنطقة سيقودها العرب هذه المرة ، وبقيادة مصر ، نعم بقيادة مصر ، لان الذين ابتسموا لاسرائيل فى كامب ديفيد لن يسعهم ان يواصلوا ذلك بعد ما فعلته اسرائيل من جديد ولكل شىء حدود ، وللصبر حدود ، وللانتظار حدود ، وللنوايا الطيبة حدود . هذا ما قاله زعيم اسرائيلى قبل اسابيع .

وهذا ما يتوقعه اعداؤنا منا . فاللهم اجعلنا عند حسن ظن هؤلاء الاعداء بنا ، ولا تبقنا عند سوء ظننا بانفسنا .

والمهم الا نبقى كما نحن الآن بين هارب يبغى السلامة لنفسه ولا يهمه مصير السفينة الغارقة ، مع انه سيغرق معها بقى فى المقدمة .. ام هرب الى المؤخرة ..

وبين متشائم يائس يرى فى الامر نهاية العالم ، ولا يرى ديناميكية الهبوط ثم الصعود فى مدارج التاريخ ..

المطلوب الآن ، بعد كل الذى حدث ، ورغم كل الذى حدث ان نطرح على انفسنا السؤال الذى تطرحه الامم الحية على نفسها غداة كل كارثة : «والآن ما العمل ؟» ثم ننصرف الى العمل ، دون كثرة ضجيج وبكائيات ، ومناحات ، وقيل وقال ، وتنظير طويل لاطائل وراءه .

هناك فقط حقائق اساسية بسيطة ولكن هامة جدا ، لابد ان نتبينها باقصى قدر من الوضـــــوح من وراء دخـــــان الحـــريق والخرائب :ـ

اولا : ان المشكلة عربية ـ عربية قبل ان تكون عربية ـ اسرائيلية . هناك ازمة عميقة تتناول الوجود العربى كله ، وما لم نعالج هذه الأزمة ونحسمها ، فان قتالنا ضد اسرائيل سيظل مثل قتال المصارع الذى يعانى من نزيف داخلى حاد وهو يحاول التحرك على حلبة المصارعة فى مجابهة خصمه الشرس .

ثانيا : ان ساحة المجابهة هى الساحة العربية كلها شئنا أم ابينا . هذه الساحة قادمة وعلينا ان نعرف كيف نحركها ونوظف طاقاتها . فكلما قصرنا المجابهة على بلد عربى واحد ، وتركناه وحده فى صراع الوجود ضد العدو ، كما فعلنا مع مصر من قبل ، ومع لبنان اليوم ، فان النتيجة لن تكون غير المزيد من الكوراث ، وهذا ما يريده العدو ، إنه يريد الاستفراد والتصفية جبهة بعد جبهة ، وما لم يكن الرد جماعيا من جانب العرب وعلى امتداد وطنهم الكبير كله ، فان الهزيمة ستظل دائما من نصيبهم .

ثالثا : ان خصمنا الأساسى هو امريكا والغرب بعامة ، واسرائيل ليست سوى جسر الغزو ، ومخلب القط ، وما لم نقرر مجابهة العدو الأساسى ، ونستعد لذلك ، ونقتدر عليه ، فان رؤيتنا للمعركة ستظل قاصرة ، ولم تبدا الهزائم العربية إلا بعد رفع الشعار القائل : نحن لانستطيع مناطحة امريكا !! ..

ولكن ما العمل اذا كانت امريكا مصممة على مناطحتنا حتى آخر رجل وامراة وطفل ؟!

رابعا : ان العدو متفوق علينا ، وسيظل متفوقا بالسلاح الحديث وبالقدرة على استخدام جيشه النظامى ، واذا بقينا على اسلوب مجابهته بالجيوش التقليدية والأسلحة المحدودة التى تصل هذه الجيوش من الشرق والغرب ، فان الوضع الحالى لن يتغير ، لابد أن نصل فى النهاية الى النتيجة التى لامهرب منها : وهى ان أى شعب فى العالم الثالث لايستطيع ان يواجه قوة تكنولوجية غازية متفوقة إلا باسلوب حرب الشعب بمعناها الواســـع وطرقها المتعددة . كما فعل الفتناميون بالجيش الأمريكى ، وكما فعل الجزائريون من قبلهم بالجيش الفرنسى ، والأمثلة كثيرة والنماذج التاريخية متعددة ووافرة لمن يريد دراستها والعمل على ضوئها .

خامسا : غير ان اتخاذ هذا القرار وتنفيذه يتطلب التزامات كثيرة وشروطا متعددة لايبدو أن الأطراف العربية قادرة على مواجهتها حتى الآن .

فهذه المواجهة الواسعة الطويلة الأمد تتطلب شد الأحزمة ، وترك الاستهلاك والبذخ ، والاستعداد للتضحية ، وخلق مجتمع الحرب والمشاركة بين الغنى والفقير من شعوب الأمة فى السراء والضراء ، وباختصار ان تكف امتنا عن الانشطار المخجل الذى تعيشه الآن ، حيث بعضها فى الخنادق .. وبعضها الآخر فى الفنادق !

إن المعاناة طويلة طويلة .. ولكن بين انتحار خليل حاوى من سوداوية المأساة ، وتخوف مفكرى اليهود على مصيرهم من صحوة العرب ، ما يضع خيطا ابيض على الخيط الأسود .

د . محمد جابر الأنصارى

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

بقلم : رجاء النقاش

فى سنة ١٩٤٨ انتحر فى مصر مستشرق يهودى كان يعمل استاذا للادب العربى فى جامعة القاهرة ، وكان هذا المستشرق واسمه « بول كراوس » محبوبا من تلاميذه واصدقائه الكثيرين فى مصر ، ذلك لانه كان محبا للعرب مؤيدا لقضيتهم واسع المعرفة بالتراث العربى ، وكان إنسانا بالغ الرقة عميق العاطفة ، وقد حدثنى عنه أستاذى الأديب العالم المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى . وكان الأهوانى معروفا بعلمه ووطنيته وصدق عروبته ، ولذلك كان حديثه عن المستشرق اليهودى عندى موضع ثقة ، وقد قال لى الأهوانى : إن السبب الرئيسى فى انتحار «بول كراوس» هو قيام اسرائيل وحرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب ، وكان « بول كراوس » يعارض قيام اسرائيل ، ويرى فى ظهور هذه الدولة خطرا كبيرا على العرب واليهود معا ، وقد توقع بعد حرب ١٩٤٨ أن يصبح بقاؤه فى مصر صعبا ، وكان قد احب مصر واحب تلاميذه وكتبه فيها ، فاعتبر أن حياته فقدت معناها ، وانتحر محتجا متألما .

تذكرت هذه الحادثة وانا اقرأ فى الصحف نبأ مشابها وهو نبأ انتحار الشاعر العربى اللبنانى الكبير خليل حاوى يوم ٢٠ يونيو الماضى ، احتجاجا على الغزو الاسرائيلى للبنان ، واحتجاجا على سلبية العرب إزاء هذا الغزو ، وكان قد مر على الغزو يوم انتحار الشاعر اسبوعان ، ولم يتحرك العرب فى خلال هذه الفترة لمساعدة اللبنانيين والفلسطينيين بغير الخطب والكلمات واناشيد الاذاعة والتليفزيون وعلب الاغذية المحفوظة ، وقد ترك الشاعر خليل حاوى رسالة يعبر فيها عن المه واحتجاجه ، ولكن هذه الرسالة لم تصلنا ، ومازالت « الرسالة » محاصرة حتى كتابة هذه السطور فى ١٨ يوليو ١٩٨٢ ،

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

مثلها مثل كل شيء فى بيروت الغربية . والحادثان .. حادث انتحار بول كراوس اليهودى سنة ١٩٤٨ ، وحادث انتحار خليل حاوى العربى سنة ١٩٨٢ ، يكشفان عن « مغزى عام » واحد ، ذلك هو الرفض الكامل عند كل إنسان شريف ـ مسلما كان او مسيحيا او يهوديا ـ للنزعة الصهيونية التدميرية التى زرعها الاستعمار الغربى فى الأرض العربية قبل أن يرحل عنها .

ولنترك قصة « بول كراوس » جانبا ، فليست هى موضوع حديثنا اليوم ، ولنقف امام ماساة الشاعر العربى خليل حاوى ، ذلك الفنان الموهوب والانسان الطيب الذى لم يحتمل قلبه ولا عقله ولا ضميره تعقيدات الحياة الصعبة المضطربة من حوله ، فانهار وآثر الانتحار .

مأساة ومذبحة

والذى لاشك فيه أن ماساة لبنان كانت هى الدافع الرئيسى للانتحار عند الشاعر العربى ، وليست المشكلة هى « الغزو الاسرائيلي » وحده ، بل إن المشكلة اكبر من ذلك واشمل واعمم ، ذلك ان الغزو اللبنانى كانت له مقدمات لا تقل عنه قسوة وعنفا . فلبنان منذ سنة ١٩٧٥ لم يعرف السلام او الهدوء والاستقرار ، كان لبنان منذ ذلك الحين بلداً ممزقا تنفجر فيه الحروب الصغيرة فى كل مكان ، وفى اى لحظة من لحظات الليل او النهار ، وكان الانسان فى لبنان يعيش بالصدفة ، ويموت بالصدفة ، ولا ضمان له فى حياته ، ولا كرامة له فى موته ، فقد كان الانسان يموت فى الشارع او فى سيارة او على باب داره او فى مكتب عمله او فى حجرة نومه ، وعندما اتذكر محنة بيروت ، اجد ان كثيراً من الوجوه العزيزة قد لقيت مصرعها فى المذبحة اللبنانية التى ابتدات سنة ١٩٧٥ فالانسانة الطيبة بلقيس زوجة نزار قبانى لقيت مصرعها تحت انقاض السفارة العراقية التى انهارت بعد انفجار سيارة ملغومة على بابها ، وكانت بلقيس تعمل موظفة بالسفارة ، وكانت بعيدة كل البعد عن الانتماء إلى هذه الجماعة المسلحة او تلك ، وباختصار ، فانها كانت « مواطنة عادية » ، ومع ذلك لم تنج من سيف الجزار وانتهت حياتها تحت ركام من الطوب والتراب ، والصحفى الكبير ابراهيم عامر مات محترقا وهو داخل المطبعة يؤدى واجبه عندما هوجمت الصحيفة التى كان يعمل بها فى إحدى ليالى بيروت ، والكاتب المثقف العربى الدكتور عبد الوهاب الكيالى مات فى مكتبه برصاص اطلقه عليه مجهولون فى وضح النهار ، وكان عندما تلقى الرصاص فى صدره يعمل فى دار النشر التى انشاها ، والتى كانت بغير مبالغة اعظم دار للنشر ظهرت فى الوطن العربى كله فى السنوات الاخيرة ، وكان الكيالى مليئا بالحماس والاخلاص والطموح الكبير من أجل خدمة الامة العربية والثقافة العربية .

ومئات ، بل الاف غير هؤلاء ، ممن نعرفهم أو لا نعرفهم ماتوا بطريقة أو باخرى فى دوامة الماساة اللبنانية ، اما الذين عاشوا ونجوا من المذبحة ، فقد عاشوا ونجوا بالصدفة ، وما كان منهم احد يعرف مصيره فى الدقيقة التالية من حياته وقد تعرض الجميع لهذه المحنة ، من « كمال جنبلاط » أشهر والمع شخصية سياسية فى لبنان ، وقد قتل وهو فى طريقه إلى بيته ، إلى أصغر طفل مجهول فى أصغر حارة فى بيروت .

قوة المبادىء

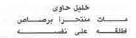
فى هذا الجو الماساوى عاش الشاعر خليل حاوى ، ولم يكن خليل قادرا على أن يستوعب هذه الفوضى غير الانسانية ، فقد كان شاعراً حساساً وكان فى حقيقته شخصية بسيطة لا تجيد إخفاء عواطفها وانفعالاتها ، ولا تحسن السيطرة على أعصابها ، ومن هنا جاء ياس الشاعر وغضبه ، ثم انتحاره ، عندما احس انه لا حيلة له أمام هذا العذاب .

كانت ماساة لبنان هى السبب المباشر فى انتحار الشاعر ، وكان عجز الشاعر عن مواجهة الماساة دافعا قويا لاقدامه على ما فعل من التضحية بحياته وإطلاق الرصاص على نفسه ، وقد قضى الشاعر على حياته وعنده أكثر من فرصة لانقاذ نفسه لو انه تخلى عن مبادئه وافكاره ، فهو مسيحى لبنانى ، وكان باستطاعته ان يرتمى فى احضان حزب الكتائب الذى يدعى أنه يمثل المسيحيين ويحميهم فى لبنان ... كان باستطاعة خليل حاوى ان يتصرف مثل الشاعر المسيحى اللبنانى سعيد عقل الذى يقف فى صف الكتائب واسرائيل وسعد حداد ، ويلقى نتيجة لهذا الموقف كل التكريم والحماية من القوى المعتدية الظالمة . ولكن خليل حاوى على عكس سعيد عقل ، كان مؤمناً بعروبة لبنان ، مؤمناً بعدالة القضية الفلسطينية ، وكان يحس إن إيمانه بالعروبة سوف يمنحه كل القوة والعزم على مواجهة الحياة ، ولكن الموقف العربى الراهن بما فيه من تمزق وانقسام قد خذل الشاعر ، وخذل وطنه الصغير : لبنان ، وهكذا اختار الشاعر أن يطلق الرصاص على نفسه ، لعله بهذا الموقف أن يرفع صوته بالالم والاحتجاج ، حيث لم تكن الكلمات ولا

إن الشاعر لم يجد ما يفعله فى مواجهة الماساة ، فلم تكن كتابة القصائد عملا مقنعا فى ظل الدمار الذى يهدد الحياة والانسان فى لبنان ، ولم يكن موقف « المتفرج » بالموقف الذى يرضى عنه الشاعر بعد أن وجد وطنه يحترق ، والقضية العربية التى امن بها طيلة حياته تتعرض لأعنف الضربات ، ولا احد فى العالم كله يفعل شيئاً لايقاف المذبحة ورد العدوان .

ولاشك ان الانتحار لا يمكن أن يكون حلا للمشكلة ، والعالم الذى لم يتاثر بالاف القتلى الذين راحوا ضحايا المذبحة الاسرائيلية ، ولا بصور الدمار التى نتجت عن الغزو الصهيونى ، ولا بالاطفال الضائعين التائهين الذين لا يجدون طعاما ولا ماوى .. هذا العالم الهادىء البارد الأعصاب ، لن يتاثر بانتحار شاعر وصل





خليل حاوى
مــــات منتحــرا برصـــاص اطلقـــه على نفســـه



كمال جنبلاط
مــات قتيلا فى طريقــه إلى بيته ببلدته « المختـــارة »



عبد الوهاب الكيالى
مــــات فى مكتبـــه برصاص اطلقـــه مجهـــولان



بلقيس العـانى
مـــاتت تحت انقـــاض السـفارة العراقيـة فى بيروت

إلى أقصى حدود اليأس ، فاطلق الرصاص على نفسه .

وليس هناك مزيد من الحديث يمكن تقديمه عن ظروف انتحار الشـــاعر ، فمازالت المعلومات عن ظروف هذا الانتحار محاصرة مع بيروت الغربية ، ولكن دراسة فن الشاعر وشخصيته من خلال قصائده ، سوف تكشف لنا أن الشاعر كان يعانى الوانا متعددة من الصراع ساعدت على أن تضع مثل هذه النهاية الماساوية لحياته .

وقد اتيح لى ان اتعرف على الشاعر منذ سنة ١٩٦٣ ، وان التقى به عدة لقاءات خلال زياراتى المختلفة للبنان ، كما ربطتنى صداقة ادبية خالصة مع خطيبته التى انفصل عنها بسبب ما كان يعانيه من اضطراب وقلق وتوتر عصبى ، وكانت هذه الانسانة الفاضلة ، والاديبة الفنانة ، كفيلة بشخصيتها المخلصة القوية ، أن تغير من نظرة الشاعر المتشائمة إلى الحيـاة ، وتساعده على تخليص روحه من قبضة اليأس التى انشبت اظافرها فى قلبه ، ولكن سوء حظ الشاعر دفعه إلى تدمير هذه العلاقة الوحيدة التى كانت قادرة على إنقاذه .

نزعة انتحارية

كان خليل حاوى شاعرا له قيمته ، وقـد ترك وراءه ثلاثة دواوين هى : « النـــاى والريح » و « نهر الرماد » و « بيادر الجوع » ولم يكن خليل حاوى من المكثرين فى كتابة الشعر ، ولم يكن شعره ـ رغم قيمته وعمقه ـ غنيا بموسيقاه وانغامه ، بل كان شاعرا « خشنا » صعبا ، مليئا بالرموز والاساطير ، ومن هنا فان الشاعر لم يحصل على شهرة واسعة بل كانت شهرته محدودة بدائرة ضيقة من الادباء والقراء المثقفين الذين يصبرون على فهم شعره الصعب ، حتى يتمكنوا من الوصول إلى منابع الجمال فيه .

وإذا كان العامل المباشر فى ماساة الشاعر هو الغزو الاسرائيلى ، وما سبقه من صراعات مزقت لبنان ، وجعلت حياة الانسان فيه رخيصة ، فان شعر خليل حاوى يكشف جوانب اخرى من الصراع ، عاشت كامنة فى نفس الشاعر ، ثم انفجرت كلها بعد احداث لبنان ، فادت بالشاعر إلى الانهيار والدمار .

ويندر ان يندفع فنان كبير إلى الانتحار دون ان تكون لديه بذور من الاستعداد والميل إلى هذه النهاية ، ودون أن يكون ـ فى الاصل ـ ضحية لصراعات لم يستطع أن يصل فيها إلى حل او نتيجة ، وهكذا كان خليل حاوى ، فقد كانت لديه بذور لما يمكن أن نسميه بالنزعة الانتحارية ، وكان واقعا تحت ضغط صراعات لم يجد لها حلا صحيحا فى نفسه وحياته .

وتكشف لنا قصيدة « الناى والريح » عن أول جانب من جوانب الصراع فى نفس الشاعر ، وقصيدة الناى والريح قصيدة طويلة ، وهى القصيدة التى سمى بها الشاعر اسم مجموعة من مجموعـــاته الشعرية الثلاث ، وفى هذه القصيدة نكتشف جزءا من الارضية التى قامت عليها نزعة الشاعر الانتحارية ، فمن خلال هذه القصيدة ندرك ان الشاعر لم يستطع ان يتلاءم مع الحياة ، ولم يستطع ان يجد فى مجتمعه ما يحقق له وجوده بالصورة التى يحبها ويطمئن إليها ، فالفنان فى المجتمعات المتقدمة يستطيع ان يعيش من فنه ولفنه ، ولكن الفنـــان العـــربى كثيرا ما يعجز عن ذلك ، مالم يكن غنيـا ـ من الأساس ـ وقادرا على الاســـتقلال الاقتصادى ، فلا يضطر إلى الخضوع للقيود المفروضة عليه ، ولم يكن خليل حاوى من الاغنياء او القادرين على تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يحرره ، ولم يكن ـ من ناحية أخرى ـ من أصحاب العقلية التجارية الماهرة التى يتميز بها معظم اهل لبنان منذ قديم الزمان ، ومن هنا سقط خليل حاوى بصورة عنيفة فى الصراع بين طبيعته الفنية المتحررة ، وبين وظيفته كاستاذ فى الجامعـــــــة الأمريكية ، وهى الجامعة التى لا يؤمن بها ولا يوافق على السياســـة التى تقف وراءها .

وهنا لابد من الاشارة إلى حقيقة أخرى ساهمت فى إشعال هذا الصراع فى نفس الشاعر ، فما من مؤمن بالعروبة وداعية صادق لها استطاع أن يجد لنفسه مكانا اجتماعيا أمنا فى مجتمع لبنان او استطاع أن يحصل على فرصة حقيقية ، وخاصة إذا اشتغل بالوظائف العامة ، ومن بينها وظيفة أستاذ فى الجامعة ، ففى التكوين الطائفى للدولة اللبنانية ما يقف فى وجه هذا النمط من المؤمنين بالفكرة العربية

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

ويحول دون تقدمهم فى الحياة ، وقد كان خليل كما سبقت الاشارة يستطيع ان يستغل « مسيحيته » فى اجتياز الحواجز والتقدم فى الحياة الاجتماعية ، ولـــكن الشاعر المفكر ، تمسك بعروبتـــه ورفض التخلى عن إيمانه بها ، وقد سمعت ان دوائر حزب الكتائب كانت تعتبره اقرب إلى المسلمين وتشن عليه حملة عنيفة ، ولا تنظر إليه كواحد من المسيحيين بسبب موقفه المنحاز إلى انتماء لبنان العربى ، وهكذا كان إيمان خليل حاوى بعروبته مع مسيحيته ، سببا فى خلق عوائق كثيرة حالت بينه وبين التطور الاجتماعى فى الوظائف والمناصب العامة فى لبنان .

كل هذا الصراع الذى دار فى نفس الشاعر وعقله انتهى به إلى « حالة » من الاحباط فى حياته الشخصية فلم يوفق إلى بناء اسرة رغم انه مات فى الستين او ما يقرب من هذا العمر ، وانتهى به ايضا الى الاحباط العام ، لاحساسه بان مجتمعه ينفجر من الداخل وانه يتخلف ولا يتقدم ، وان الآمال الكبيرة التى بناها على عقيدته العربية ، لم تحقق نتيجة مثمرة له او لبلاده ... ثم جاء الغزو الاسرائيلى فقضى على كل آماله ، ووصل إحساسه بالاحباط إلى اقصى مداه فانهار وانتحر .

الناى والريح

نعود الى قصيدة «الناى والريح» لنقف على الجانب القديم والبذرة الأساسية للصراع فى نفس الشاعر ، وعندما نحاول الدخول الى عالم القصيدة نجد انفسنا امام سؤال يواجهنا فجاة هو : كيف نقرا هذا الشعر ؟ إن هذا السؤال رغم مظهره الساذج البسيط هو مفتاح اساسى لفهم شعر خليل حاوى وغيره من شعراء الجيل الحالى . لان نوع القراءة يشير الى نوع الشعر نفسه ، فاذا اردنا ان نقرا قصيدة للمتنبى مثلا ، او لاى شاعر قديم ، فان المطلوب منا هو ان نعرف الالفاظ الصعبة ، وان نعرف الموضوع الذى قيلت فيه القصيدة ، وأن نعرف الحوادث التاريخية او الأمكنة التى تشير اليها القصيدة .

هذا هو المنهج الذى يجب ان نلتزم به فى قراءتنا للقصيدة العربية القديمة وبعدها نستطيع ان نتذوق قصيدة الشاعر ، وان نعرف ماذا يريد ، وماذا يدور فى نفسه وقلبه ، دون اى صعوبات اخرى على التقريب .

فهل يصلح هذا النوع من القراءة مع شاعر جديد مثل خليل حاوى ؟

إنه لا يصلح بالتاكيد . خاصة مع النماذج الشعرية التى تقوم على الرمز ، والتى تقوم على تصوير حالات نفسية قلقة مليئة بالصراع الداخلى العميق ، ففى هذا النوع من الشعر تختلف المسالة تماما ، قد نقرا القصيدة من اولها الى اخرها دون ان نجد لفظا واحدا صعبا على الفهم ، ولكننا نحتاج الى ان نقف طويلا امام كثير من الالفاظ ، فلو وجدنا لفظ «الريح» مثلا عند شاعر عربى قديم فاننا نعرف انه يريد من اللفظ معناه المباشر فى معظم الأحوال ، ولكننا إذا وجدنا اللفظ نفسه عند شاعر جديد ، فاننا لا نستطيع ان ناخذ المعنى على وجهه المباشر ، بل يجب ان نتانى ونتريث فى محاولة الفهم . فكلمة الريح قد تعنى عند الشاعر معانى عديدة ... قد تعنى الثورة ، او تعنى الانفعال العاصف العنيف ، او تعنى التجربة الانسانية القاسية . على ان فهم الالفاظ ليس هو الصعوبة الاولى فى قراءة الشعر الحديث ففى الشعر القديم نستطيع ان نحدد بسهولة موضوع القصيدة فهذه قصيدة مدح او رثاء ... الخ ، ولكننا فى الشعر الحديث لا نستطيع ان نفعل هذا ، لان موضوع القصيدة عادة يكون اكثر تعقيدا بكثير ، إنه تجربة انسانية ، ومن الصعب تحديد التجربة فى كلمة واحدة بصورة نهائية .

رموز وأساطير

وعندما نقرا قصيدة «الناى والريح» للشاعر خليل حاوى ، نحس ان بناء القصيدة يقوم على الاستعانة الكاملة بالرموز والاساطير ، سواء كانت هذه الرموز والأساطير مستمدة من تراثنا القديم او كانت من ابتكار الشاعر نفسه . ولا يمكننا فهم القصيدة بمجرد الفهم المباشر لما فيها من الفاظ ، فالالفاظ كثيراً ما تاخذ معنى خاصاً بالشاعر وحده ، كذلك ينبغى أن نبحث بنفس التانى والجهد عن التجربة الانسانية التى تعبر عنها ، بل إن هذه التجربة هى اول شىء يجب ان نعثر عليه ، لان التجربة سوف تضىء لنا القصيدة كلها بالفاظها ورموزها .

والتجربة الانسانية التى يعبر عنها خليل حاوى فى قصيدة «الناى والريح» هى تجربة ذاتية عاشها الشاعر عندما كان يدرس فى جامعة «كمبريدج» فى انجلترا ، فقد تعرض هناك الى صراع عنيف ، والصورة الاولى لهذا الصراع قائمة بين «الطبيعة الفنية» التى تدفع الشاعر الى التحرر والانطلاق وبين «الواقع الدراسى» الذى يفرض عليه نظاما قاسيا ويفرض عليه ان يدفن نفسه بين الكتب ، فيدرس ويقرا ويتعلم حتى يتمكن من نيل شهادة والحصول على مكان تحت الشمس . وهذا الصراع نفسه له صورة اخرى ، فكما أن الطبيعة الفنية للشاعر تدعوه الى التحرر من حجرة الدراسة المغلقة ومن النظام الصارم فى الدراسة ، فهناك ايضا واجباته التى تنتظره فى بلده : لبنان . هذه الواجبات العائلية تقف وراء ضرورة الدراسة المنظمة ، لانها هى الطريق الى أن ينال شهادة وعملا يعودان بالفائدة والحماية على هذه الأسرة ، فالاسرة تنتظره فى لهفة ، لكى يعود اليها ويحميها ويكون مسئولا عنها ، اما طبيعته الفنية فانها تدعوه الى التحرر من الدراسة وتدعوه الى التحرر من قيود الأسرة ، حتى ينطلق الى حياة خصبة ، ولا يسقط فى حياة مثقلة بالقيود والنظام والمسئوليات الصغيرة .

هذا هو الصراع القديم الذى كان يعيش فيه الشاعر خليل حاوى والذى تكشف لنا عنه قصيدته «الناى والريح» ،

فالقصيدة هى تعبير عن الصراع الذى عانى منه الشاعر ، فى تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وعنوان القصيدة «الناى والريح» ، يمثل لنا الطرفين المشتركين فى الصراع . فالناى هو رمز للاستقرار والحياة العائلية البسيطة التى لا تعرف التقلب العنيف ولا المغامرة الحادة ورمز «الناى» مستمد من الحياة الشعبية فى الريف اللبنانى ، بل فى الريف العربى كله فالناى هو المتعة الهادئة الوديعة الحزينة فى ليالى الريف الساكنة ، إنه يرمز للجمال المستمد من الاستقرار وسعادة الهدوء والطموح المحدود والالتصاق بحياة القرية وحياة الأسرة .

اما «الريح» فهى رمز للمغامرة ، ورمز للحياة الهادرة الصاخبة العنيفة التى تتجدد فى كل لحظة ، والتى يعيشها الانسان فى قوة مثل قوة الريح . إنها رمز للحياة المنطلقة المندفعة التى تصطدم بالجبال وتنخفض الى الوديان والسهول وتعبر الصحارى وتتطلع الى السماء ، وتقتلع امامها كل ما هو ضعيف وهزيل .

هذا هو الرمز الرئيسى الكامن فى عنوان القصيدة ... فماذا نجد فى القصيدة نفسها ؟

الصومعة والعبور

الجزء الأول من القصيدة عنوانه «الصومعة» ، والصومعة هى حجرة الدراسة ، وهى رمز النظام الدقيق الذى يحمل الى صاحبه الأمل فى الوصول الى شهادة وعمل ، وفى العودة الى اسرته التى تنتظره ، بالصورة التى تريدها له هذه الأسرة .

يقول الشاعر :

بينى وبين الباب اقلام ومحبرة
صدى متأفف
«كوم» من الورق العتيق
هم العبور
وخطوة او خطوتان
الى يقين الباب
ثم الى الطريق

والباب هنا هو باب الحياة المنطلقة التى يحلم بها الشاعر ، والطريق هو الحياة نفسها ، هو الدنيا الواسعة التى تناديه . ولكن الذى يعوق الشاعر كما هو واضح : الاقلام والمحبرة واكوام الاوراق والخوف من عبور هذه الأشياء الى باب الحياة الحقيقية . إنه محبوس فى الدراسة والبحث والتنقيب ، ولذلك فهو يجد نفسه وسط هذا السجن ثائراً منفعلا ساخطاً على نفسه :

إلى متى الهو ، وابصق
جبهتى ، رئتى
على لقب وكرسى
....
انا لست منكم طغمة النساك
واللحم المقدد فى خلايا الصومعة
لن يستحيل دمى الى مصل
كذبت ، كذبت
جرونى الى الساحات ، عرونى
اسلخوا عنى شعار الجامعة

هنا ثورة واضحة فى نفس الشاعر على وضعه السجين فى الدراسة المغلقة فى سبيل لقب مثل «دكتور» و «كرسى» مثل كرسى استاذ فى الجامعة ، إنه يعيش مع «مومياء» والمومياء هى الكتب والدراسات العقيمة والأبحاث البعيدة عن مشاكل الحياة وتجاربها المباشرة .

وهو يصرخ ... إنه لا يريد أن يكون «ناسكا» يتفرغ للدراسات والبحث ، والغرف المظلمة المغلقة ، بل يريد الساحات الواسعة الرحبة ، ويريد ان يتعرى من المظهر الاكاديمى الوقور الذى يفرض عليه ان يمشى بحساب ، ويشعر ويفكر ويتكلم ويتصرف بحساب ، إنه يصرخ : اسلخوا عنى شعار الجامعة .

تلك حالته فى الصومعة او فى حجرة الدراسة ، وهو يريد ان يتحرر وينطلق من ذلك كله الى الحياة الواسعة غير المقيدة إلا انه يسمع فى «الصومعة» صوتا اخر يشده الى هذه الصومعة شداً عنيفاً ، ذلك هو صوت «الناى» ... صوت الاستقرار وصوت الأسرة التى تنتظره ان يعود اليها من «كمبريدج» ومعه شهادة ولقب وكرسى ،

وفى هذه الأسرة نسمع صوت الأب الذى يقول :

ابنى وقاه الله كنز ابيه
جسر البيت ، يحمل همنا
هما ثقيل

وجسر البيت ، تعبير شعبى لبنانى معناه الأساس الذى يقوم عليه البيت ، فجسر البيت هو الخشبة الرئيسية التى تحمل سقف البيت ، وهكذا يتصوره ابوه على انه الدعامة الرئيسية التى ينتظرها لتحمل هم البيت والأسرة ، ثم يقول الاب لفتاة ربما كانت هى الفتاة التى اختارتها اسرة الشاعر له لتكون زوجته ، على عادة المجتمع فى الريف ، وهى التى تنتظر عودة الشاعر على امل كبير :

غدا يعود اليك .. بعض الصبر
سوف يعود ، والله الكفيل

وهذه الفتاة نفسها رمز اساسى للأسرة التى تنتظره وترتبط مصيرها به :

ولربما ماتت غدا
ومص دماءها شبحى
وما احتفلت بلذات الدماء
ماتت مع الناى الذى تهواه
يسحب حزنه عبر المساء

إن هذه الفتاة التى لم يخترها الشاعر تنتظره باصرار . إنها تعيش من اجله ، وتعيش على اسمه ، حتى لقد «يبست» على هذا الاسم لانها حرمت نفسها فى انتظاره . ذلك لأنها لا تعرف إلا «الناى» ، ولا تؤمن إلا بالناى ، اى بالحياة الأسرية البسيطة التى تعنى الزواج والأولاد والبيت ، فعالم هذه الفتاة هو عالم «الناى» الهادىء الحزين الذى لا يعرف العاصفة المتجددة .

إن الثورة الكامنة فى نفس الشاعر تهدد هذه الخطيبة بالموت لأنها تدفعه الى التخلى عنها ، عندما تدفعه الى التخلى عن التزامه بالدراسة وقيودها ، وهذه الثورة النفسية لو تحققت فسوف تقتل فتاته التى تنتظره فى قريته ، وسيكون موتها اليما لأنها ستموت دون ان تحقق

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

شيئا من امانيها :

ماتت وما احتفلت وما عرفت
رفاه يد تظللها ودار

اجل ، إن ثورة الشاعر النفسية سوف تحرم هذه الفتاة من امانيها ... من اليد التى تحنو عليها ، من البيت الذى ياويها، من الفرحة بحياة الأسرة .

هذا هو «الناى» وما يمثله ويرمز اليه . فالناى هو القرية والاسرة والاب والام والخطيبة والكتب وصومعة الدراسة التى يحبس نفسه فيها .

إن الناى يشده الى نوع من الحياة ، هادىء ملتزم وقور .

غير أن هناك قوة مختلفة تجذبه الى ناحية اخرى ... إنها قوة «الريح» . وهذان هما الطرفان المتصارعان فى قصيدة خليل حاوى : الناى والريح .

وقد عرفنا الى اين يجذبه الناى ، اما الريح فتجذبه الى شىء اخر . الى التمرد والخلاص من القيود ، الى عمل اعظم وانبل من نيل شهادة ولقب علمى ، واعظم من مجرد الزواج وتكوين أسرة وبيت .

إن الريح تدفعه الى ان يكون فنانا مبدعا ، والى ان يشارك فى تغيير الحياة الراكدة فى مجتمعه ، فدور الشاعر المبتكر والمفكر المجدد ، والثائر الذى يشارك فى التغيير الى ما هو افضل ... تلك هى ادوار البطولة فى حياة الانسان المتميز ، وليست ادوار «الكومبارس» التى يمكن ان يقوم بها كل انسان :

ربى ، متى انشق عن امى وابى
كتبى ، وصومعتى ، وعن تلك التى
تحيا ، تموت على انتظار .

إن الشاعر يريد أن يتخلص من القيود العنيفة التى تشده الى اسرته وتربطه بها لماذا ؟ لكى يقوم فى الحياة بمهمة اخرى :

اطا القلوب ، وبينها قلبى
واشرب من مرارات الدروب بلا مرارة
ولعل تخصب مرة اخرى
وتعصف فى مدى شفتى العبارة
دربى الى البدوية السمراء
واحات العجين البكر
والفجوات ، أودية الهجير
وزوابع الرمل المرير

هذا هو مايريده ويتمناه ، وما هذه الصور الشعرية المركزة الخصبة إلا رمز للحياة العنيفة القوية المنطلقة ، والتى يريد الشاعر ان يعيشها ، فهو يتمنى ان يجرب الحياة بعنف وحرارة ، ويريد ان يشرب من «مرارات الدروب» ، لعله بعد ذلك ان يكتب شعرا رائعا ، «ولعل تخصب مرة اخرى ، وتعصف فى مدى شفتى العبارة» ... لقد خانته العبارة مدة طويلة عندما التحق بجامعة «كيمبردج» ، وبقى تسعة شهور لا يكتب بيتا واحدا من الشعر ، مما جعله يحس بانه يذبل كفنان قادر على الابتكار والتعبير الحى .

اما «البدوية السمراء» فهى رمز وتجسيد للحيوية العنيفة المتدفقة ، كذلك «العجين البكر» و «اودية الهجير» و «زوابع الرمل المرير» ، كل هذه الصور الشعرية رمز للابتكار ، وللتجربة الجديدة فى الحياة ، ومهما كانت هذه التجربة صعبة ومريرة ، فيكفى انها جديدة ، ذات طعم خاص ، تهزنا وتثير فينا مشاعر عميقة وافكارا حية نابضة .

نهاية متشائمة

وتنتهى قصيدة «الناى والريح» للشاعر المنتحر خليل حاوى بهذه الأبيات :

الناسك المخذول فى راسى
شد قواه ، ينهرنى ، افيق :
بينى وبين الباب
صحراء من الورق العتيق وخلفها
واد من الورق العتيق وخلفها
عمر من الورق العتيق

ومعنى هذه النهاية هو ان الصراع النفسى الذى عانى منه الشاعر طويلا بين الناى والريح ، قد انتهى به الى الهزيمة ، فنهاية القصيدة متشائمة ، والشاعر يعلن انه مازال أسيرا للقيود ، وللورق العتيق ، وانه لم يتجاوز الباب المغلق الى الحياة المنطلقة الخالية من الضغوط الحادة العنيفة . إنه قد وقع أسيرا للناى الذى يشده الى الورق والدراسة والاب والام والخطيبة والاسرة .

وقد عاد خليل حاوى من «كمبريدج» ليصبح استاذا للأدب العربى فى الجامعة الامريكية فى بيروت ، وظل الصراع القديم الذى كان مشتعلا فى نفسه وهو طالب غريب فى لندن ، قائما كما هو بعد ان اصبح استاذا جامعيا فى بلده لبنان . إن دور «الأستاذ والعالم» لم يكن يناسبه تماما ، وهو دور يذكره بحياة الرهبان القاسية العنيفة ، أو بحياة الجندى التى تسير فى طريقها بدقة وانضباط فى كل شىء ، حتى فى المشاعر والانفعالات . فهل يستطيع الفنان ان يحتمل هذا الموقف احتمالا كاملا ؟ هل يستطيع ان يقضى ايامه ولياليه فى البحث والتنقيب والاستنتاج وجمع الجزئيات فوق الجزئيات ، بدلا من ان يعيش ليتامل ويلاحظ ويجرب ؟ ... إن النتيجة فى حياة خليل حاوى هى انه لم يستطع ان يقيم التوازن فى نفسه بين الفنان والعالم ، فانتهى به الامر الى الدمار .

وفى هذا الصراع النفسى العنيف الذى تعرض له الشاعر خليل حاوى ، كان هناك حل وحيد لتخفيف التوتر الذى عاناه نتيجة لهذا الصراع ، وهذا الحل هو أن ينجح فى حياته العاطفية ، ويجد الانسانة التى تفهمه وتشاركه تجربته وتعينه على اجتياز اللحظات الدقيقة المدمرة فى صراعه مع نفسه ، وفى حدود ما اعرفه من حياة خليل حاوى ، فانه قد وجد هذا الحب ، ووجد الانسانة الممتازة التى كانت قادرة على ان تشاركه حياته وتخفف من توتره وتشاؤمه ، وتعينه على الصبر الجميل فى مواجهة المصاعب والتعقيدات ، وقد كانت هذه الفتاة التى «خطبها» خليل حاوى اديبة عربية موهوبة لها انتاجها الفنى الخصب ... إنها السيدة «د . أ» ، ولولا انها محاصرة فى بيروت الغربية ، لاستاذنتها فى أن اذكر اسمها الصريح ، فقد كان مشروع ارتباطها بالشاعر خليل حاوى معروفا للجميع ، على أن من الواضح ان خليل حاوى لم ينجح فى تجربتـــه « العاطفية الكبيرة » لأسباب تعود الى شخصيته والى ما كان يعانيه من قلق واضطراب وتوتر ادى الى دمار تجربة عاطفية ، كان بالامكان ان تفتح فى نفسه المتالمة نافذة على الهواء الطلق ، وتقوده الى توجيه غضبه ورفضه

للحياة الى مزيد من الانتاج الفنى الخصب ، ومزيد من النضال من اجل مبادئه وافكاره ، بدلا من الهروب والانتحار .

وهكذا فشل الشاعر فى حل الصراع النفسى الذى كان يعانى منه ، فلا هو استطاع ان يقبل الأسلوب التقليدى فى بناء اسرة وعائلة ، ولا استطاع ان يتلاءم مع مجتمعه ، ومع مهنته كاستاذ جامعى ، ولم يجد فى آخر الأمر اى «قشة» يتعلق بها فى بحر الحياة المتلاطم ، ثم جاء الكابوس الأكبر وهو الغزو الاسرائيلى للبنان ، فانهار كل شىء فى نفسه ، ولم يبق له ما يرتبط به .

الصراع الحضارى

على ان خليل حاوى كما يكشف شعره كان يعيش فى صراع اخر ، غير ذلك الصراع النفسى الذى فشل فى حله والانتصار عليه والخروج منه بنتائج ايجابية . هذا الصراع الأخر ، هو ما يمكن ان نسميه «بالصراع الحضارى» ، فمن خلال شعر خليل حاوى نحس انه كان يؤمن أن الحضارة العربية ينبغى ان تتخلص مما يسميه بعصر الجليد ، وعصر الجليد هو عصر الجمود والتحجر ، والوقوف امام «المستنقعات الحضارية الراكدة» ، وهو العصر الذى فرض على العرب كثيراً من مظاهر التخلف والعجز ، وادى بنا الى الهزيمة فى كثير من المعارك الحاسمة . وقد انفجر هذا الصراع الحضارى فى نفس الشاعر بعد ان سافر الى اوروبا ليتعلم ، وهناك اصابه ما يصيب الكثيرين من الشباب الشرقى الحساس من ازمات عنيفة ، فقد وجد اوروبا تعيش فى معظم جوانب الحياة متحررة من القيود ، توفر للانسان فيها خطوات متتالية من التقدم والحقوق الانسانية المختلفة ، بعيداً عن الاوهام والخرافات ، فطريق العمل والابداع والابتكار مفتوح امام الانسان الغربى ، اما فى الشرق فمازال الطريق مليئاً بالسدود والقيود ، ومايزال عصر الجليد الحضارى هو العصر السائد المسيطر . وقد حاول خليل حاوى ان يعبر عن الصراع الحضارى فى شعره بطريقة خاصة . فقد خلق إطاراً من الاساطير الحية ليستخدمها فى تعبيره الفنى ، حتى يكتسب هذا التعبير عمقاً وقوة ويبتعد عن الأساليب المباشرة التى تسىء الى الفن وتجعل منه قوة عديمة التاثير .

وقد اختار الشاعر اساطيره من التراث القريب الينا ، من بين القصص الشعبية والدينية والتاريخية . ومن التراث الشعبى استطاع الشاعر ان يجد فى الف ليلة كثيراً من الاساطير التى يستخدمها ، فشخصية سندباد شخصية اساسية فى شعره ، وهو لا يستخدمها بمعناها القديم بل يستفيد فقط من ايحاءاتها القديمة ، ثم يستخدمها بعد ذلك استخداماً خاصاً مستقلا . إن سندباد فى الف ليلة هو الذى يقوم بالرحلة الدائمة بحثاً عن حكايات ومغامرات . وسندباد عند خليل حاوى هو الانسان الذى يريد ان يكتشف وان يعرف الحقيقة وان يصل الى يقين ... كل ذلك عن طريق رحلته فى بحار التجارب والافكار . والى جانب ذلك يستخدم الشاعر عدداً من القصص الدينية على راسها قصة «اليعازر» الذى احياه المسيح بعد موته ، وهذه القصة ترمز عند الشاعر الى عودة الحياة بعد الموت والجمود ، والى الاخضرار والخصوبة بعد الجدب والاقفار ، والى عصر ذوبان الجليد بعد عصر الجليد .

ومن القصص الدينية التى يستخدمها الشاعر ايضاً قصة «سدوم» ، وهى المدينة الفاسقة التى حلت بها الكارثة جزاء عدلا لانغماس اهلها فى الخطيئة ، والشاعر لا يترك القصة الدينية كما هى وإنما يستخدمها بشىء من التعديل والتحوير حتى تكون مناسبة لافكاره وتجاربه ورؤاه الجديدة ، فهو فى ديوانه «نهر الرماد» يتحدث عن سدوم اخرى ... إنها المدينة البريئة التى حلت بها الكارثة دون ذنب والتى تريد ان تعود الى الحياة بعد عذاب طويل وبعد أن تنفض غبار الكارثة عن وجهها وروحها .

ومن هذه القصص الدينية اسطورة «عمود الملح» وتعود هذه الاسطورة الى القصة الدينية المعروفة عن زوجة «لوط» ، حيث امر الله «لوط» أن يخرج هو واهله من المدينة دون ان يلتفتوا اليها ، ولكن «زوجة لوط» التفتت فتحولت الى عمود من الملح ، وهذه القصة يستخدمها الشاعر للدعوة الى عدم الرجوع الى الوراء ، وعدم الالتفات الى الماضى ، حتى لا تتجمد الحضارة ، ويتجمد الانسان ، ويتحولا الى عمود من الملح ، كما حدث مع زوجة لوط .

ونتوقف هنا بعد هذه الرحلة الفنية والفكرية السريعة مع الشاعر المنتحر خليل حاوى ، بحثا عن جذور ماساته التى ادت به إلى اطلاق الرصاص على نفسه ، ومما لاشك فيه أن العامل الأكبر فى هذه المأساة هو ما أصاب المجتمع العربى المعاصر من تمزق واضطراب ، وما انتهت إليه حياة لبنان من دمار وفوضى غير انسانية بسبب الانقسامات اولا وبسبب العدوان الاسرائيلى بعد ذلك ، ولم يكن يلوح فى الأفق عند النفوس الحساسة من الياس الذى يقتل اى امل قريب فى الخلاص من ازمة المجتمع العربى ومحنة لبنان ، بالاضافة إلى ما كان الشاعر يعانيه من اضطراب نفسى وقلق وتوتر وعدم قدرة على التلاؤم مع الواقع ... كل ذلك ادى بالشاعر إلى الانتحار ... رحمه الله وغفر له ، وجعل فى رحيله لنا درساً وعبرة ، فمثل هذه الأوضاع القاتمة القائمة على التمزق والانقسام فى الوطن العربى ، لا يمكن أن ينتج عنها أمل للنفوس الحساسة ، ولا حل أمام العرب إلا أن ينهض مجتمعنا ويتخلص من امراضه وانقساماته وتسود فيه المبادىء والقيم الصحيحة ، حتى يستطيع العرب أن يواجهوا مصيرهم بقوة وعزم وتفاؤل وصبر ، بدلا من أن تشيع بينهم أمراض اليأس والهروب من الحياة وبدلا من أن يصبح لسان حالهم – كما قال الشاعر العربى القديم – مع شىء من التعديل :

من لم يمت « بالذبح » مات بغيره
تعددت الاسباب والموت واحد

« رجاء النقاش »



شهريات

يوسف إدريس



فى عدد يونيو الماضى من الدوحة ، كتب الدكتور يوسف إدريس من نيودلهى عن « ورشة القصة القصيرة » هناك ، حيث كان مدعواً للادلاء برايه فى فن القصة القصيرة كواحد من ابرز كتاب الوطن العربى فى هذا المجال . وكلمة « ورشة » فى المصطلح الهندى ، مرادفة لكلمة « ندوة » أو « ملتقى » أو « مؤتمر » . عن هذه « الندوة » التى انعقدت فى نيودلهى من ٨ إلى ٢١ مارس الماضى ، أجمل د . يوسف إدريس ما دار من مناقشات حول موضوع « القصة القصيرة » كفن أدبى خالص ، يشغل اهتمام عدد من كتاب العالم ، جاءوا من جنوب شرقى اسيا ، والصين وافريقيا ، والمشرق العربى . وفى هذا العدد يتحدث د . يوسف إدريس عن النتائج الايجابية لهذه الندوة التى انعقدت حول القصة القصيرة فى الهند . مثلما يتناول أيضا جوانبها السلبية .

كانت (الورشة) مفيدة من نواح كثيرة ، ومخيبة للأمل من نواح كثيرة ايضا . كانت الورشة فرصة لأن ارى مجموعة لاباس بها تماما من كتاب القصة الشبان والكبار فى بضع من بلاد اسيا وافريقيا . لم اكن اتصور ان بها كتاب قصة قصيرة على الاطلاق . سرى لانكا مثلا ، أو جزيرة (سيلان) التى نفى فيها عرابى ورفاقه ، وممثلها ذلك الكاتب الطيب النبيل الهادىء تماماً المنكمش الحجم بطريقة من الممكن ان (تصره) كما يقول المثل الشعبى فى منديل ، وايضا ليس منديلا من الحجم الكبير . كنت اشاهده وهو ياكل ، فمه واسع جداً يخيل لي معه انه كفيل بالتهام كل ما على المنضدة من طعام ، ولكنه كان يأكل طويلا ، وإن يكن لا يأكل كثيراً ابدا . كان يضع لقمة الطعام الهندى النباتى فى يده ، ويبقيها سواء اكان يتابع كلامه مع محدثه ، أم حتى وهو لا يتحدث ، ساهياً عنها وكانما إهمالا لشانها ولشان الطعام ، ثم ببطء ايضا يتاويها فى فمه ويزدردها على مضض .

طريقة رائعة تماما لصد النفس الذاتى عن الطعام . كان واضحا انه من اصل هندى وانه كان يعيش فى «سرى لانكا» وانه موفد من قبل الوزارة هناك ، فلم اشهد له جنوح بعض الكتاب الاخرين ، ولا رايته مرة يبتسم او يقهقه او يفعل شيئا اخر غير تلك الاستغراق المهمل للكون داخل ذاته او لذاته داخل الكون وكانه لا يفكر فى شىء بالمرة ، او بالاصح لا يفكر فى شىء ذى بال ، بسرواله الهندى الطويل الابيض وقميصه المصنوع من نفس القماش ، والصيديرى الصوف فى عز الحر ثم هذا (الخرج) المعلق من كتفه دوما لم اره مرة يعسعس داخله ليبحث عن شىء او يخرج شيئا ، او يضع فيه شيئا او يخرج شيئا . دائما هو هناك وكانه ذنب معلق على كتفه ، الهدف منه . مع الصيديرى الصوف تعذيب ذاته الجسدية طمعا فى الخلاص الروحى حتما وإلا لماذا يعذب الانسان ذاته ؟ القى بحثا عن الادب «السرى لانكى» واثبت فيه ان القصة القصيرة المكتوبة قد بدات فى «سرى لانكا» منذ نيف ومائتى سنة ، اى قبل نفى عرابى اليها بمائة وخمسين عاما ربما . وقرا لنا قصة حديثة ، ولكن بدا واضحا انها لاتزال تمت الى ما قبل نفى عرابى بكثير .

احببت ذلك الرجل الصغير تماما بفمه الاعرض من نظارته ذات الفتحات الواسعة جدا كعيون الضفادع ، واسنانه الكبيرة البارزة كاسنان الجمل ، التى يبدو وكانها فعلا قادرة على التهام جمل ، فى حين انها ، للاسف ، ومن طريقة اكله لا وجود لها .

احببت فيه « لا وجوده » الذى كان بالنسبة لى اهم انواع الوجود فى ذلك المكان .

ولم يكن هذا موقفه من الطعام وحده ، كان يبدو انه موقفه من كل شىء فى الحياة وفى الوجود . لا . ليس بالضبط موقف الزاهد ، ولا المستغنى ، ولكنه ما يمكن ان نسميه الموقف (الهندى) من الحياة ، سواء اكان هذا الهندى يعيش فى كراتشى او فى جبل طارق او فى نيودلهى او فى سيرى لانكا . موقف غير الراغب ، المصدود النفس ، الشبعان تماما من الحياة وكانما ازدردها كلها فى عالم سابق ، او انه روح ظمآن للحياة تناسخت فى مستغن تماما عنها . ولذلك رحت اتصور هذا الزميل الكاتب فى اوضاع شتى من الاوضاع التى نتكالب نحن فيها على الحياة . ترى ماذا يحس تجاه المتعة ، ماذا لو صادفه شىء يمتعه حقا ويريد مزاولته ، واى قدرة متعية تستطيع ان تجعل هذا الجسد الضامر يرتعش كل عرق فيه بالحياة ويقبل عليها فى شغف ، بل تصورته فى حالات الحب والعشق ، بل وبدلا من ان اتصوره جمعته فى جلسة مع (جريس) اجمل واروع واطول افريقية عرفتها . لقد كنت دائما اتصورها ترقص فيرتعش جسدها السامق العنبرى كله وكانه شجرة جوزهند عالية ترقص وتجعل الارض تدمدم على وقعها ودقها . وتوقظ شياطين الغابة ، وشياطين الارض وجنها ، ويتلبسونها جميعا لتصبح وكانها افريقيا الساحرة الغامضة من شواطئها الشمالية حتى قدامها فى جنوب افريقيا تتمايل وترقص . (جريس) ذات القلب الطيب الحنون ، والوجه الهادىء تماما كشان الأمواج الهادئة لبحيرة فيكتوريا . جريس الكئيبة الباردة احيانا كقمم جبال «كليمنجارو» الثلجية .. المربدة احيانا كالجو فى الحبشة وفوق هضبة الحبشة . تصورتهما معا ، ثم دعوتهما لنجلس معا ، وكنت اتصور ماذا سيفعل صديقى السيريلانكى حين تحدق (جريس) بوجهها الأملس العنبرى المستدير ، وعيونها الواسعة الحالمة الحانية ، وتاخذ يده فى طيبة مثلما كانت تاخذ يدى وتبدا تهمس . كان كلامها كله همسا فى ملامحه ، همسا موحيا كهمس من ينومك مغناطيسيا .. همس هادىء حنون مطمئن ينقل لك انفعالات اعماق مستقرة تماما ، لا عفاريت فيها ولا جن ، وإنما هى الجذور السامقة الى اسفل ، تضرب فى باطن الارض كجذور الجبل ، و (توزن) الارض و (توزنها اعماق الارض) . جذور ، كالاوتاد ، تثبتك فى التربة والواقع والحياة ، وتفعل هذا باستبشار زائد ، وكانما ، فى الغد تماما ، كل شىء سيصبح على ما يرام ، وكل المشاكل ستؤول الى حل ، وكل الليالى القادمة ستصبح فجرا ، وكل فجر سيقود الى يوم حافل بالبشر الانسانى ، جديد .

● ●

وجلسنا نحن الثلاثة . كانت «جريس» قريبة من السيريلانكى . وكان منذ قدومه الى ورشة القصة لم اره يتحدث الى احد حديثا خاصا ، وسمعتهما يتبادلان بضع كلمات ، ومالبث السيريلانكى ان ابتسم ، والمضحك ان فمه كان يضيق حين يبتسم ، وتختفى تماما اسنان الجمل ، وكانما هو يبتسم على الدوام ، وفقط حين يبتسم يتحول فمه الى فم عادى جاد جدا .

ثم بدات «جريس» تنتبه له كلية ، وبدات عيناها تلمعان ، وبدا شىء فى جسده النحيف يتململ ، ثم لم اعد اسمع ما يقولان ، وقطعا لم يكونا يتحدثان عن الحب او الطعام او الجو . فيم كانا يتحدثان لم اعد ادرى ، ولكنه حديث طويل متشعب متعدد البسمات ، وفمها يتسع لتبدو لآلئها البيضاء ، وفمه يضيق سعادة والحديث دائب ومتصل .

ومن لحظتها لم يفترقا .

ولابد ان لكل «فولة» «كيال» .

ولم اكن اعرف ان كيال جريس الكينية السمراء ، كيال افريقيا باسرها ، هو ذلك الزميل السيريلانكى الضئيل الحجم ، وكان كيال افريقيا الهائلة الضخامة هى جزيرة سيرى لانكا او سيلان التى فى حجم الفولة ولكنها الفولة الكيال هذه المرة .

ولله فى خلقه شئون .

● ●

ولو اطلقت العنان لما حدث امام عينى ، ومشاهداتى فى ورشة القصة ومن اشتركوا فيها ، ولو تركت الخيال يتحرك ، مجرد ان يتحرك لامكن ان اصنع فيلما سينمائيا ، او بالتعبير العربى حلقات تليفزيونية لا يقل طول الواحدة منها عن ساعة ويستغرق عرضها ثلاثين او خمسين حلقة . وليتنى افعل .

● ●

ولو حاولت ان ادرك كم استفدت فنيا من ورشة القصة ، لوجدت انى كمشتغل بالقصة لم استفد كثيرا ، ولكنى كانسان ، وكعلاقات ، وكقادم من عالم عربى جياش ، ومن مصر منتفضة وغاضبة ، قد استفدت تماما . ففن القصة فى اسيا وافريقيا وحتى فى العالم اجمع لايزال ، كالحياة ، لا نعرف عنه علميا ، إلا القليل ، ولايزال الحديث عنه ، كالتجديف فى المحيط بامل الوصول الى شاطىء اخر ، مسالة ، كسر الحياة ، لم تكتشف بعد . إنما ان نناقش ، ونعيش ، ونتعرف ونتعارف ككتاب قصة ، فهذا كتاب مفتوح ، ما اروع القراءة فيه .

د. يوسف ادريس

اقــرأوا.. وفــكروا.. وقــولوا

بقـلم: خـــالد محــمد خـــالد

أريد للشباب العربى والمسلم أن يتخلص من إسار الظروف التى فرضت عليه هذا الصمت النائح .. !!

وأريد ذلك للشيوخ أيضا ، ولكنى اريده للشباب اولا ..

وأريد للفتيات العربيات والمسلمات ان تدوى اصواتهن بالكلمة الشجاعة .

وأريد ذلك للسيدات أيضا ، ولكنى اريده للفتيات اولا ..

ولقد كتبت من قبل فى احد كتبى قائلا للفتى العربى : اقرا فى غير خضوع .. وفكر فى غير غرور .. واقتنع فى غير تعصب .. وحين تكون لك كلمة ، واجه الدنيا بكلمتك .. !! وهذا ما أريد اليوم أن اقوله .

فبعد ان تحدثت فى العدد السالف من مجلتنا هذه عن قداسة الكلمة ملفوظة ومسطورة ، أريد اليوم أن احدثكم عن كيف نهيىء انفسنا لتلقى ولإعطاء الكلمة الحرة الشريفة .. الصادقة والشجاعة .

كيف نقف فى محرابها قارئين ومفكرين ، ثم نبلغها للناس فى ذمة وصدق .

اجل . جئت اليوم أقول لكم : اقرءوا .. وفكروا .. وقولوا ..

فلن يحمل امانة اوطاننا اليوم أحد مثل المثقفين الذين يصادقون الكلمة ، ويزاملون الفكر ، وتنبثق منهم الكلمات الهــــادية المضيئة .

وعلى الذين يعيشـــون فى شباب النهار من فتية وفتيات ان يتقدموا الصفوف فى هذا المضمار .

كان احد فلاسفة اليونان يقول : إذا كففت عن القراءة ثلاثة ايام ، لم أحسن محادثة الناس . !!

وهذه العبارة وان كانت تحمل صيغة المبالغة ، إلا انها تمثل حقيقة مبينــــة . فالقراءة تشحذ الذهن ، وتجعله دائما فى يقظة فرحة وصحو متفتح ..

اجل . إن القراءة لا تثرى الفكر وتربى من المحصول الثقافى فحسب بل هى تفعل السحر فى تجديد الفكر ووصله بالعقل الكلى للاشياء .

والكتاب مرقاة إنسان حي إلى الكمال والتفوق . والذى لا يحيى عقله ويضىء شخصيته بالقراءة المستمرة يســـتحق الرثاء ... !! والكلمة المطبوعة من اثمن ممتلكات الانسان ، وخير ما اخـــرجت الحضارة الانسانية للدنيا .

ولقد حدثتكم فى مقال سابق بكلمــات الطبيب والاديب الفرنسى « ديهامل » الذى يتساءل ويقول :

« إلام يصير العالم لو علق فجاة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات ترابا ؟؟

يخيل إلى ان الانسانيــــة بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية ، او من تراثها الروحى وحسب . بل ستفقد ايضا ، وبوجه خاص وسائل حياتها ..

كل مكتبة هى قبل كل شىء مجموعــــة وسائل ومناهج .. هى ذلك المكان الجليل الذى يحتفظ فيه الرجـــال بتجاربهم ، واحاسيســــهم ، واكتشـــافاتهم ، ومشروعاتهم ..

ولو اننا فقدنا دفعة واحدة كل تلك الكتب التى ازدهرت بها حضارتنا ، لمـا استطعنا أن نبنى طــائرة ، او نـربى حيوانات ، او نستحضر منتجاتنــــا الكيماوية . ولوجدنا مشـــقة كبيرة فى استخدام ملكاتنا . ولن تكون تصرفاتنا عندئذ إلا تصرفات وحوش تعسة .. !!! » .

● ● ●

وهذا حق .. ولامرما بالغ الأثر عظيم الخطر ، جعل الله اول كلمة تتنزل من قرانه العظيم على قلب رسوله الكريم هى « اقرا » .. لم تكن الكلمة الاولى : « صل .. صم .. اعبد .. » بل كانت « اقرا » وكان الامر بالقراءة اول امر على الاطلاق يتلقاه الرسول من السماء .. !!

وحين نرجع إلى تاريخ اولئك الرواد المتالقين الذين كانوا معالم للرشـــد

الانسانى ، نجد وراء عظمتهم وتفوقهم لياما وليالى ، وشهورا وأعواما قضوها فى محراب الكتاب والكلمة المطبوعة متبتلين وحواريين ، تجعل القراءة حياتهم كالربيع .. بل قولوا : كروح الربيع .. !!

ولقد قال الشاعر العربى : وخير جليس فى الزمان كتاب وإنه ليطيب لى دائما ان القى على نفسى وعلى الآخرين هذا السؤال الافتراضى :

لو استطاع العلم ان يرد إلى الحياة بعض الناس لبعض الوقت . واذيع مثلا : ان سقراط ، وافلاطون ، والغـــزالى ، وشكسبير ، والمعرى ، وشوقى ، والمتنبى وتوم بين ، وروسو ، وابن رشد ، والفارابى وهيجل ، وماركس ، وجيته ، وأرسطو ، وابن سينا ، سيكونون يوم كذا فى مكان ما من العالم يستقبلون زوارهم والراغبين فى لقائهم .

افلا نركب إليهم ثبج البحر ، ومخاطر الجو ، وننفق من ثرواتنا بسخاء ، ونصنع المستحيل لكى نبلغ مكانهم ونلتقى بهم ؟؟

ثم أجيب على سؤالى المتخيل هـــذا قائلا : الا فلنعلم ان العلم قد ردهم للحياة فعلا .. وانهم وجميع إخوانهم من اساطين المعرفة والفكر جالسون هناك ينتظرونك فى كل حين ، وفى أقرب مـــكان ، وبـــايسر النفقات .. !!

اجل ـ فى اى مكتبة من المكتبات تلتقى بهم فى مؤلفاتهم التى سطروها وهم فى اصفى وانقى حالاتهم الذهنيـــــــة والوجدانية .. !!

ومؤلف الكتاب ـ اى كتاب ـ حاضر معك حين تقرا له . يتحدث إليك من خلال السطور المطبوعة بخير ما اوتى من قدرة على التعبير والتفكير ..

لقد أودع أساتذة البشرية تراثهم فى الكتب . وانك لتنعم بزمالتهم وصداقتهم حين تجلس إليهم فى ساحة ماخلفوه من كتب ومؤلفات .

فاقرا .. ثم اقرا .. واقرا دائما وكثيرا ، فلن يضيء شخصيتك ولن يصقل عقلك ، ولن يجدد شباب روحك شىء مثل ان تقرا ..

وليس فى الثقافة محظور ومباح . فحق الكلمة يكاد يكون حقا مطلقا فى عــــالم لا يعرف المطلقات .

فتنقل كالعصفور المغرد المحبور بين افنان الثقافة واغصانها . او كن كالنحل الذى يمتص رحيق الزهور .. !!

اقرا فى الأدب ، وفى السياسة ، وفى الأخلاق ، وفى الاقتصاد ، وفى العلم ، وفى الدين ، وفى الاجتماع .

ولكن اقرا قراءة الاحرار لا قــــراءة العبيد ..

اقرا لتكتشف نفسك ، لا لتفقدها . واحذر ضراوة الكلمة المطبوعة وسيطرتها المجنونة على العقول وذلك يتاتى بان تحتفظ بتوازنك الفكرى وانت تقرا ، وتناقش الذى تقرا ، ولا تتلاش فى خضم الكتاب والمؤلفين مهما يكن فكرهم مسيطرا . ومهما يكن اسلوبهم ساحرا وآسرا .. وعندما تحس وانت تقرا بمثل حركة « الرادار » فقف .. إن عقلك قد وجد نفسه هنا .. وإنك الآن امام كلمات تحمل لك فيضا من الاسرار والافكار ، إذا انت تدبرتها ، ونحيت الكتاب جانبا لتتامل العبارة التى اهتز عندها وجدانك ، واختلج عقلك .

إن القراءة تلهمنا ، وتصلنا من خلال الكلمات النابضة بافكار عذراء قد تكون انت مكتشفها .

● ● ●

والقراءة تبوء بالفشل الذريع إذا لم تعاونك على اكتشاف فكرك الخاص ..

والذى يقرا قراءة جيدة يستطيع ان يفكر تفكيرا جيدا وصاحيا .. وليست كلمة « المفكر » وقفا على اولئك المشاهير فى عالم الفكر . بل كم من مفكر غير منظور وغير معروف تتفجر الحكمة بين جنبيه ، ويقف عالى الجبهة طويل القامة بين المفكرين والملهمين .. والذين يحرمون نعمة التفكير مدموغون يقول الله سبحانه : « جعلنا لهم سمعا وابصارا ، وافئدة . فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ، ولا افئدتهم من شىء » .. !!

ففكر فيما تقرا ، وفيما لا تقرا ، واعلم ان فى استطاعتك ان تكون واحدا من الذين يقدمون لنا عقل الحياة ..

فكر إذن دائما وكثيرا ، وحول عقلك فى كل اتجاه .. واعلم انك إنسان بقدر ما انت مكفر .. فحاول ان تكون لك وجهة نظرك تجاه عالمك ، وتجاه قضايا الفكر والحياة .

ولكن تحل بخلق العلماء ، ولا تجعـــل التفكير يبطرك ويفقدك توازنك .

لقد كان شعار العــــــالم الـــكبير « لاجرانج » هذه الكلمة الشـــجاعة : لا اعرف !! ونيوتن صاحب العقل الجبار كان يقول بعد اكتشافه نظرية الجاذبية : « إنى اتراءى لنفسى كما لو كنت غلاما يلهو على شاطىء البحر . وأسلى نفسي بين الحين والحين بالعثور على حصاة أكثر ملاسة ، او صدفة اكثر جمالا .. بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد امامى دون ان ادرى عنه شيئا » ؟!

● ● ●

وقيمة التفكير انه يجعل لك موقفا فى الحياة . فلابد ان تحتضن هذا الموقف ، وتذود عنه ، وتبلغه للناس ما وسعك البلاغ .. لقد كانوا يقولون : قل كلمتك وامض .. اما انا فاقول لك : قل كلمتك واثبت .. قلها بصدق وشجاعة ، ولا تخش ان تواجه بها الدنيا .. ؟!

ومهما يسيء الآخرون فهمك ، فقل كلمتك واثبت .. إن كثيرين من النـــــاس لديهم ما يقولون ، ولكنهم جبنوا وفزعوا فانتهوا كامس الدابر او كهشيم المحتضر .. ؟!

ولا تخش ان تغير رايك وكلمتك إذا تغير اقتناعك وكما يقول : إمرسون : « انطق بما تفكر فيه الآن فى الفاظ قوية . وانطق غدا بما تفكر فيه فى الفاظ قوية كذلك . حتى إن ناقض كل ما قلته اليوم . وصحيح انه سيساء فهمك .. وهل من شر الامور ان يساء فهمك ؟؟

لقد اسيء فهم « فيثاغورس » ، وكذلك « سقراط » ، و « المسيح » و « لوثـــر » و « كوبرنيكس » و « جاليليو » و « نيوتن » وكل روح طاهرة عاقلة .. بل لكى تكون عظيما ، لابد ان يساء فهمك ؟!

« يهب الله لكل عقل الخيار بين الحقيقة والراحة ـ اختر منهما ما شئت . ولكن لن تظفــر بكلتيهمـــا .. إن مـــن يختـــار الراحة ، لا يشاهد الحقيقة . ومن يختار الحقيقة يظل جوابا سابحا بعيدا عن كل مرفا » .. !!!

وأكرر لك قولى : واجه الدنيا بكلمتك واصرخ بها فى وجه الموج . ولا تقل : من انا .. فمعظم ما فى عالمنا اليوم من حقائق ، ومبادىء ، وقيم إنما بدات بكلمات قالها افراد احترموا اقتناعهم ، وادوا زكاة وجودهم .

إن اول انسان قال : الارض تدور حول الشمس لم يكن فى حسابه يوم قال هذا شيء مما ترتب على صيحته من فتوح ومعجزات . ولو اننا حاولنا ان نعرف تماما ماذا فعل الرسل وماذا صنع الرواد الذين صاغوا مصير الحياة لما وجدنا معجزة مثل معجزة وقوفهم إلى جانب اقتناعهم ، وثباتهم مع كلماتهم .

بعض الناس يظنون انهم جاءوا الحياة متاخرين .. جاءوا بعد ان فرغت الحياة من تدبير كل امورها ، ومن ثم لم تعد بحاجة إلى من يفكر ويقول .. !!

لا ..إن الحياة ســــتظل بكرا فى كل قضاياها وشئونها .. وستظل تنتظر الذين يقفون وينظرون ويسمعون .

ستظل تنتظر عطاء الذين يقراون ، ويفكرون ، ويقولون ..

خالد محمد خالد

إلى شهداء العشق الفلسطيني الكبير .. أغني مطلع الفجر العربي

سرينادا القمر الأسمر

شعر: يوسف الخطيب



الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الاردنّ
ثلاثةَ اوديةٍ من عسلٍ قانٍ
لثلاثةِ ازمانٍ
فيصيرون وضوءَ الارض ، وضوءَ الشمسِ
يصيرون الآبَ ، والابنَ ، وروحَ القدسِ
ثلاثةَ اثلاثٍ ، فى جَمْعٍ أحدْ ...

الليلةَ ينضجُ من دمهم تفاحُ الصفصافِ
وكرمةُ ترشيحَا
والليلةَ يتعمَّدُ فى دمهم أطفالُ اريحَا
والليلة يشتعل الجرمق .. فاكهةً .. ونبيذا ..
ويضيىءُ على البريةِ زيتونُ صفدْ ..

الليلة هم آتون العرسَ ، ثلاثةَ عرسانٍ
وثلاثةَ اقمار تتغسَّلُ فى جدول بستانٍ
فتضرَّجنَ الحنَّاء .. نساءَ فلسطينَ ..
تطيَّبْنَ الأنداءَ .. نساءَ فلسطينَ ..
تفتحْنَ مروجاً خضراءَ .. نساءَ فلسطينَ
عليكنَ الليلةَ ان تحملن ثلاثةَ آلاف وَلَدْ ..

ليجيءُ فى هذي الليلةِ جيلُ الوعدْ ..
الجيلُ المعقودُ النطفةِ من ألَقِ البرقِ
وتحت هزيمِ الرعدْ ..
الجيلُ الصاعقةُ .. البارقةُ ..
الأجنحةُ .. الاشرعةُ .. الأنواء ..

ليجيءُ فى هذي الليلةِ من بطنِ الأرض ...
الجيلُ الرافع بالضمِّ مدينة نَعَمٍ
من لاءِ الرفض ..
الجيل المغذوةُ عيناهُ رحيقَ الشمسِ
المتلوةُ اذناه اساطير الشهداءْ

ليجيءْ فى هذي الليلة من لَبَنِ الحُزْنِ
الجيلُ المَطْلَعُ .. موسيقى الكونِ ..
الجيل التشكيلُ .. التاصيلُ .. العربيُّ اللونِ ..
الجيل الحبُّ .. الإشواقُ .. الفرحُ .. الاشراقُ ..
الفاتحةُ الصادحةُ جِراحَ الأرضِ
بلابلَ .. وجداولَ .. وحدائقَ شعراءْ ..

ان تلدَ امراة قمـرا اسمـرَ
ان يرضعَ .. ان يلعبَ .. ان يكبرَ ..
اشهـد ان اللــه جميلٌ
والليـلـةَ .. وجْـدٌ .. وحنــانٌ ..

●●●

يا امراةً من دجلةَ تسّاقطُ بلحا
فى ارض فلسطينَ
ايا نخلةَ عَذْقٍ تشتعلينَ
تَحْلّين جدائلك الذهبية فى شمس الجَرْمَقِ ..

يا امراة من حلَبٍ ..
يا ساقيةَ حلبٍ ترتحلينَ
فتسقين بوادي الاردنِّ بساتين الزنبقِ

يا امراةً من اعلى النيلِ
ومن اقصى المغرب .. والمشرقِ ..

اقراتن وصيّتهم ..؟؟
اكتبتنّ وصيّتهم !! ..
انتنّ الآن ــ نساءَ العرب ــ الوحدةُ والحبُّ
وانتن الأرحامُ الأثلامُ .. وانتن الخصبُ
وانتن كرومُ الصبح
الواعدةُ خلاصَ الانسانِ .. خُلوصَ الانسانْ ..

انتن الآن ــ نساءَ العرب ــ حليبُ الثورةِ
لِدْنَ ذكورا ...
ارضِعْنَ ذكوراً ..
ودّعن إلى النصر ذكورا ..
فَلْتَكُ صرخةُ غضبٍ « عربيٍّ » فى هذى الارضِ
وشهقةُ سيفٍ «عربيٍّ» فى وجه الطغيان ..

●●●

ان تلد امراة قمراً اسمرَ
ان يتوشّحَ من دمـعِ الوطنُ
قلادةَ ياقوتٍ احمـرَ
ان يتدهّـنَ من شفتيهِ العنـبَرَ
اشهد أن اللــه جميلٌ
والليلةَ .. وجدٌ .. وحنانٌ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ حبا فى مجـد اللــهِ
وفى الأرض سلاما ، والناسِ

ودالية تشتعـل ظِلّيَ
ونجومـا .. وحِلّيَ
واساورَ من ذهبٍ .. وقلائدَ من ماسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ .. وصلاً .. وجمالاً ..
وحلولاً فى العالم .. وخيالاً ..
وبتيمـا من مكةَ ، بالقـدسِ ،
يلوّن بستانـا قمريّـا ..
ومخاضَ امــراةٍ ، فى جـذع النخلةِ ، بالطائفِ
وجنونـا عُذريا
ومجيئا عربيا .. عربيا ..
فى حشرجةِ الارضِ .. وفى اوجاع الناسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ عيد الاعيـادِ
واغنيـة الميـلادِ
وعودةَ شعـب تقرع فى فَرَحِ الأجراسْ ..

●●●

وانا ، ياولدا ، اعتزل الندمانَ الليلةَ
كي اشربَ فى موتـكَ
علقمَ كل الارض .. وحنظَلَهـا ..
كي اتي جبهتكَ السمـراءَ
باكليلٍ من حبق الفطرونِ
وافرد خُصْلاتكَ للريـح ، واجدِلُها ..
واهيم على كل جهات الأرضِ ، اناديكَ
واصرخ فى إثركَ :
إذهــب .. لا تذهــب ..
إرجـع .. لا ترجـع ..
انا لستَ بقاتلك الآخـر ياولدا ..
وسأُقتَل من بعدك .. من قبلك ..
ثُلثَ ثلاثةِ اصحابٍ فى ليل الفردانْ ..

●●●

الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الأردنِّ
ثلاثةَ اوديةٍ من عسلٍ قانٍ ..
والليلة هم اتون العُرسَ .. ثلاثة عرسانٍ ..
فتضرّجن الحنّـاءَ ... نساءَ فلسطينَ ..
تطيّبْن الأنداءَ .. نساءَ فلسطين ..
تفتّحن مروجـا خضراءَ .. نساءَ فلسطين
عليكن الليلـةَ ان تحملـن .. ثلاثة آلاف ولَدْ ..

دمشق - يوسف الخطيب

بقلم : عبد الله الجفري

العالم على ساقين متناقضتين

احتاج إلى شجاعة .. شجاعة تدعم تاملاتي . وتتعاطف مع افكاري ، وتغذي نظراتي المنطلقة إلى اعلى .. إلى ابعد من مدار « ابوللو ٨ » .. إلى مدار الزهرة !

افكاري .. تقف الآن بين ساقين طويلين هزيلين ، متناقضين !

تاملاتي .. لا تريد ان تعبر هذا الممر .. حتى تاخذ الانطباع الموضوعي .. انطباعنا كبشر من ابناء هذا الجيل .. نحتاج إلى شجاعة مؤكدة عندما نقرر ان نتخطى هذين الساقين ، او الجانبين المتقابلين بلا تكافؤ!

نظراتي .. ترفض دعوة « الرؤية » لمحور الساقين (!)

لقد أضحى ذلك غير مجد .. مادام النقاش يستهدف فقط ـ الساقين ـ لأن الساقين فعلا هما الموضوع !

واعذروني ..

مثلما بدا احتياجي إلى شجاعة مطلب مرغوب .. ايضا فقد احتجت إلى هذه المقدمة التى تعكس لكم صورة الساقين ، بالوصف ـ بتحديد نقطة الوقوف ـ بهذا الاصرار الكبير على التناقض !

● ●

احتاج إلى شجاعة فعلية .. ذلك ان هاتين الساقين تمثلان شطري هذا الجيل الشاب المعاصر .. الذى يملأ مدرجات الجامعات ، ويتدفق إلى مراكز الأعمال باندفاع ضئيل ، ويضيع فى الطرقات ، ذات الأضواء الخافتة وذات الظلال ، وهو يصرخ تارة ، ويئن اخرى ، ويعلن قائلا :

ـ انا جيل هذا العصر .. انا الزمن الحاضر !

ـ وانا ـ هنا ـ اتحدث عن الشباب فى العالم كله .. وبالذات فى مناطق العالم التى اصابت حظا كبيرا من الحضارة والتقدم العلمي ، وتخلصت من العقدة التى تعوقها عن افكار الابداع الانسانى !

إن الامريكتين ، واوربا عامة .. يمثلون جانبا عظيم الوزن والقيمة من تعبير الانسان عن رغباته ، وحياته عامة ، واولئك الشباب ـ برغم هذه الهزات النفسية التى يتعرض لها ، وبخوضها على اعتبار انها تجربة من الضروري التعرف عليها ـ برغم ذلك فان اقبالهم على العلم ، وعلى الجامعات ، وعلى التخصص العالي لم تؤثر فيه الهزات النفسية او ما اسميه « اثقال » الاقتناع بالحياة ككل .. باشيائها الرائعة والجميلة ، واشيائها الرديئة والقبيحة !

إن شباب هذا العصر يتمثل فى هاتين الساقين الواقفتين .. بكل الطول ، وبكل الهزال ، وبكل الانفعال ، وبكل التناقض !

● الساق الاولى : دائمة الحركة والانفعال والاضطراب إلى درجة « الرفز ! » احيانا ، وهي تمثل الشباب الغاضب جدا .. الرافض دائما .. المنفعل لابسط الأحداث والأقوال ، وهو الجيل الذى ظهر فى بريطانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والمانيا ، والمكسيك وبعض دول امريكا اللاتينية !

● والساق الثانية : تحتاج إلى قوة تسحبها .. تجرها .. تخبط عليها لتخلصها من الخدر ، و « التنميل » ، لتوقظها وتدفعها ان تخطو لتواكب على الاقل الاستماع الى صيحات الغضب ، وهي تمثل الشباب الضائع ، او ما اسموه « الشباب المنهك » .. لنهكته الخيالات ، وطواحين الهواء فى القرن العشرين ! .. اضاعته الاشياء التى يتعاطاها لينسى افكارا لم تصل بعد إلى ذهنه ، وقد عبرت عن هذه الفئة جماعة « الهيبيز » فى امريكا .. تلك التى ينام افرادها على قارعة الطريق ، ويلبسون عدة الوان ومزق ، ويمشون حفاة ، ويتركون شعرهم تعبيرا عن الفوضى والاتساخ !

من ابعاد هذا الموقع فى عالم اليوم . كان لابد ان تشارك الكلمة فى التصوير ، والتعبير ، والحوار !

كان لابد ان تثبت مرآة .. ليرى كل فريق نفسه . وليستمع إلى نقاش طويل من تصرفاته ، وارائه التى اعتنقها واصبح يدعو إليها ! .

بعض المفكرين نظر إلى هذه «البركانية» على فوهة مجتمع الشباب المعاصر على انها نتيجة حتمية ومتوقعة فى عصر القلق والحروب والقتل الذى أصبح مهمة بسيطة وسهلة .. فى عصر « تامل » فيه الشباب قوانين مجتمعهم وأساليبه فى استمرارية الحياة ، وامتهان « التفاعل » الصادق الذى تعطيه النفوس الشابة ! .

وبعض المفكرين ـ بعد إصغاء وترقب ـ قال : إن اساليب التربية ومفاهيم التعليم ينبغى أن تتغير ، وأن تماشى عصرا جديدا ، وأن تعي جيداً هذا التناقض الفاضح فى سلوك الشباب داخل العالم اليوم .

وظهر لكل فريق : مفكرون .. يعبرون عن حالته ، ويصفون معناها ، ويسبرون الاعماق .. حتى ان بعض اولئك الكتاب .. قيل عن ما كتب :

ـ إنها فضيحة للجيل المعاصر .. تخزى

لكن ذلك لم يجعلهم يحجمون ، بل ان بعض النقاد يصفون ادبهم .. بانه ادب



برنارد شو — البرتو مورافيا





ايزنهاور — يوجين يونسكو

العصر ، أو الأدب الجديد !

وقد جاء على قمة كتاب « الجيل الغاضب » فى بريطانيا انذاك .. كاتب شاب اسمه « جون ازبرن » .. ذلك الذى اصدر قصصا وروايات تعكس حالة الجيل الغاضب .. وتحمل افكاره والامه ، وقام النقاد — فى البداية — بحملة على هذا الكاتب .. لكن يبدو ان حموة غضبـه لـم تؤثر فى مواجهته لهم بالمنطق وبالجدل المسكت ! .

ثم جاء على قمة كتاب « الجيل المنهك » أو « الجيل الضائع » .. كاتب أميركي شاب اسمه « جان كرواك » ، وقد لاحظ ان نسبة الكتاب المعبرين عن هذا الجيل الضائع اكبر من نسبة كتاب الجيل الغاضب فى بريطانيا ، ورغم انه جيل منهك ، ولم يعد يعرف نفسه ومناخه ، فان الكاتب « جان كرواك » اصدر : (مجموعة من القصص والاقاصيص ، وديوان شعر ، وكتابات فى الفلسفة ، ومختارات من اثاره مسجلة على اسطوانات) !

وبالاستقصاء ، والبحث عن أسباب هذا الضياع والانهاك اللذين اسلم جيل امريكا المعاصر مقاليده لهما .. فقد قرات استعراضا كتبه الدكتور محمود السمرة .. اورد فيه راي علماء الاجتماع هناك .. قال :

— « دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة وانتهى العالم الاجتماعي فى كتابه — الصفوة الحاكمة — إلى ان السبب فى هذا كله يعود إلى أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة .. لتقع فى قبضة حفنة من رجال المال وكبار العسكريين ، وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس ايزنهاور فى مذكراته التى نشرها بعد انتهاء مدة رياسته » ! .

• •

وهناك فريق من الكتاب الجدد المعاصرين .. اعتبرهم فى رايي فى الوسط — فى منطقة المحور — لا ينتمون إلى الساق الغاضبة .. ولا يؤيدون الساق المنهكة الضائعة .. ومنطقة المحور هذه قد لا يستطيع الكثير من المتاملين ، او الواقفين، او المستطلعين ان يرفع نظره إليها ليحدق فيها طويلا ، فهي فى علو ، بمقدار ارتفاع الساقين والتقائهما ، وهي — على هذا البعد — تبدو منطلقة غير مرئية كثيرا ، وكان يمثل هذه المنطقة او هذا الفريق الثالث : كولن ويلسون ويوجين اونيسكو !

وقد يكون هذا القصد — اللامعقول — هو جامع النقيضين ، او منطقة التقاء راسي الساقين .. برغم ان ممثليها قد لا ينتمون كما قلت إلى احد فريقي الساقين !

انها منطقة « اللامعقول » التى تشرف حينا على انفعالات الغضبى والصائحين ، وتشرف حينا اخر على المنهكين والمغذين فى طريق الضياع ! .

من هـــذا الاشراف الفكــــري ، او « الخواطري » ماعالجه ، وصوره كولن ويلسون فى روايته « طقوس فى الظلام » !

هذه الرواية هى استشراف لدور المراة فى الحياة ، وبالتالي هي ايضا « ربما » فى مطالب هذا الرجل التى يريدها من المراة !

إن بطل رواية طقوس فى الظلام يدعى « جيرارد سورم » وقد وصفه احد النقاد .. فقال عنه :

— «إنه نموذج انسان القرن العشرين الذى تعذبه نفسه قبل ان يعذبه غيره .. تعذبه وحدته كما تعذبه معرفة الناس .. عانى من بعد المراة ، وقاسى من لقائها بعدما عرفها » ! .

والمراة لم تعد هي مشكلة شباب هذا العصر ، لانها هي ايضا استطاعت ان تجتاز بعض ادوار الحياة وان تتخطى الحواجز فى المجتمعات الغربية !

إن من الامكان ان نقول الآن : إن الرجل اصبح اليوم هو مشكلة المراة ! .. لقد فقدته كلمحة تختلف ، وفقدته « كتغيير » فى حياتها .. اصبحت المشكلة اليوم فـي « التمييز » سلوكا وفكرا ، ودورا فى الحياة !

إن « جيرارد سورم » بطل رواية ويلسون : طقوس فى الظلام .. اضاعه عذاب النفس ذاك .. فاضطر ان « يجرب » العديد من ادوار الحياة ، والعديد مـــن « الممارسة » البشرية حتى تردى فى الشذوذ وهو يصيح .. باحثا عن المراة !

ولكولن ويلسون راي استمهلته حتى اهضمه وافكر فيه ، ثم لم احتمله .. لانه قال « الرجل اكتشف الكثير من الحقائق الغامضة .. اكتشف امورا كثيرة معقدة هداه إليها جهده وذكاؤه ، لكن المراة اقرب من إليه لم يعرفها .. بل ضاعفت من حريتـه » !

هذا الراي ليس فيه اي خطل ، ولا يحتاج لتصويب جذري .. غير أن مشكلة العصر اليوم لا تنحصر ابدا فى المراة وغموضها .. إنها مثلما تبدو غامضة ، فهي احيانا كقطعة البلور فى يد ساحرة .. ترى عبر سطحها كل ما تريد !

إن « برنارد شو » تحدث من زمن بعيد قبل كولن ويلسون عن المراة .. وعن مشكلة الانسان مع الحياة ، او مع التعايش فى عصره ..

برنارد شو قال : إن المراة هي التى صنعت الرجل .. لكي تجعل منه شيئا افضل منه ومنها ، ولكنها اخطات حينما جعلت لا هم للرجل سوى انجاب الأطفال ، غير ان الرجل تجاوز بعد ذلك .. فعندما كان وقت فراغه كبيرا ولا عمل له .. صنع الحضارة الانسانية بدون ان يستشيرها » !

وكاتب ايطاليا الكبير « البرتومورافيا » لم يهتم احد مثله بالمراة والكلام عنها وفلسفتها ، وفضحها ، والانصياع لها .. لكنه فى كل قصصه ، وفى كل ما كتبه وقراناه او قرانا عنه .. لم يحاول « مورافيا » ان يربط مشكلة العصر بالمراة .. ذلك انها ليست هي كل « المشكلة » وإن كانت بعض جوانبها ! .

إن الوقوف « تحت » — بين ساقي هذا الجيل — تحتاج فعلا إلى شجاعة فكر يتامل بحرص ، ومثابرة ، وتحتاج إلى دعوة فالحة .. تشد النظرات لترى ما فوقها .. ترى « المحور » حتى لو كان « لا معقولا » .. لكنه نقطة التقاء ، ومكان يجمع الاضداد والتناقض ! .

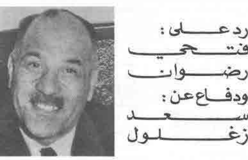
إن شباب هذا العصر .. لا أعتقد ان كلمة ضياع ، او إنهاك تنطبق عليه بحذافيرها ، وبهذا الجور فى الحكم .. رغم ان « جان كرواك » نفسه — قال : « انا من الجيل الضائع » ، ولكن النظرة الفاحصة للاسباب الجوهرية التى تمخض عنها هذا الواقع للشباب .. هي ان يستخرج من دقتها الوصف الذى ينطبق على هؤلاء !

اما الشباب الغاضب .. فليس اكثر من « فترة » انتقال تمر بها اوربا كلها بعد ان سئمت طيلة هذا الردح من الزمن الأساليب القديمة فى « التفكير » !

ولا يمكن ان يكون هذا يعنى « العطف » على أسلوب هذا الجيل المتناقض .. بقدر مايعني محاولة لتبصر الأسباب .. فالحضارات تاكل كثيرا ، وتحصد اكثر .. لكنها تنبت جديدا على أرض جديدة !



● ● نشرت الدوحة فى عدد مايو ١٩٨٢ ـ العدد ٧٨ ـ مقالا للأستاذ « فتحي رضوان » بعنوان « سعد زغلول فى قفص الاتهام » ، وطالبت « الدوحة » المؤرخين العرب بمناقشة ماجاء فى هذا المقال من اتهامات لسعد ومواقفه السياسية والشخصية ، وقد جاءتنا مجموعة من الردود ننشرها ابتداء من هذا العدد ونواصل نشرها فى الأعداد القادمة . وهذا هو العدد الأول وقد كتبه الاستاذ اسامة خالد ● ●



فتحي رضوان
وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام



الزعيم الوطني.. متهم وورشة عدلي طلقاء؟!

بقلم : أسامة خالد

لكل موقف دلالة سياسية بخلاف دلالته الفكرية ، وكل كاتب مطلوب منه أن يراعى هذه الحقيقة عند التصدى لأى قضية . والدلالة السياسية التى تحدثت عنها تتحقق سواء كان الكاتب واعيا بها أو غير واع . ومن هذه الزاوية هل يمكن عزل الهجوم على سعد زغلول ووضعه فى قفص الاتهام عن الدلالات السياسية بل والآثار السياسية العميقة المترتبة على ذلك ؟!

وهى آثار تمس قضية الديمقراطية التى ارتبطت فى تاريخنا الحديث بسعد زغلول ، ومبدأ المفاوضات باعتبار ان سعداً قد هيمن على المفاوضات مع بريطانيا هيمنة مطلقة أثناء حياته بل وحتى بعد موته ، وانه كَيَّف موقف المفاوض المصرى لسنوات طويلة فى حياته وبعد مماته .

إن الهجوم على سعد والتجريح الشخصى الظالم له وهو ما يؤدى الى تحطيم مكانته فى قلوب الناس ، تلك المكانة التى استقرت فى وجدان الامة يحرسها شهداء من ابنائها ، يتخطى حدود «الموضوعية التاريخية العلمية» ، و «ملكية التاريخ» ويلقى بظلاله المقيتة على نضال المصريين اليوم من اجل الديمقراطية ومن اجل مفاوضات حرة متكافئة مع عدوهم .

هذا اذا كان بوسعنا ان نسمى السباب والشتم والتهم التى وجهت الى سعد ابتداء



سعد زغلول
لايمكن تحطيم مكانته فى قلوب الناس



عدلى يكن
خلافات لم تتوقف مع بداية مفاوضات ملنر

من كونه انانيا وانتهازيا وبخيلا ومنافقا وجبانا ومختلسا ، الى كونه لا يثبت على راى ؟!حقود جحود ، استعان بعدلى الخ ، إذا كان بوسعنا ان نسمى كل هذا بحثا علميا .

واذا كانت شعوبنا التى لم يتح لها التعلم فى الغرب لسوء حظها تقترب الى المبادىء العظيمة من خلال الرموز التى تمثلها وترمز لها ، وتعرف المبادىء النبيلة بالرجال الذين ارتبطوا فى ذهنها بتلك المبادىء ، فما مبلغ الضرر الذى يلحق بتلك الشعوب وبنضالاتها من جراء ولعنا بتجريح اعظم قياداتنا الوطنية بحجة «البحث العلمى الحر» مع ان هذا البحث ينبغى له ان يكون منزهـا عن الغرض متعاليا على السب والشتم والقذف خاصة اذا تعلق بمن لا يملكون الرد على انفسهم .

ومنذ فترة قريبة قام باحث هو الدكتور «عبد الخالق لاشين» باخراج بحث بعنوان «سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية» وقد كال لسعد من امثال تلك التهم التى وجهها الأستاذ فتحى رضوان نقلا عن «علوبة باشا» ما يدهش الانسان له . إلا ان الدلالات السياسية لبحثه ذاك لم تكن غائبة عنه بطبيعة الحال ، فقد كتب الكتاب فى وقت كانت الديمقراطية ينظر اليها فى مجتمعنا على انها ترف بورجوازى ونظام للباشوات ، وكان اى حديث عن التفاوض مع اسرائيل يعد خيانة عظمى .

ولكن ما يوحد بين الكتابين ـ كتاب د . لاشين» وكتاب «علوبة» ـ هو الميل للتجريح الشخصى وتحطيم هيبة زعامة وإنزالها فى الرغام ، وذلك على وزن ان فلان باشا قال لسعد زغلول «انت سفيه» ، واستغلال الخواطر التى سجلها سعد فى مذكراته للقفز لاستنتاجات تغرى جدتها الباحث وإن خالفت الحقيقة وعدمت السند والبرهان وهو ما نلحظه فى الكتاب الاول .

وسوف أتعرض هنا لاتهامين وردا فى مقال الأستاذ الكبير «فتحى رضوان» نقلا عن كتاب «علوبة» هما موقف سعد من مشروع «ملنر» ، ونزاهته المالية ، معتبرا ما ورد بالمقال عن «مهادنة سعد للانجليز» وما جاء تحت عنوان «سعد متهما» .. امورا لا ينبغى ان تؤخذ على محمل الجد ، فهى لم تخرج عن كونها سلسلة غريبة من التهم الظالمة تقتضى الرجوع الى الكتاب الأصلى .

ولكنى سوف اتعرض هنا لما قاله المؤلف الذى نقل عنه استاذنا فتحى رضوان عن موقف سعد من مشروع «ملنر» الذى احتكم فيه الى الامة ، وقال بالنص كما ورد فى مقال استاذنا «وفى نفس الوقت الذى يتحدث فيه سعد الى الأمة بان مشروع ملنر المعروض على الوفد به مزايا لا يستهان بها ، كتب خطابا الى ثلاثة من اعضاء الوفد .. وصفه علوبة فى كتابه خطاب سرى جاء فيه على حد عبارة علوبة ـ رحمه الله ـ بانه يتنافى كل المنافاة مع ندائه العلنى ، وجاء فى هذا الخطاب انه يخالف سرا ما جاء بندائه علنا» .

وهذه التهمة وجهت الى سعد من جميع الذين اقصوا او استقالوا من الوفد ، بل يرددها ايضا الدكتور لاشين فى كتابه السابق ذكره فيقول فى ص ٢٩٨ من كتابه : «اكثر من هذا فقد لجا سعد الى استخدام أساليب لا يمكن ان ترقى الى مستوى الامانة والنزاهة حيث إنه اخذ يبعث بالعديد من الرسائل السرية والشخصية الى اعضاء الوفد فى مصر .. يصارحهم فيها بان المشروع حماية لا استقلال » وانه « حماية بالثلث » .

المشروع .. والحقيقة

ومن المفيد ان اعرض بايجاز شديد للمراحل المختلفة التى مر بها مشروع ملنر حتى يمكن للقارىء أن يتبين الحقيقة حول موقف سعد ذاك .

(١) تشكل الوفد قبل الثورة ، وجرى توسيعه بعدها بطريقة ارتجالية ـ وكان اعضاؤه يجمعهم هدف واحد عام هو «الاستقلال التام» إلا انه لم يكن بينهم اتفاق حول الأساليب الواجب اتباعها او التكتيكات الصحيحة وقد راى معظمهم ان الاستقلال هو الهدف واعتبروا كلمة «التام» مرادفا لغويا .

(٢) عند تشكيل قانون الوفد نصت المادة الخامسة منه على انه «لا يسوغ للوفد ان يتصرف فى المهمة التى انتدب لها ، فليس للوفد ولا لأحد من اعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى استقلال مصر استقلالا تاما وما يتبع ذلك من التفاصيل» (دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ـ د. محمد أنيس ج ١ ، ص ٣٩) وهذه المادة هى التى استند اليها سعد عندما انضمت الأغلبية لراى عدلى يكن ، وعبر عن موقفه بقوله «لا تضامن فى مخالفة الأساس» .

(٣) كان اغلب أعضاء الوفد يعتمدون وسيلة واحدة للحصول على الاستقلال وهى إقناع بريطانيا بالتنازل بعد ان خذلهم المجتمع الدولى ، ولذا كانت أعمال التنظيم (الوافدى) الذى اشرف عليه عبد الرحمن فهمى فى مصر مثار خلافات متصلة بينهم وبين سعد ، بل تجدهم يرفضون عرض سعد بمنحه تفويضا باتخاذ بعض الاجراءات التى يقتضيها العمل الوطنى وتتطلب السرية ويرفضون اعتماد مصروفات لهذا الامر وهذا يفسر موضوع الأموال التى اخذها سعد ولم يخطرهم بالاوجه التى انفقت فيها كما سنرى فيما بعد .

(٤) مع ابتداء مفاوضات ملنر وتدخل عدلى ثارت سلسلة متصلة من الخلافات لم تتوقف قط . ويذكر محمد كامل سليم فى كتابه «أزمة الوفد الكبرى سعد وعدلى» ص ١٧ ان سعدا قال له يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٠ «إن عدلى

الزعيم الوطني.. متهم وورثة عدلي طلقاء؟!





اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل - واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد - فقلت إنها خطة تفريق ، وإنه لم يكن ينبغى له ان يضع نفسه (اى عدلى) على رأس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه لمشروع مع بعض اعضاء الوفد وإرساله الى ملنر من غير إطلاعى عليه اولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تامر ، وتصرفه فى الكلام مع ملنر بالانجليزية مرتين وعدم إخبارى بما دار بينهما» ويواصل سعد قائلا لعدلى يكن كما روى لسكرتيره فيما بعد : «علمت من محمد محمود انك قلت له إنك ستؤلف الوزارة القادمة ، وانك ولطفى السيد متفقان على الا يكون للوفد راى فيمن تختارهم للعمل معك .ثم توالت الاجتماعات بينك وبين فريق من الاعضاء ووضعتم مشروعا قدمتموه الى ملنر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد .. ثم إنى قلت لك مرارا إن مشروع ملنر مشروع حماية ولا يمكننى تاييده . كما انك لم تفعل شيئا لازالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقا بفريق من اعضاء الوفد . وروج المندوبون المشروع بعد ان اتفقوا معى على عرضه على الامة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبت انت الى بعض اصدقائك فى مصر بالسعى الى حمل الامة على قبوله كما يطلب ملنر ، وبدات التفكير والعمل فعلا لتاليف وزارة لاجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ..... وكنت تاخذ صور بعض البرقيات من «علوية» وتبلغها «للاعرج» بقبول الامة للمشروع مع بعض الرغبات والأمانى حتى اقتنع «ملنر» كل الاقتناع بان التحفظات آتية منى وحدى لا من الامة ولا من باقى اعضاء الوفد وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبثه برفضها» .

وفى نفس الكتاب ص ٢٧ يقول «المكباتى» «لمحمد كامل سليم» «إنهم يريدون فى الحقيقة تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات ..... ويريدون فى الوقت عينه ان يتولى امر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لان عدلى فى نظرهم اكثر مرونة وسياسة من سعد - ثم قال ضاحكا - لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا اننا على رايه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية إلا بعد قبول التحفظات ولكن سعدا ثعلب لم ينخدع بما قلناه» !!

(٥) بعد ان وافقت الاغلبية على مشروع ملنر وعارضه سعد ، اضطر سعد إشفاقا على الوفد من الانقسام الى القبول بتحكيم الامة شرط عرض المشروع عليها بحيدة ونزاهة . وطلب الاعضاء منه الا يعلن عن رايه فى المشروع حتى لا تتاثر الامة . ولنترك للدكتور لاشين تكملة ما حدث «فيما يتعلق بمندوبى الاستشارة الاربعة فتكاد تتفق المصادر على تباين نزعاتها على انهم لم يقفوا عند حد عرض المشروع وحسب ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك ، فراحوا يحبذونه للامة من ناحية ، ويتوسعون فى تفسيراتهم لبعض نصوصه بما لا يتفق معها شكلا وموضوعا من ناحية اخرى» (سعد ودوره فى السياسة المصرية جـ ٢ ص ٣٠٠) .

اى ان الاغلبية بعد ان انتزعت وعدا من سعد باخفاء رايه فى المشروع ، راحت تتنكر لوعدها ان تعرضه على الامة بنزاهة وحيدة فحسنته فى عيون الامة مدعية انه حاز موافقة سعد ، فى محاولة لاستغلال ولاء الامة المطلق له وثقتها به لتفويت مشروع (حماية مثلثة) على انه استقلال . فما كان منه إلا ان ارسل برايه الشخصى فى هذا المشروع الى اصدقائه فى مصر .

(٦) وافقت الامة على المشروع بتحفظات ، وصمم سعد على التحفظات بينما راى عدلى يكن واغلبية اعضاء الوفد إغفالها او تاجيلها . ثم قرروا ان يشكل عدلى وزارة تقوم بالتفاوض قبل إلغاء الحماية ، ولقد سعوا الى الحصول على موافقة سعد واستدراجه فى هذا الاتجاه . ولعل محضر اخر اجتماع للوفد فى باريس ١٢ يناير ١٩٢١ يصور الطريقة التى مورست مع هذا الزعيم (المهادن للاحتلال) (المستبد برايه) كما يزعمون !!

يقول عبد العزيز فهمى للحاضرين «كلنا نعرف ونعترف ان الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات فى الماضى» ويعدد هذه المرات . «إلا ان الوفد متحد وموافق بالاجماع على عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية المقبلة او حتى الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطانى تعديل مشروعه على اساس هذه التحفظات وفى طليعتها النص الصريح على إلغاء الحماية» ثم يصل للقول «بان الخلاف الوحيد الباقى إنما هو فى مصر» فيساله سعد «وما سبب هذا الانقسام فى الامة وما علاجه فى رايك ؟ فيجيب «فريق من ابناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة ... ثم فريق اخر من ابناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل الانجليز اولا التحفظات .. ويساله سعد «واى الفريقين تؤيد» فيجيبه «انا أؤيد الفريق الأول» .

اى ان هدف الاغلبية هو ان يترك الوفد موضوع المفاوضات لعدلى دون قبول للتحفظات او إلغاء الحماية . ويقول سعد «انكم لتعلمون كما اعلم ، ان عدلى راض عن مشروع «ملنر» وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بامكان الحصول على الاستقلال» وهنا يعلن عبد العزيز فهمى رايه فى ان «عدلى خير مصرى يمكن ان يتولى الوزارة .... وقضية الاستقلال» !!

ويقول سعد «فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد (اى عدلى) يشير فيه الى ان من رايه ان تجرى المفاوضات الرسمية على اساس مشروع ملنر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . إنه إذا صرح بذلك فانى اعلن فورا تاييدى لعدلى صراحة ، بل اعلن اكثر من ذلك وهو انى لا ارى حاجة لاشتراكى او لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية» .

ويقول محمد على علوبة ردا على ذلك «إن الوفد لم يقرر قط انه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فى المفاوضات من المصريين ..... وليس للوفد فيما اعتقد ان يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده ، وليس من المعقول ان يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقا لآرائه ومعتقداته» ويوافق احمد لطفى السيد «علوبة» فى قوله مضيفا «إن السياسى يعز عليه ان يرتبط بشىء ما مقدما» وينفجر «عبد العزيز فهمى» قائلا عن القيود التى وضعها الوفد موجها خطابه لسعد «انت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ..... ولم تكن موافقة الاغلبية عن اقتناع اكيد وعقيدة جارفة بضرورتها وصوابها ، ومادمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين» .

ويرد سعد «معنى هذا» ان الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط او تحفظ ... الوفد يقصى نفسه عامدا متعمدا عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجا ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيدا بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين ...» (راجع ازمة

الوفد الكبرى : محمد كامل سليم ص ٩٦ ـ ١٠٦) .

ويلخص سعد الموقف فى خطاب لطاهر اللوزى فى ٢٧ يناير ١٩٢١ قائلا «انهم (اى الأغلبية) لم يتظاهروا بموافقتنا إلا إتقاء لسخط الامة وتلطيفا لغضبها ، وإلا فانهم سيعملون فى السر على بث افكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تاييد سيدهم الذى راوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم» . نفس المرجع ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ . ويوجز برنامجه بعد الانشقاق على النحو التالى «إن مشروع ملنر فى ذمتى واعتقادى مشروع حماية . فلا يمكن لي مطلقاً ان أحسنه للأمة باية طريق ، وليس أمامنا الآن من طريقة بعد رفضه ، إلا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة . ومحاربة كل من يتصدى لتاييد الحماية ومشروعها الجديد ...... والتشنيع على الاستعمار البريطانى لبلادنا فى الداخل والخارج ، فى الداخل للاثارة المستمرة ، وفى الخارج لايقاظ الضمير الدولى ..... ولابد ان ياتى يوم يعلو فيه الحق على الباطل .... وليس العجز يعد على الامم ، وإنما العار كل العار ان تضع الأمة غل الاستعباد فى عنقها وان تقبل المهانة فى استسلام وان تذل نفسها برضائها لعزة الأجنبى» . نفس المرجع ص ١٧٩ .

نتائج التشدد والرفض

وربما يسال البعض عن نتائج تشدد سعد ورفضه لمشروع ملنر ، وهل ضيعت تلك النتائج على الامة حقا او فوتت عليها مصلحة :

(١) يرى د. لاشين ان تشدد سعد «ضعضع قوة المفاوض المصرى (اى عدلى يكن) مما افقده احترام الجانب البريطانى» والحقيقة ان هذا التشدد كان مما يقوى موقف عدلى ولا يضعفه . ولكن بريطانيا ادركت ان اتفاقا لا يوقعه سعد سوف يكون حبرا على ورق . وسوف لن يلزم الامة او يحقق الاستقرار السياسى المنشود فى البلاد . لذا أثرت على توقيع معاهدة مع عدلى ، ان تقوم بتقديم تنازلات من طرف واحد فاعلن مندوبها للسلطان ان بلاده لم تعد ترى فى الحماية علاقة مرضية بين البلدين ، ثم اعلنت إلغاءها بتصريح ٢٨ فبراير الذى منح البلاد استقلالا كالذى كان يطالب به عدلى وجماعته دون مفاوضات او توقيعات . وفى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ صدر اول دستور ديمقراطى فى البلاد . تلك كانت بعض ثمار تشدد سعد ومن خلفه الأمة المصرية .

النزاهة المالية

على فرض ان سعداً استلم «مئات الالوف من الفرنكات الفرنسية إبان وجود الوفد فى باريس موقع عليها منه بخطه وقلمه لم يردها» كما جـــاء فى مقال الاســـتاذ الكبير فتحى رضوان نقلا عن «محمد على علوبة» ، فلاتزال المسافة بعيدة عما يمس النزاهة المالية . اولا لانه اخذها بايصالات ، ولان «علوبة» باشا لا يستطيع ان يقطع بانها لم ترد حيث انشق على الوفد و تركه مع من تركوه . فضلا عن معرفة الجميع قيام سعد بتمويل النشاطات السرية للوفد فى مصر مما لم يرضه باقى الاعضاء ممن تصوروا النضال الوطنى لعبة ملاكمة لا يجوز فيها الضرب تحت الحزام» .

ومن الطريف ان محمد كامل سليم يروى وقائع اجتماع جوبه فيه سعد بسؤال عن اوجه إنفاق ما طلبه من مبالغ ، ففى حديث بين «علوبة» و «سعد» يقول سعد لعلوبة :

لقد طلبت منك الف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت . ويرد «علوبة» «انا لم ارفض بل طلبت معرفة شئون الوفد هذه حتى أعرضها على إخوانى» . ويقول سعد : «لقد اردت ان اقدم هدية ثمينة تذكارية لمستر بلنت ، واردت ان اقوم بدفع مصاريف الانتقال والاقامة للدكتور حامد محمود حين اكلفه بالسفر الى انجلترا ، واعتبرت طلبك تشككا فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وإنك لتعلم ان رئيس الوفد ، بل رئيس اى جماعة يجب ان يكون تحت تصرفه بعض المال» ص ٧٩ «ازمة الوفد الكبرى» ومن بين الخطابات التى كشف د. محمد انيس النقاب عنها فى كتابه «دراسات فى وثائق ثورة ١٩» وفى تقرير سرى مرسل من سعد الى عبد الرحمن فهمى فى ١١ ابريل ١٩٢٠ من باريس يقول سعد «ولكنى سارسل إليكم من طرف اخر نقوداً بالطريقة التى كنتم اوضحتموها وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشتغلوا من غير أن يعلم احد بشغلكم .... وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم نبهوا عليه بان يكون امرها بينه وبينكم وان يرسل إلي فورا الوصل الذى تكتبونه له باستلامها» ص ١٠٥ جـ ١ .

ولا اريد الاطالة فى هذا الموضوع الذى لا داعى لاثارته اصلا ففى يقينى ان من كان امينا على مصالح امة ، لا يختلس نقودها ، ومن نال المجد الذى ناله سعد لا يحسد «علوبة» .. والذى اسلم نفسه وهو شيخ طاعن فى السن للنفى والسجون لا يكون جبانا او موهوما واعتقد ان تلك عقيدة المصريين ايضا ..

وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩١٩ ارسل سعد الى المصريين هذا البيان :

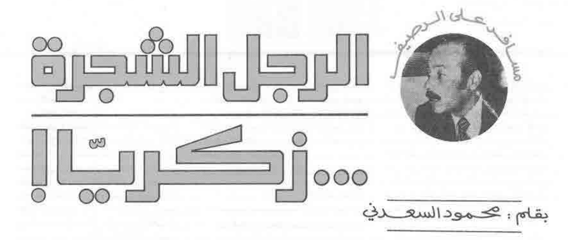
«الى ابناء وطنى الأعزاء . يحاول الاقوياء بجميع الوسائل ان ياخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة ويزيدوكم ضعفا ، فلا تنخدعوا إذا خدعوكم ، ولا تخافوا إذا هددوكم ، واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام . فهو امضى سلاح فى ايديكم واقوى حجة لكم ، وإن لم تفعلوا خذلتم نصراءكم واهنتم شهداءكم وحقرتم ماضيكم ، وانكرتم حاضركم ومددتم للرق اعناقكم ... فلا تذلوا ولو قهرتم ، ولا تخسروا ولو ظلمتم ، ولابد من يوم يعلو فيه حقكم على باطل غيركم وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم وتتحقق باذن الله القدير امالى وامالكم فى الاستقلال التام» .

إن هذه الكلمات ماتزال ماثلة فى وجدان المصريين ولاتزال معانيها حاضرة وكانها قيلت اليوم او تقال غداً ولايزال انصار «عدلى» يعيشون بيننا ، ولايزال انصار سعد يحيون بيننا . وإن تبادلوا المراكز والقوة . ولايزال مطلب شعبنا هو الديمقراطية ، ولايزال دستور ٢٣ يسبق طموحات الداعين للحرية فى بلدنا .

فماذا نكسب من وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام . وما الذى نحققه من تحطيم الرموز التى امن بها الناس واستقرت فى وجدانهم قرين الاخلاص والثبات على الحق والعدل والحرية . وما الذى تكسبه «الموضوعية التاريخية» من إصابة الناس بالحيرة وإفقادها ثقتها بنفسها وبتاريخها .

إنها لطامة كبرى بل واى طامة ... أن يكون سعد زغلول متهما اليوم ، وان يكون ورثة عدلى طلقاء .. !!!

أسامة خالد



الرجل الشجرة ... زكريا!

بقلم : محمود السعدني

لا يبعث الاسى فى نفسى مثل صفير باخرة تغادر الميناء فى الليل . ولا تمتلىء نفسى بالشجن كامتلائها لصوت قطار يتهب القرى والمدن والليل قبل لحظات من طلوع الفجر وفى الوقت الذى اتاهب فيه للنوم ! ومنظر البحر يذكرني ببلاد بعيدة وايام سعيدة قضيتها هناك ! واشجار الجميز بالذات تذكرنى بايام طفولتى البريئة الهنيئة وسنوات من العمر قضيتها تحت اغصانها على شاطىء الرّياح ! والنوافذ المغلقة تذكرنى بالسجن وبالايام الميتـــة خلف جدرانه ! والرصيف يذكرنى بايام الصياعة التى بددناها فى مناقشـــات بيزنطية وديالوجات سخيفة ، ولكنها بالرغم من ذلك كانت اياما مجيدة ، لاننا تصورنا خلالها اننا ملكنا كنوز المعرفة ، واننا توصلنا إلى معرفة سر الكون : فلما اكتشفنا الحقيقية بعد ذلك ادركنا فى الوقت نفسه ان العمر قد ولى وان الوقت قد فات ! والحقيقة التى اكتشفناها بعد فوات الاوان هى اننا لا نعرف شيئا ، وان ما نعرفه هو اقل مما يجب واتفه مما ينبغى ، وان الكتب كثيرة والعمر قصير ! وان المعرفة طريق ليس له نهاية . بينما الانسان يولد ليموت ، وانه يقرا لينسى ويتعلم ليكتشف فى النهاية أنه اصبح اجهل مما كان ! وبعض أصدقائى الذين ماتوا نسيتهم تماما والبعض الآخر اذكره احيانا ، وقلة قليلة منهم لم يغيبوا لحظة واحدة عن ذاكرتى ، ولا يمر يوم واحد من عمرى دون ان اذكرهم عدة مرات ! من هؤلاء كامل الشناوى الذى تعرفت عليه فى بداية الخمسينات والذى تعرفت عنده على عدد من مشاهير الجيل وكانوا يخطون اولى خطواتهم فى الحياة ! منهم ايضـــــا عبد الحليم حافظ الذى تعرفت عليه فى قهوة بلدى فى عابدين ، واحسست بشىء ما يشدنى إليه ، ربما لانه كان مثل حالى مرهقا ومكسور الخاطر ووحيدا فى الحياة ! ومنهم سعيد أبو بكر المضحك العظيم الذى عاش حياة قصيرة وعاصفة وساءت احواله فى نهاية العمر ، ومات ممرورا من الناس ومن الحياة ! ومنهم زكريا الحجاوى الذى كان جزءا من الحياة ذاتها ، كانه نتوء خرج منها او طريق متعرج فى شعابها ، او ظاهرة من ظواهرها كالمطر والرعد والزلزال ! ولعل موت زكريا الحجاوى هو الحادث الوحيد الذى هز اعماقى مثل جذع شجرة طيب كشجرة جميز حلو المذاق،كثمار المانجو . وكان امير الصياع بلا جدال ، كان يعشق مصر ولعل ذلك هو السبب الذى جعله يطوف فى ارجائها على قدميه . وكانت مصر عنده هى القرية ، والشعب عنده هم الفلاحون ، والحياة البسيطة الرتيبة هى الحياة المثلى . وكان يردد دائما خصوصا فى اوقات المحن والازمات .. لا أريد من الحياة أكثر من قيراط واحد من الارض وشجرة وحصيرة افرشها تحت اغصانها واتمدد عليها وبجانبى قلة فخار لتبريد الماء ! هذه كانت كل احلامه ، ومدى مطامعه فى الحياة . ولم تكن هذه الاحلام تكلف اكثر من خمسمائة دينار كويتي لتصبح من حقائق الحياة ! ومع ذلك مات الفنان الكاتب الاديب زكريا الحجاوى دون ان يحقق حلمه . وغادر الحياة دون ان تتهيا له فرصة ليرتاح لحظة ! وظل يسعى من اجل أكل العيش حتى بعد ان اعتل قلبه واختل نبضه ! الغريب ان هناك ادباء وكتابا اقل فنا من زكريا الحجاوى واقل موهبة واقل عطاء يملكون قصوراً على شاطىء القناة وبعضهم يملك قصوراً على شاطىء النيل والبعض يملك ضياعا فى ريف مصر ! ولعل هذا هو السبب الحقيقى الذى صدمنى بشدة فى موت زكريا الحجاوى . فهو قطع رحلة حياته بين الميلاد والموت بالخطوة السريعة ! كانه عسكرى جيش اتى افعالا من شـــانها الاهمال وعدم الانضباط ومخالفة الاوامر العسكرية ! وهو عاش كانه مشدود إلى جذع شجرة والسياط تلهب ظهره ، عقوبة مسجون خالف اللوائح ، وخرج عن تعليمات البيك المامور ! ومع ذلك ما اصفى ضحكته حين كان يضحك ، وما اعمق فرحته حين كان يفرح . وما اهدا نفسه حتى فى لحظات الخيبة والاحساس بالضياع ! ولازلت برغم السنين الطويلة اذكر أول لحظة رايت فيها زكريا الحجاوى . شدنى صديق من يدى الى بيته فى حارة مظلمة من حوارى الجيزة . كان عندى من العمر عشرون عاما ومعى من الفن قصة





زكريا الحجاوى



كامل الشناوى



عبد الحليم حافظ

قصيرة . واكتشفت ان بيت زكريا كان عاريا تماما من الاثاث ، كانه زنزانة يقضى فيها فترة عقوبة . ولكنه استقبلني ببشاشة وقرا قصتى باهتمام . وطلب منى أن اقرا كثيرا وان اقرا خصوصا فى التراث ، وذكر امامى عدة كتب كنت لحظتها اسمع اسمها لاول مرة ودلنى على الجبرتى وابن إياس وقال وهو يدخن بشراهة سجاير رخيصة ، إقرا الف ليلة وليلة انهـــا أم الفن القصصى ليس بالنسبة للعرب فقط ولكن بالنسبة للعالم . وقضيت عدة ساعات مع زكريا الحجاوى فى منزله وشعرت بحجم المحنة التى يعيشها ! فقد كان البيت شديد الضيق والعائلة كثيرة الافراد . وحكى لى فى بساطة قصة حياته وكاننا اصدقاء منذ الف عام . لقد تزوج من فتاة احلامه وعاش معها احلى ايام العمر ، ثم اضطر إلى الانفصال عنها لأن اخاه الأكبر توفى فجاة تاركا زوجة ونصف دستة من الأبناء . واضطر زكريا الحجاوى للزواج من زوجة اخيه لكى يعول ابناءها ، هكذا بشهامة وببساطة وبدون تعقيدات !

وعندما غادرت منزل زكريا الحجاوى كانت الشمس قد اذنت بالمغيب ، وكان الجو حارا لم يزل ، ولم اكن وحدى حين غادرت منزل زكريا ، بل كان زكريا معى ، وعرجنا فى طريقنا على دكان سجاير اخذ زكريا منه حاجته من الصنف الرخيص الذى كان يدخنه . وهمس فى اذن صاحب الدكان بكلمات ، وسرعان مافتح الرجل الطيب الدرج وتناول منه عشرة قروش فضة ودسها فى يده . ومضى زكريا الحجاوى يقطع الطريق من الدكان إلى ميدان الجيزة فى خطوات ثابتة وقوية ومتعالية . واندهشت لشعبيته الواسعة فى الجيزة فقد اضطر إلى التوقف عدة مرات ليصافح بعض المارة ، واعتذر لكثيرين من الجالسين على الارصفة عن شرب الشاى معهم لان عليه ان يذهب إلى موعد هام ! وبعد رحلة استغرقت وقتا طويلا وصل زكريا الحجاوى إلى قهوة محمد عبد الله ، وكانت هذه اول مرة اجلس فيها على قهوة عبد الله .

وكانت اول مرة ايضا أرى فيهـا أنـور المعداوى ورشدى صالح وسيد قطب ونزار قبانى . وخيل إلى اول الامر ان نزار قبانى ممثل سينما جاء يسرى عن نفسه بالجلوس بعض الوقت مع الادباء والشـــعراء . وجلست بجوار زكريا الحجاوى بعد ان قدمني إلى الجالسين قائلا .. الأســـتاذ محمود السعدنى الكاتب الفنـــان .. !! وشعرت بخجل شديد وغيظ اشد . فقـــد ظننت انه يسخر مني ! فلم اكن استاذا ولم اشعر يوما ما بانني كاتب او فنان . وكنت اخجل من عرض انتاجى على احد . والسبب اننى عرضت انتاجى ذات مرة على بعض أصدقائى ولكنهم سخروا منى . وحتى الذين احترموا انتاجى همسوا فيما بينهم باننى سرقت القصص التى قراتها عليهم من بعض الكتب ! ولـــكنى بلعت ما تصورت انه اهانة من زكريا الحجاوى وجلست بين المجموعة صامتا . فجاة سالنى أنور المعداوى ، وليك انتاج يا استاذ ؟ ورد زكريا الحجاوى على الفور ، معاه قصة جاهزة ، انا باعتبرها بداية جيدة . وتناول أنور المعداوى القصة التى كنت احشو بها جيبى وطالعها فى صمت فى الوقت الذى كانت عينى تتابعه فى قلق ، فجاة توقف عن القراءة وشارك فى الحديث واحسست اننى انتهيت وتمنيت ان تنشق الأرض وتبتلعنى . فها هو انور المعداوى قرا القصة ولم تعجبه . بدليل انه توقف عن القراءة واشترك فى الحديث ! وهممت ان اغادر القهوة وان اذهب إلى اى مكان بحيث لا يقع بصر احدهم على بعد ذلك . ولكن شجاعتى خانتنى واحسست ببرودة تسرى فى اوصالى ، وبان ساقيَّ ترتعشان ثم شعرت فجاة بان ريقى جف ، واننى فى حاجة إلى كوب شاى ساخن ، ولم يكن فى الجالسين احد اعتبره صديقا لاطلب كوبا من الشاى على حسابه ، كما انه لم يكن معى نقود لاطلب كوبا من الشاى لنفسى . ولا ادرى إلى اين ذهبت بفكرى عن قهوة عبد الله . ولكني انتبهت فجاة على انور المعداوى وهو يجرى ببصره على سطور القصة . وخفق قلبى من جديد ، فهؤلاء الناس نوع ، اخر من البشر ، ليس من عينة اصدقائى الذين يشاركونى لعب الكرة ! وظل انور المعداوى يقرا حتى انتهى منها تماما . ثم نظر إلى طويلا وكانه يتفحصنى



الرجل الشجرة ... زكريا!

وقال معلقا على القصة .. انا الاحظ انك بتكرر الفاظ معينة كثيرة . ورد زكريا الحجاوى قائلا وانا لاحظت نفس الملاحظة واعتقد ان السبب فى كده ، ان حصيلته اللغوية مش تمام ، عشان كده نصحته يقرا كتير ، وخصوصاً فى كتب التراث » ورد انور المعداوى ، « مش مشكلة ، المهم ان الكاتب يعبر بالالفاظ اللى عنده ، اللغة وسيلة مش غاية يا زكريا » ! ودخل الاثنان نقاشا حول الموضوع ، واشترك الحاضرون فى المناقشة ، وبينما كان النقاش محتدما كنت انا فى واد اخر ، فهذا النقاش كله كان حول قصة من تاليفى . انا اصبحت إذن مادة لمناقشات صالونات الادب فى القاهرة وشعرت باننى انتفخ ، وباننى ازداد وزنا ، وخيل إلى اننى ساطير فى الهواء ، وجلست وسط الحاضرين كاننى الجاحظ فى مجلس من مجالس الادب بالبصرة ! ولكني سرعان ما تضاءلت ، وانكمشت فى مكانى كاننى بالونة ثقبها احد العابثين بابرة خياطة . فقد وصل إلى مجلس الحكماء رجل معمم انيق بدرجة ملفتة يرتدى زى كبار المشايخ فى الازهر . وعليه سمات الجد والعظمة . صافح الحاضرين ، وانحنى باحترام وهو يسلم على انور المعداوى . وأبدى نفس الاحترام لسيد قطب ، وصافح رشدى صالح فى ادب ، وسب زكريا الحجاوى وهو يمد له اطراف أصابعه . وضحك زكريا وهو يصافح « مولانا الشيخ » ونظر الرجل المعمم نحوى بازدراء شديد اهاج جميع مواجعي . ومد لى طراطيف اصابعه ، وانتهز فرصة وقوفى لمصافحته فجلس على مقعدى ! ووقفت حائراً كفلاح نزل مطار لندن لاول مرة ؟ وانتبه انور المعداوى للمازق الذى انا فيه فقال للشيخ المعمم « انت يا عبد الحميد خدت كرسى الأستاذ » ! ورد عبد الحميد ساخرا الله ، هوه دا استاذ ؟ طيب لا مؤاخذة يا استاذ » ! وهممت بان اضرب المعمم قلما على قفاه واطلق ساقى للريح . ولكنى تجمدت ولم ادر كيف اتصرف ! المهم انه بانتهاء السهرة فى منتصف الليل كنت قد خرجت بصديقين من قهوة عبد الله : زكريا الحجاوى الطيب ، اما الصديق الاخر فهو نفس الرجل المعمم الذى عاملنى بجفاء وسخر منى بفظاظة ، والمهم اننا صرنا صديقين إلى اخر العمر . مولانا الشيخ عبد الحميد قطامش ، المحامى الشرعى ، وأحد ظرفاء مصر الكبار ، المغرور المظهر ، المسحوق فى الواقع ، اكثر المشاهير فى عصرنا طيبة وقلقا وهماً وعقداً ، واعظم دليل على ان المصرى يستطيع ان يصنع — برغم كل الظروف — اعظم المعجزات ويالها من ليلة التقيت فيها بعدد من مشاهير عصرنا ، وكنت لم ازل شابا فى العشرين قليل العلم ولكن كثير التجربة شديد اليقظة عظيم الطموح . ولكن طموح الفقراء — كما يقول عبد الحميد قطامش كالفقاعات ، عندما يصطدم بالواقع الاليم سرعان ما ينفجر ولا يخلف وراءه الا قروح وجروح . وللحديث بقية !

محمود السعدنى

على ضوء الكارثة المشتعلة فى لبنان ، والتى لن يرحم التاريخ احداً من العرب او المسلمين المعاصرين من مسئولية تسجيرها ، نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونقول :

من عجائب صنع الله فى هذا الكون الفسيح ، انه جعل لكل شىء مواصفات ، سواء أكان هذا الشىء ذرة ، او فيلا ، او جبلا ، او حمارا ، او امة من البشر او الطير ، او النمل او الحيتان والبلم فى البحر ، واذا فقد الشىء ايا من مواصفاته تلك ، فانه لا يصبح ذلك الشىء .. فاذا كان ذلك الشىء حجراً بعينه فلابد أن تكون له صفات تخصه وتميزه ، وتحفظ له اسمه بين بقية مخلوقات الله من الجماد ، من حيث الكثافة والصلابة والصلادة واللون والمسامية والنفاذية وقوة تحمل الضغط ، والتوصيل الكهربائى والمغناطيسية ، وما الى ذلك من عديد الصفات التى يبوبها الكيماويون والفيزيائيون والجيولوجيون ، لتوصيف ذلك الصخر او الحجر ورصد مميزاته ، وبالتالى فوائده ومنافعه ..

وإذا كان ذلك الشىء أمة من البشر ، تصر على ان توصف بانها أمة واحدة ، فلابد لها من سمات تلزم الناس ، عمليا ، باحترام ذلك الاصرار ، من وحدة فى اللغة والعقيدة والفكر وانماط العيش ، والآمال والآلام والموقع الجغرافى ، والموقع التاريخى فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وإلا ، فان اى مجموعة من البشر تتخيل (أنها امة) مع ضياع اى من تلك الصفات ، تكون بلهاء واهمة يحتقرها الاخرون ، ولا يالون جهدا فى خداعها وحصارها وتفريغ محتواها التراثى ، وإخراجها من حلبة صناعة التاريخ ، ثم إبادتها ، او تحويلها الى طوائف من الخدم و(المرمطونات) التى تاكل لتعيش وتاتمر بامر العدو والصديق دون تمييز بينهما .

والامم ، على الرغم من مستجدات العصر التى قصرت بها المسافات حتى اصبح ما يجرى فى العالم كله معروفا لكل الناس فى لحظات ، لازالت مثل اطباق الطعام الاصيلة ، لا يسعفها الاكلون ، ولا تهضمها عصارات المعدة والامعاء بما يعود على الجسم

الوحدة أو الفناء

بقلم : درويش مصطفى الفار

بالفائدة والنفع ، إذا اخل (الطهاة) باصولها ، وحاولوا إدخال الغرائب والشواذ فى تركيبتها الاصلية ، كان يحاول متفلسف ان يطور (طبق الملوخية) باضافة شىء من الجزر اليه ، بدعوى رفع نسبة الكاروتين او فيتامين أ فيه ، او ان يطبخ (البامية) بمرقة زعانف سمك القرش لمنافع فيها يعرفها اهل الصين ..

والأمة العربية ، رغم حاضرها الاليم ، لازالت امة واحدة تعرف تاريخها حقيقة المعرفة ، وتعرف العامل الأوحد الذى استطاع ان يربط اواصرها ويوحد صفها قرونا عدة على قلب رجل واحد ، ويعرف العقلاء فيها كل المعرفة ، ان جميع الاعمال المعادية لوحدة هذه الامة من جديد ، إنما تهدف اساسا لصرف تفكيرها عن ذلك (العامل الأوحد) بمختلف الاساليب والطرق والمكائد والاحابيل والمغريات والمفسدين ...

ولقد غدت اقطار الامة العربية خلال نصف القرن المنصرم (معمل تجارب) لكل أنواع (الايديولوجيات) فكانت نتيجة ذلك كله ، ما يحدث اليوم فى لبنان ، ناهيك عما يحدث فيما بين اقصى المشرق والمغرب من ازمات وفتن وقلاقل وإراقة للدماء والاموال والجهود ، وتبادل للتهم والشتائم ، والبحث عن المشاجب والتعلات ، وحب التسلط ، وعبادة الحكم والسيطرة ، وتكميم الافواه ، وسلب حرية (الاغلبية) والبطش والتنكيل بالرأى المعارض ، وفتح الثغرات للمارقين والمرتدين والزنادقة والمرتزقة والمنافقين من خلال تكريس الجمود والتحجر والانغلاقية ، مما أدى بنا الى حيث نحن اليوم ، مما لا يحسدنا احد عليه ، ولا يحتاج الى شرح

فنحن اليوم على مفترق الطرق ، ولامناص من ان نختار :

أ ـ إما ان ينفض السامر ، وينصرف السمار ، كل الى شانه وما يعنيه ، معلنا العدول عن (وهم) الامة العربية الواحدة ، ولتعش كل دولة عربية داخل حدودها ، وتحت رايتها ، تختار من النظم ما تشاء ، وتبنى علاقاتها فى المجتمع الدولى كما تهوى وتريد ، لا تزر وازرة وزر اخرى ، ولا يسال حميم حميما ، ويستريح الجميع من مؤتمرات ولجان لا تعقد إلا لتنفض ، دون أن تشفى علة او تروى غليلا ...

ب ـ وإما ان نرفض الفناء ، ونحترم ماضينا ومستقبلنا ، باجراء تغييرات شجاعة حرة الارادة ، فى هذا الحاضر التعيس الذى نعيشه اليوم ، تغييرات لحمتها وسداها الفكر الاسلامى الصحيح العقلانى الذى لا تحتكره الفئة الواحدة ، ولا يسيطر عليه المذهب الواحد الضيق ، فى دستور شامل لكل اقطار الامة العربية ، تمهيدا لوحدتها على مراحل ، ويكون هذا الدستور هو الاطار المستخرج من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المشرفة ، والذى يظلل كل نظم الحكم فى كل الاقطار العربية بمختلف انماطها ، ويكون مدار (حرية الرأى الاسلامية) حيز النقد او التوجيه او تسليط الضوء على الخطأ والصواب بصحافة مسلمة صادقة لا تخشى فى الحق لومة لائم ولا تسبح إلا بحمد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن سلك طريقهما من الحكام .

ويبدأ الاصلاح ، فى اعتقادنا كما يلى :

١ ـ انتقاء جماعة من أهل الفقه والرأى والعلم من كافة الاقطار العربية ، من المشهود لهم بالخلق الحسن والعقل المستنير وعدم التبعية لاية جهات أجنبية شرقية ام غربية ام خفية ، وهؤلاء عليهم صياغة (الصفات) التى تجعل من هذه الأمة العربية (شيئا) له مواصفات يحترم بها بين الناس ...

٢ ـ اعلان الوحدة ، على اختلاف النظم ، فورا بين اقطار الأمة العربية المتاخمة فى الأقاليم المتجاورة التالية :

أ ـ الجزيرة العربية ، المملكة العربية السعودية وامارات الخليج جميعا ، وسلطنة عمان واليمن جنوبه وشماله ، والصومال وجيبوتى .

ب ـ العراق والشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)

جـ ـ مصر والسودان وليبيا .

د ـ دول المغرب ، تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا .

لتصبح هذه الوحدات الاربع ، وحدة واحدة متكاملة بعد فترة ، لا يحكمها رجل واحد ، بل تحكمها مؤسسات من الرجال المسلمين ، هذا ملك وهذا رئيس وهذا امير ، متساوين امام الحق والواجب يسعى بذمتهم ادناهم ، وتكون رئاسة الجلسة للأكبر سنا او من ينيبه ، والحكم امانة بينهم وليس مغنما دنيويا .. على ان يواكب هذه المرحلة انشاء مؤسسات عربية ، اسلامية الفكر والفلسفة لصناعة الاطر والقواعد ، النافعة لكل الاقطار العربية ومستقبلها فيما يلى :

١ ـ الزراعة والثروة الحيوانية ، بما يكفل الا يجوع قطر عربى ولا يعرى ولا يستورد طعامه .

٢ ـ الثروة المعدنية ، بحيث لا نصدر خاما إلا بعد أن نصنعه مرحلة على الأقل .

٣ ـ الثروات البحرية ، بحيث ناكل من البحر والنهر لحما طريا ونتخذهما سبل مواصلات بكل فعالية ، وباساطيل نصنعها نحن ونمتلكها نحن .

٤ ـ الطاقة ، بحيث لا نظل موضع صدقات العلم والتكنولوجيا الأجنبية لاسيما فى الطاقة الشمسية .

٥ ـ الاقتصاد ، بحيث يكون خيرنا لأمتنا اولا ، ولا يكون مالنا فى يد أعدائنا على الدوام

٦ ـ الصناعة ، بحيث يركب الانسان العربى سيارته التى ابدعتها ادمغة وايد عربية ١٠٠٪ .

٧ ـ إعمار الصحارى ، بحيث لا يعيرنا احد بان (غيرنا) اقدر منا على تعمير الصحراء ...

٨ ـ البحث العلمى ، بحيث نعيد فعلا لا خيالا أيام ابن سينا والرازى وابن الهيثم والبيرونى .

٩ ـ التربية والتعليم والثقافة ، بحيث تصبح أمة اول ما فى كتابها (اقرا) امة غير امية ولا محرومة من القلم والكتاب كما هى حالنا الآن .

١٠ ـ السياسة الخارجية ، بحيث تكون كلمتنا واحدة سرا وعلنا ...

١١ ـ الاعلام والرأى ، بحيث لا نقول إلا الصدق ، ولا نحجر على رأى ، بل نقارع الحجة بالحجة فى إطار ، كما اسلفنا ، من الاسلام وفلسفته ...

١٢ ـ الدفاع ، بحيث نذود عن حياضنا ، ونهش عن كرامتنا ، ونذب عن ارضنا ، ونربى جندنا على ان الموت خير من حياة الذل والتبعية وان نعلم يقينا ، ان هذا الجند لن يقبل على الموت والشهادة ، إلا بعد ان يطمئن الى ان قيادته تعمل فى ظل فلسفة لحمتها وسداها الاسلام ، وعند ذلك سوف يحترمنا التاريخ ، وتصبح لنا (الصفة) التى تضعنا فى مكاننا على سطح الأرض ...

درويش مصطفى الفار

مائة سنة مجيدة ولكن ...

دور العمائم في تاريخ مصر

بقلم : فتحي رضوان

فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ م دخلت الجيوش البريطانية ، القاهرة ، بقيادة الجنرال ولسلي ، وبذلك بدأ عهد يقطر عاراً ، ولكن مع ذلك تزاوجت فيه مع وقائع الهزائم ، مواقف البطولة ، ومشاهد التضحية ، ولمحات من العمل العظيم ، وبوارق العبقرية المشروعة ، وانبثاق الأفكار المجيدة ، والمحاولات الرائعة .

وبعد قليل ، أى بعد نحو شهرين فقط ، يدور الزمن دورة كاملة ، ويبدأ قرن جديد ، بكارثة اخرى ، اوقع فى نفوس اهل هذه المنطقة التى نعيش فيها ، واقسى عليهم من كارثة الاحتلال البريطانى ، وهى كارثة اتساع نطاق العمل الصهيونى ، ونجاحه المتوالى ، ونكوصنا على أعقابنا امامه ، وعجزنا عن رد عاديته .

وهذه المائة من السنوات ، ولو ضقنا بما جرى فيها ، وخجلنا من أكبر أحداثها ، وتطور الزمن فيها ، إلا أنها حقبة من أكبر حقب التاريخ المصرى والعربى خصوبة وامتلاء بارهاصات مستقبل حاسم ، ستتغير فيه صورة الوطن العربى ، تغيراً يخرج منه شعب جديد ، غاية الجدة ، برىء من افات التواكل والعجز والضعف والجهل ، والخوف من الآخرين ، والتسليم بالأمر الواقع ، ومواجهة المشكلات بالكلام ، وإساءة الظن بالناس .

ولاتحسبن انى ساكتب موعظة ، أعزى بها نفسى عن سوء حالنا اليوم بوصف امال براقة واحلام اخاذة ، قد لا يتحقق منها شىء ، بل إننى ساتناول هنا ، موضوعاً آخر لا يمت الى هذه الامانى التى تاسو الجراح ، وتهدىء الأوجاع ، فاننى ارى أن المائة سنة الماضية ، تستحق ان نتناولها بالتحليل .

رجال .. ومواقف

وقبل ان نبدأ التحليل ، نحاول عملية مسح شاملة ، تحصي جميع الاعمال والمواقف ذات التاثير الحاسم فى حياتنا ، ثم عملية إحصاء للشخصيات الكبيرة التى لعبت أدواراً كبيرة على مسرح العمل العام ، سواء كانت من المرضي عنهم ، والمقر بفضلهم ، أو المغضوب عليهم والضالين ، على الا يقتصر هذا الاحصاء على رجال السياسة وحدهم ، بل يجب أن تتسع دائرة الاحصاء فتشمل رجال الفكر : أدباء ، وفنانين ، ورجال تربية وتعليم ، ورجال ثقافة عامة ، وصحافة ، ورجال اقتصاد ومال ، ورجال حرب واعمال ، ثم نقوم بعملية إحصاء للمواقف التى نراها قد غيرت وجه التاريخ فى بلادنا ، ومقدمات هذه المواقف ، ونتائجها ، ثم نقسم هؤلاء جميعاً الى فئات وطوائف من حيث وسيلة عملهم ، وزمان ظهورهم ، وتربيتهم بين أشباههم وأندادهم ، من حيث الظهور وبعد الصيت ، وخفاء الأثر ووضوحه ، ومن حيث قربهم من الشعب وبعدهم عنه .

ثم نحصى العقبات التى اعترضت سبل الشعب ، وأسبابها ، وما كان منها من اثر العصر ، وما كان منها من عمل الأعداء ، وما كان منها من اهمالنا وسوء تدبيرنا وقلة حيلتنا .

وقد كنت على وشك القول بانه من الأفضل ان تنهض بهذه المهمة لجنة كبرى ، تتفرع عنها لجان ، تختص كل منها بفرع من فروع حياتنا ، لولا إننى سيىء الظن باللجان ، وبقلة جدواها ، حتى ولو ضمت أكبر العقول ، وأعظم الشخصيات ، فاكثر الفحول ، لا يحسنون العمل مع غيرهم ، وإن اتقنوه وحدهم ، وإن انفردوا بالعمل قد تغلبهم ارتباطاتهم الشخصية ، وأعباؤهم الفردية .

فالأمثل أن نعلن للناس ، أبواب العمل الذى نتمنى القيام به ، وندع لكل ذى همة ومروءة وموهبة واريحية ، ان يخصص جانباً من وقته ، وأن يقف عليها قدراً من اهتمامه وعنايته ، مستعيناً بغيره ، أو مكتفيا

بمواهبه ، وحسن استعداده ، ويقدمه لجهة ما لنشره ، مع مقدمة لشخصية ادبية او علمية ، تبين الهدف العام من الاعمال المتشابهة ، واتصالها بعضها ببعض ، وقد يكون لهذا العمل ، إن كتب له النجاح فى مصر ان يكون له اثره فى سائر البلاد العربية ، فيجتمع بين ايدينا وثيقة شاملة ، تعكس لنا صورة العالم العربى ، فى المائة سنة الماضية ودواعى النجاح ، واسباب الفشل ، والاسماء الكبيرة التى ظفرت بالاعجاب والتقدير ، والأعمال الكبيرة التى تمت ، والاعمال الكبيرة التى لم تتم ، والاعمال التى تعتبر صغيرة ، لأنها ماتت فى المهد ، أو لم يسمح لها إلا أن تخطو القليل ، ثم تركد وتخلد الى الكسل .

ويخيل إلي ، اننا لم نصطنع الاسلوب التقليدى ، فى تصنيف الرجال والاعمال والمشروعات .

فمثلا انا اقترح بابا من أبواب هذا البحث الشامل ، عنوانه «أثرذوى العمائم فى مصر» .

وعلى الرغم من اننى لم استعد لهذا الفصل ، إلا اننى سامضى فى المحاولة ، كمجرد نموذج ، لما اعنيه من التجديد فى التصنيف .

واعتمد على الله فاقول :

يحسب اكثر الناس أن تاريخ مصر ، صاغته أيدى رجال ، طلبوا العلم فى المدارس المصرية المدنية ، فى درجاتها الثلاث :

الابتدائية ، والثانوية ، والعليا ، وانهم كانوا علمانيين ، لا ينتسبون الى معاهد العلم الدينى ، ولا يحسنون التعبير عن أنفسهم ، منهم ممن يحفظون القرآن ، أو ممن حفظوا جانبا منه ثم نسوه ، وممن درسوا الحديث ، وتعلموا كيف يميزون بين ما كان منه حسنا وما كان ضعيفا ، وما كان منكرا ، ثم طوحت بهم الاقدار الى دنيا إخوانهم ممن حصلوا العلم فى مدارس الحكومة ، التى لم تكن تلقن من الدين إلا اقل القليل ، ولم تكن تعنى باللغة العربية إلا الى الحد الذى يعين الطالب على معرفة القواعد الأصلية ، فيرفع الفاعل وينصب المفعول ، ويعرف الفرق بين اسم كان وخبرها واسم إن وخبرها ، ثم يجهل ما وراء ذلك جهلا تاما .

ولكن عند التامل فى تاريخ مصر الحديث الذى يبدأ منذ ولى محمد علي سدة الحكم سنة ١٨٠٥ م ، أو منذ وفد الى مصر نابليون بونابرت ، القائد الفرنسى الشاب فى أعقاب الثورة الفرنسية ، التى وقعت فى سنة ١٧٨٩ م على رأس جيش لا هو بالضخم ، ولا هو بالضئيل ، والذى ضم فيمن ضم جيشا أصغر منه بكثير من علماء فرنسا ، وفنانيها



عمر مكرم

ومؤرخيها ، كان اخطر من الجيش المحارب ذاته ، وقد وصل الجيشان الى ميناء الاسكندرية فى ٣ يوليو ١٧٩٨ م أى بعد اندلاع الثورة بتسعة أعوام .

اتصلت مصر باوروبا ، إذ اتصلت بجيش فرنسا ، وكان اللقاء اول الأمر مصحوبا بالوحشة والتوجس والانقباض ، فقد كانت مصر فى ظل الحكم العثمانى معزولة عن العالم تماما ، لا تدرى من أمره ــ ولاسيما الجانب الغربى منه ــ أقل القليل ، فاذا باوروبا ، تدفع ببضعة الاف من شبابها ورجالها ، يجوسون خلال الديار ، ويقيمون بين ظهرانى المصريين ، ويؤرخ لنا ابن الأزهر عبد الرحمن الجبرتى ، فى كتابه النادر «عجائب الاخبار فى التراجم والأخبار» وقائع وانباء هذه الملحمة الكبرى ، ملحمة اتصال المصريين ورثة الحضارات والثقافات باوروبا الحديثة ، التى بدات تنشىء حضارة جديدة وتقتبس ثقافة لنفسها من ثقافات مصر والعرب ، التى علمت الناس وهذبتهم قرونا عديدة .

إذا تامل الانسان فى تاريخ مصر الحديث ، منذ بدأ ، حتى اللحظة التى نكتب فيها هذه السطور ، ظهرت له حقيقة غريبة ، وهى أن مصر الحديثة ، صاغها وصورها والهمها بالفكر ، ودعاها الى العمل ، ورسم لها طريق النهضة ، شيوخ لم يتخلوا عن العمامة ، ولا عن الجبة والقفطان ، وحرصوا على أصول الحياة القديمة فى الدار وفى خارج الدار ، فاكلوا وشربوا ، وتبادلوا احاديث الانس ، على النسق الذى حرص عليه وتابعه اباؤهم واجدادهم ، وان هؤلاء الشيوخ ، على شدة حرصهم على سالف العادات ، وقديم المناهج ، كانوا قادة حركات تجديد ، ورواد نهضات تحرر ، وباذرى جذور ثورة ، وطليعة عهد جديد ، وانهم ثاروا وتمردوا ، واصطدموا



محمد عبده

بقوى اكبر منهم ، ولكنهم لم يتزلزلوا ولم يتخلوا عن رسالتهم ، ولم يداخلهم الخوف ، أو يتسرب اليهم الشعور بالنقص .

المعممون فى كل مجال

وقد يحسن ان نكتب ثبتا بهؤلاء الشيوخ المعممين ، والثوار والرواد والمحررين ، فوجود اسمائهم ، بعضهم الى بعض ، يبرز الصورة التى نريد ان تلفت السمع والبصر ، وهم على الترتيب :

- السيد عمر مكرم افندى نقيب الأشراف .
- الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى إمام بعثة الشبان المصريين بفرنسا .
- الشيخ محمد عبده محرر جريدة الوقائع المصرية .
- الشيخ عبد الله النديم الصحفى وخطيب الثورة العرابية وكاتبها .
- الشيخ عبد العزيز جاويش محرر جريدة اللواء ــ جريدة الحزب الوطنى ــ حزب مصطفى كامل .
- الشيخ علي يوسف باشا منشىء ومحرر جريدة المؤيد .
- الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى المحرر بجريدة المؤيد والموظف بمجلس النواب .

وبوسعك أن تضيف اليهم شيخا معمما ، اتقن علوم الاسلام ، وكان فى الصدر من شيوخ هذا الدين ، ونعنى به السيد جمال الدين الافغانى ، لولا أن إقامته فى مصر لم تطل ، ولولا أنه لم يكن من شيوخ مصر ، وإن تاثر به وحاكاه ونهج منهجه ، عدد ضخم من رواد الثورة فى مصر .

فاذا أردت أن تضيف ــ غير متجن على الواقع ــ عددا من شيوخ الأزهر ، الذين غيروا زيهم ، والتمسوا العلم ، فى مدارس الحكومة

الحديثة ، وحاكوا أهل الغرب ، ولم يعد أحد يناديهم بلقب الشيخ ، إلا تطرفاً ، وتذكيراً بالماضي المنسي ، فان الترتيب سيطول ، وإن كان يضم عدداً من أضخم الزعماء تأثيراً على عقول الأجيال التي عاصرتهم ، والتي جاءت بعدهم ، وفي مقدمة هؤلاء : علي مبارك وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي ، وطه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، ومحمد المهياوي ، وصادق عنبر ، وعلي الجارم ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمد عبد الحليم عبد الله .

وإذا بعدت قليلا عن دنيا الأدب والفكر الى دنيا الفن ، لوجدت أن أكبر مطربي مصر ، وصانعي ألحانها ، ومجددي موسيقاها ، يحملون لقب شيخ ، وقد بقي هذا اللقب لصيقاً بهم ، وهم في مجالات الغناء والطرب ، وفي قاعات اللهو والمتعة ، وكان أولى بهذا اللقب ألا يفارق أهل القلم أمثال طه حسين ، وأهل البيان أمثال سعد زغلول وابراهيم الهلباوي ، ولكنه هاب السلطة فاثر البعد ، وبقي كبار مطربي مصر بلقب الشيخ ، ينادون به دائما أمثال : الشيخ سلامة حجازي والشيخ سيد درويش والشيخ زكريا أحمد والشيخ محمد أبو العلا ، والشيخ سيد مكاوي . ولا يفوتنك أن بيرم التونسي ، الذي بعث بقصائده وأزجاله وفكاهاته ودعاباته ، الروح في الأغاني المصرية ، والروايات الغنائية (الأوبريتات) ، ومقالات الدعابة والنقد الأدبي والاجتماعي والهجو السياسي بدأ حياته أزهرياً في معهد ديني بالاسكندرية لعله معهد الشيخ ابراهيم باشا .

السيد عمر مكرم

ولنبدأ بأول أبطالنا المعممين السيد عمر مكرم ، وكان أزهرياً قحاً ، زين المنصب الذي يشغله ـ هو نقابة الأشراف ، أي أبناء وأحفاد رسول الله ـ منصباً دينياً .

ولد السيد عمر مكرم في أسيوط سنة ١٧٥٥ م على ما يستنتجه مؤرخه المرحوم فريد أبو حديد وقد تعلم في الأزهر ، وتخرج فيه ، وقد كانت له عناية بقراءة كتب الدين والفقه ، واقتنى مكتبة كبيرة ، لايزال جزء منها في دار الكتب المصرية يحمل اسمه .

ولست أنوي أن أروي تاريخ عمر مكرم كله وإن كان تاريخاً يتضوع منه عطر الجهاد ، في حلقات متصلة بعضها ببعض ، لم تدع له سبيلا الى الراحة ، فمنذ جاء الفرنسيون الى مصر ، بقيادة بونابرت ، وعمر مكرم هو زعيم مصر غير منازع ، وهو لا يقنع بتزعم الجماهير والتصدي لمخاطر مواجهة الأعداء الأجانب ، المدججين بالسلاح ، والمدربين على القتال ، بل انه تحمل أعباء توجيه السياسة ، والخوض في دروبها الضيقة ، ومعاناة السير في مازقها المحرجة ، فهو لا يهادن الفرنسيين ، كما فعل كل أعيان مصر ، أمثال السادات والشرقاوي ، وبقي عمر مكرم ـ بعد وصول الفرنسيين الى القاهرة ـ خارج مصر ، رافضاً أن تتم بينه وبين الفرنسيين هدنة على الرغم من شدة رغبة الفرنسيين في عودته ، حتى يطمئن نفوس المصريين ، وبقي عمر مكرم يتنقل من موقع الى موقع ، وهو روح المقاومة ، فمن المنصورة الى يافا ، فلما أخطأ نابليون وقتل من أهل يافا ستة آلاف ، رأى نفسه عاجزاً عن مواصلة القتال ، ومد يد الصلح والمسالمة للسيد عمر مكرم ، ورجاه أن يعود الى القاهرة مكرماً معززاً ، ولم يأت الى مصر إلا بعد أن ثارت القاهرة ثورتها الباهرة في أكتوبر ١٧٩٨ م بقيادة رجل الدين بدر الدين المقدي الذي كان يتلقى رسائل عمر مكرم وهو في يافا ، يحرض الجماهير على الجهاد ، ويرسم الخطط ، فلما أجبر على العودة ، كان يتصور أنه قادر على النفخ في رماد الثورة ، وأن يؤلب جموع الشعب ضد الأعداء المغيرين ، فلما لم يجد الاستجابة التي كان يمني نفسه بها ، عاش في عزلة ، بعيداً عن الناس لأنه لم يكن يقبل أن يتصل ويعايش إلا قوماً يدفعون عن وطنهم العدوان وقد بقي عمر مكرم ، بعيداً عن قائد الفرنسيين بونابرت ، وقواد الحملة الفرنسية ، لا يتودد اليهم ، كما فعل سائر العلماء الفرنسيون لا يرضون عنه ، ولا يستطيعون أن يمسوه لعلمهم بعظم مقامه ، حتى اضطروا الى مغادرة مصر سنة ١٨٠١ م ، بعد ثورة مارس التي تلت ثورة أكتوبر ، ولما خلت مصر من الأعداء الفرنسيين ، تهيأ للاستيلاء على السلطة فيها ملوك المماليك ، أسوأ حكام عرفهم تاريخ الأمم ، وولاة تركيا الذين كانت تبعثهم ليمثلوها ، ويحكموا مصر على الرغم من أهلها ، وطليعة الغزو الانجليزي التي كانت أساطيله بقيادة سدني سميث ، ثم نلسون ، تجوب البحر الأبيض المتوسط ذهاباً وعودة .

وكان عمر مكرم في هذه الغابة المليئة بالأسود والنمور والذئاب والكلاب ، وكان وحده لا يؤيده ، ولا يسد أزره إلا إيمانه بوطنه ودينه ، وما حباه الله به من مواهب الزعيم الصلب ، والسياسي الموهوب ، فراح يشق طريقه في هذه الطرق الملتوية ، حتى هداه الأمر الى أن خير الرجال في هذه اللحظة الحرجة ، هو قائد الفرقة الالبانية الموفدة من تركيا ، ليستتب الأمن ، فقد رأى فيه ضبط النفس ، ونفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، فقرر أن يختاره حاكماً لمصر ، دون معرفة سابقة ، ولا صلة قائمة ، فايده ، وقام بعمل لا يكاد يتصوره قارىء لتاريخ هذه الفترة ، فقد أثار الشعب على والي تركيا ، ومندوب السلطان ، خليفة المسلمين ، ورفض أن يذعن لأمر هذا الوالي الذي عزل محمد علي قائد الفرقة الألبانية ، فجمع عمر مكرم الشعب في مظاهرة مستمرة في دار المحكمة الشرعية ، وأمر بمحاصرة الوالي في القلعة ، فقام أفراد الشعب بهذا الحصار ، الذي لم تشهد مصر شيئاً مثله ، وكانت المواجهة بين وال يمثل السلطة الشرعية المتمثلة في شخص الخليفة والسلطان والمؤيد بالجيش والسلاح ، وبين الشعب المصري ، شعب الفلاحين الأعزل ، يقوده عالم من علماء السياسة ، لم تتح له فرصة قيادة الجيوش ، ولا مفاوضة الحكام ، ولا تنظيم الجماهير الثائرة ، ولكنه استطاع أن يواجه في وقت واحد : الأمراء المماليك ، وقادة الفرق العسكرية الأخرى الطامعة في الحكم ، وبقية الجيش الفرنسي ، ومطامع بريطانيا . واستطاع فوق مواجهة القوى المتلاطمة ، أن يجعل من جبهة الشعب قوة ، لا تنفذ منها دسائس الأقوياء المسلحين ، ونادى بمبايعة محمد علي في المحكمة الشرعية ، وهتفت جموع الشعب في دار المحكمة بتأييد هذا الاختيار ، وتم اختيار محمد علي بوثيقة وقع عليها قاضي المحكمة الشرعية ، وتعهد فيها محمد علي بأن يحكم مصر بشروط الشعب المتمثل في علمائه الذين كان يتزعمهم السيد عمر مكرم .

ولما تولى محمد علي الحكم ، كان يمكن أن يكون عمر مكرم هو أقرب الناس للحاكم الجديد ، وأن يكسب من وراء ذلك السلطة ، ولكنه لما رأى أن (محمد علي) انحرف ، وأراد أن يستبد بالسلطة ، وأن يخرج على الميثاق المحرر بينه وبين الشعب ، تحاشاه وبعد عنه وأطلق لسانه في نقده ، فصبر (محمد علي) قليلا على (عمر مكرم) أولا لاحساسه بدينه له وبمركزه عند الناس ، ولكنه اضطر آخر الأمر أن ينفيه الى دمياط ، ولم يعد الزعيم الشيخ ، العالم المسلم المجاهد ، إلا بعد أن تقدم به السن ، وبعدت به الشيخوخة عن القتال ، إلا أنه كان طليعة الشيوخ المعممين الذين صاغوا مصر الحديثة .

وساكمل الحديث باذن الله ، عن سائر هذه الكوكبة الرائعة من أهل الفكر والقلم ، في المقال التالي .

فتحي رضوان

بقلم: عصام شريح




اريبل شارون

وزير الدفاع الاسرائيلي يقول لليهود:
ارفعوا صوتكم واضغطوا على العالم في كل مكان

في ٢٢ حزيران (يونيو) الماضي أكمل الجنرال اريئيل شارون سنة كاملة كوزير للحرب في الكيان الصهيوني ، وفي السادس من الشهر الماضي نفسه ايضا ، شن شارون حربه الوحشية على لبنان ، التي استهدفت بلوغ غايات عديدة ، ليس اهمها تدمير منظمة التحرير الفلسطينية كقوة عسكرية وسياسية ، وإنما إظهار اسرائيل في موقع الدولة العظمى ، التي بات عليها ان تتصرف في منطقة الشرق الأوسط ، بل وفي العالم على هذا الأساس !!

طرح شارون افكاره السياسية والعسكرية في مناسبات عديدة ، كان اهمها ذلك الخطاب الذي كان مقررا ان يلقيه في كانون الثاني (يناير) الماضي في صيغة محاضرة عن مشكلات اسرائيل الاستراتيجية في الثمانينات في افتتاح ندوة معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب ، لكن بسبب النقاش الذي جرى في الكنيست الاسرائيلي انذاك بخصوص قانون ضم هضبة الجولان السورية المحتلة ، لم يلق شارون تلك المحاضرة ، إلا أن الصحف الاسرائيلية قامت بنشر اهم أفكارها وفقراتها .

وفي الواقع فان الافكار التي وردت في تلك المحاضرة كانت وما تزال من الاهمية بمكان لأنها تكشف ببساطة ودون مواربة او لف ودوران ، عن النوايا التي نفذت ضد لبنان وحركة المقاومة الفلسطينية وقوات الردع العربية في لبنان ، اضافة الى افكار اخرى تكشف عن مدى المطامع الاسرائيلية ، والخطط المرسومة للتوسع في الأراضي العربية وانشاء اسرائيل الكبرى التي يقطنها خمسة عشر مليون يهودي حتى مطلع القرن القادم .

وقد حاول شارون ان يقدم نفسه كرجل مرحلة تاريخية فاصلة ، وفي هذا الاطار قالت صحيفة « عل هامشمار » الصهيونية ، ان الخطاب مهم لأن « وزير الدفاع » يعرض فيه « مبدأ شارون » ، اي ان وزير الحرب الاسرائيلي حاول ان يدخل التاريخ من باب المبادىء كما هو الحال مع « مبدأ مونرو » الذي اعلن فيه رئيس الولايات المتحدة ان امريكا الجنوبية هي منطقة نفوذ امريكي ، وأنها – اي الولايات المتحدة – لن تسمح للدول الاوروبية العظمى بالتدخل في هذه المنطقة ، كما حدد « مبدأ ترومان » بعد الحرب العالمية الثانية مناطق النفوذ الامريكي في جنوب اوروبا ، والتي شملت دولا مثل اليابان وتركيا . وعالم الدبلوماسية حافل بمبادىء من هذا النوع ، منها « مبدأ بريجنيف » الذي يبيح للاتحاد السوفيتي التدخل في الدول الاشتراكية ، عندما يلوح خطر يتهدد انظمة تلك البلدان ، ثم اخيرا « مبدأ كارتر » الذي قضى بتشكيل « قوات التدخل السريع » الامريكية ، من أجل التدخل عسكريا في اي منطقة من العالم لحماية ما تسميه الادارة الامريكية مصالح الولايات المتحدة .

فهذه المبادىء حددت مصالح الدول الكبرى ومناطق نفوذها ، وقد حاول شارون ان يقدم اسرائيل على انها دولة عظمى كما وصفها في الخامس والعشرين من الشهر الماضي ، وذلك من ضمن ما يوصف بـ « مبدأ شارون » ، كما ذكرنا سابقا . ويحسب مفهوم شارون – وهو مفهوم مبسط الى درجة شديدة – فان المقولة التي تتردد على لسانه هي أن على اسرائيل ان تعترف بما يسميه بـ « القوة الهائلة الكامنة فيها ، وأن تتخلص من ظاهرة إلغاء الذات » .



ويشرح شارون فكرته هذه فيشير الى أن فى استطاعة اسرائيل ان تفعل اكثر مما فعلته فى السابق ، بشرط ان تختار التوقيت السليم لتنفيذ خططها ومشاريعها .

واذا كان شارون يتحدث بلغة الشريك لا التابع مع الدول الكبرى (مع الولايات المتحدة بصورة خاصة) ، فانه يتحدث الى يهود العالم بلغة القائد الذى يتحدث الى جنوده ، وقد شكلت اقواله فى الاجتماع بممثلى الجاليات اليهودية فى الولايات المتحدة الذى عقد فى مستوطنة « غوش عتسيون » نموذجا لطابعه هذا ، فبعد ان تحدث عن ضرورة الهجرة او ضرورة ارسال اليهود الامريكيين ابناءهم للدراسة فى اسرائيل ، طلب شارون منهم مؤازرة سياسية أقوى من تلك التى يقدمونها حاليا وقال : « اننى أؤمن انه يتوجب على ابناء شعبنا (اليهود) فى كل مكان فى العالم ان يرفعوا صوتهم ، وان يعربوا عن ارائهم ، وحتى ان يمارسوا الضغوط على الدول التى يقطنون فيها ، ولا يختلف الأمر اذا كانت تلك الدول صغيرة أو كبيرة ، فنحن ننتمى الى امة كبيرة رغم انها صغيرة فى عدد ابنائها ، ولنا الحق فى مطالبة العالم بكل شىء ، وكيهود ، فنحن لسنا مدينين بشىء لأى كان ، فالعالم هو المدين لنا كثيرا » !!

ان لهجة الغطرسة الصهيونية تبدو واضحة فى كلام شارون المتقدم لكن الصورة تبدو اكثر إثارة وخطورة اذا استعرضنا افكار شارون الأخرى .

فالرجل يقول عن « السلام » (مع مصر) انه ليس أبديا . « واذا استمر السلام عشر سنوات فسيكون هذا إنجازا » ، اما « اذا استمر عشرين سنة ـ فسيكون هذا إنجازا هائلا ، وثلاثين سنة ، فسيكون حلماً » .

وهذا الكلام واضح ، فشارون لا يؤمن بالسلام إلا كمرحلة ، تمنح المحارب فترة للاستراحة وتجميع القوى من اجل الانقضاض ثانية حين تلوح الفرصة المناسبة .

التحدى العربى

فى محاضرته التى لم تلق ونشرتها الصحف الاسرائيلية ، يسفر شارون عن وجهه العدوانى بشكل أكبر مما تقدم ، ويظهر هذا الوجه ، عندما حاول تحديد ما اسماه « بالاخطار الخارجية التى تتهدد اسرائيل » ، وقد سمى مصدرين لهذه الأخطار ، أولهما المواجهة مع الدول العربية ، والثانى ما اسماه « بالتوسع السوفيتي » فى الشرق الاوسط ، وبالنسبة للمصدر الثانى ، فان شارون يريد وضع اسرائيل ضمن المعادلة الغربية فى التصدى للاتحاد السوفيتي نفسه ، ليس فى الشرق الاوسط فحسب ، وانما على مدى العالم كله ، مما يظهر اسرائيل فى اطار دولة عظمى .

اما بالنسبة للتحدى العربى ، او المواجهة مع الدول العربية ، فان هذا التحدى يكمن أولا فيما يسميه شارون بـ « الايديولوجيا القومية » لبعض الدول العربية ، وطموح هذه الدول السياسى والاستراتيجى الذى يدفعها الى اعطاء اولوية فى جهودها لخلق ارضية سياسية ـ عسكرية ، تستهدف بناء استراتيجية مرحلة سياسيا وعسكريا بهدف القضاء على « دولة اسرائيل » .

وقد حدد الجنرال شارون الأسس الرئيسية للاستراتيجية العربية المرحلة هذه ، وقال انها تشمل جهداً مشتركا لتحقيق ضغط سياسى متواصل ضد اسرائيل ، وعند الضرورة ، شن عملية عسكرية محدودة ، هدفها « ازعاج » اسرائيل وإضعافها ، ثم انشاء قوة عسكرية تقليدية ، وغير تقليدية فى نهاية المطاف ، تستغل فى ظروف ملائمة فى المستقبل للانقضاض بشكل حاسم على اسرائيل . وبين هذه الأسس التى حددها شارون لبناء استراتيجية عربية ضد اسرائيل ، استخدام التأثير السياسى ـ الاستراتيجى لسلاح النفط الى الحد الأقصى ، ثم دعم منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً وعسكريا ، كأداة لتنفيذ عمليات فدائية ، وخاصة فى غياب إجماع وتضامن عربى على خوض حرب ضد اسرائيل .

اما العامل الثانى فى استراتيجية التحدى العربى ، فهو منظمة التحرير الفلسطينية وما تشكله المنظمة من تهديد كامن بالنسبة الى جوهر وجود اسرائيل من جهة ، وما تشكله من عقبة رئيسية امام حل « المشكلة الفلسطينية » على اساس اتفاقية كامب ديفيد ـ اى اقامة حكم ذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حسب المفهوم الاسرائيلى الذى يرفض الاعتراف لعرب الضفة والقطاع بحق تقرير المصير ، او حق السيادة على ارضهم ، ويقرر ان السيادة عليهما هى السيادة الاسرائيلية .

اسرائيل العظمى

وازاء هذه التحديات التى تواجه الكيان الصهيونى ، فان الجنرال اريئيل شارون يحدد الخطوط العامة لما يتوجب على اسرائيل انْ تفعله ، وفى بعض الاحيان يدخل فى التفاصيل .

يقول شارون فى هذا الصدد ان الاستراتيجية الاسرائيلية يتوجب ان تنطلق من منظار تاثر مصالح « امن اسرائيل » بتطورات « واحداث » تتجاوز منطقة المواجهة المباشرة مع الدول العربية والتى كانت مثار الاهتمام فى الماضى . ويطالب بان تتسع اهتمامات اسرائيل الاستراتيجية لتشمل مجالين جغرافيين آخرين يتسمان باهمية امنية لاسرائيل ، وهما :

اولا : الدول العربية الواقعة خلف دول المواجهة (اى ما اصطلح على تسميته باسم دول المساندة العربية) ، التى يقول الجنرال شارون انها تضيف بطاقاتها العسكرية المتزايدة بعداً أكثر خطورة ، الى الخطر المباشر (اى دول المواجهة) ، سواء بواسطة إرسال قوات مقاتلة إلى منطقة المجابهة ، أو بواسطة عمليات جوية وبحرية مباشرة ، تستطيع تنفيذها ضد خطوط المواصلات الجوية والبحرية لاسرائيل .

ثانيا : الدول التى تلى دول المساندة العربية ، والتى قد تؤثر مكانتها وتوجهاتها السياسية ـ الاستراتيجية بمقدار خطر على « امن اسرائيل » . ويحدد شارون هذه الدول بكلمات اخرى ، فيقول انها الدول الواقعة ما وراء الدول العربية فى الشرق الأوسط وعلى سواحل البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، ويضيف أن على

اسرائيل ان توسع مجال اهتمامها الاستراتيجي والامنى بحيث يشمل فى الثمانينات دولا مثل تركيا وايران وباكستان ومناطق مثل الخليج « الفارسي » ـ كذا ـ وافريقيا ، وبشكل خاص دول افريقيا الشمالية والوسطى !!

وهذا يعنى ان شارون يريد ان ينقل خطوط المواجهة الى ما وراء العالم العربى الذى يعتبره منطقة نفوذ وتوسع اسرائيلية ولم يترك وزير الحرب الاسرائيلى مجالا للتكهنات فى هذا المجال ، بل انه قدم لنا تفاصيل ، يمكن صياغتها بكلمات اخرى : «ان خط المواجهة بالنسبة لاسرائيل يمتد ما وراء الدول العربية فى الشرق الأوسط ، وعلى سواحل البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر ، وينبغى على اسرائيل ان توسع مجال اهتمامها الاستراتيجى بحيث يشمل دولا مثل تركيا وايران وباكستان والخليج العربى والدول الافريقية ، اى ان شارون يتصور الامبراطورية الاسرائيلية ـ كما تقول صحيفة « عل هامشمار » ضمن الحدود التالية : الصين فى الشرق ، والاتحاد السوفيتي فى الشمال ، والجزائر والمغرب ، وكينيا او جنوب افريقيا فى الجنوب . ولتنفيذ هذه الاستراتيجية المعبرة عن « جنون العظمة » ، فان شارون ينادى بان تحافظ اسرائيل على توازن عسكرى مبنى على تفوق نوعى وتكنولوجى واضح على الدول العربية ، وهذا الأمر يوجب على اسرائيل ان تعتمد على قدراتها الذاتية لتطوير وانتاج الاجهزة الحيوية لتامين « تفوقها النوعي وامنها » وان كان ذلك يلقى عبئا هائلا على موازنتها الدفاعية واقتصادياتها ، لكن شارون يضيف انه يترتب على اسرائيل لتخفيف اعبائها الدفاعية زيادة صادراتها الى حلفائها (او بالاحرى حاضنيها) ، ثم منع تقويض ما يسميه شارون « الوضع العسكرى الاقليمي الراهن فى الدول المجاورة » ـ اى الوضع فى شبه جزيرة سيناء وفى لبنان ، واضافة الى ذلك يقول شارون ان اسرائيل ستمنع اى تغيير فى الوضع الجغرافى ـ العسكرى مع دول المواجهة العربية (مصر ـ سوريا ـ الاردن ـ لبنان) قد يؤدى الى خطر لا يحتمل ، مثل إرسال كثيف لقوات عراقية الى الأردن ، أو الى جنوب سوريا ، او ارسال قوات سورية الى الأردن .

أما المنطلق الثالث فى الاستراتيجية بمنظار شارون ، فيقضى بمنع دول المواجهة « أو دول مواجهة محتملة » من الوصول الى السلاح النووى ، ويقول فى هذا الصدد ان امتلاك الدول العربية او دولة اسلامية كباكستان لسلاح نووى يمثل شانا « مصيريا » بالنسبة لاسرائيل . وفى هذه المنطلقات الثلاثة لا ينسى شارون ان يعترف صراحة بان اسرائيل تعتمد فى استراتيجيتها هذه ، بل فى بقائها ووجودها على الولايات المتحدة الامريكية ، ويعترف ايضا بان الخطر الكبير على اسرائيل يكمن فى ان تقرر واشنطن ان استثمارها فى المنطقة (اى اسرائيل) غير مجد ، ويشير شارون الى ان هناك سوابق امريكية فى هذا المجال ، فقد حدث ان تخلت الولايات المتحدة عن حلفائها فى فيتنام وكمبوديا ... الخ ، ويطالب بوجوب بذل كل شيء من اجل إقناع الامريكيين بالا يصلوا الى اتخاذ قرار كهذا .

من هو شارون ؟

شارون من مواليد عام ١٩٢٨ فى مستوطنة « كفار ملال » ، وهو متزوج واب لولدين ، وقد بدأ حياته السياسية ـ العسكرية فى منظمة الهاغاناه ، وعمل ناطورا فى شرطة المستوطنات ، ثم دخل سلاح المدرعات فى عام ١٩٤٧ ، وفى حرب ١٩٤٨ ، اشترك فى معركة الفالوجه ومعركة اللطرون واصيب بجروح فى المعركة الأخيرة . ثم اخذ يتقلب فى مناصب عسكرية مختلفة ، الى ان اجتاز دورة قائد كتيبة ، وضابط استخبارات فى الاركان فى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ . وفى الفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ التحق بقسم الدراسات العليا فى الجامعة العبرية فى العلوم الشرقية والتاريخ ، واكمل تحصيله العلمي فى كلية الحقوق فى جامعة تل ابيب فى عام ١٩٦٢ . وفى عام ١٩٥٦ اصبح قائدا لوحدة المظلات وشارك فى حرب ١٩٥٦ (العدوان الثلاثى على مصر) وفى عام ١٩٥٧ انهى دورة دراسات عليا فى القيادة والأركان فى بريطانيا ، ثم اخذ يتقلب فى مناصب عسكرية متعددة من قائد لمدرسة المشاة الى قائد للواء مدرع ، وفى عام ١٩٦٧ رفع الى رتبة لواء (جنرال) . وفى عام ١٩٦٩ عين قائداً للمنطقة الجنوبية حتى نهاية حرب الاستنزاف فى صيف ١٩٧٠ ، وكان لشارون دور رئيسى فى محاربة العمل الفدائى الفلسطيني فى قطاع غزة فى الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، وفى حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، قاد شارون عملية ثغرة الدفرسوار ، التى اعتبرت منعطفا حاسما فى تلك الحرب لصالح اسرائيل ، ومنذ ذلك الوقت اخذ نجم الجنرال شارون فى السطوع الى جانب قادة اسرائيل العسكريين والسياسيين .

وقبل حرب اكتوبر ، كان شارون قد ترك الخدمة العسكرية النظامية ، وانصرف الى شؤون مزرعته ، ثم قرر دخول الحياة السياسية كعضو فى حزب الأحرار داخل كتلة « غاحل » ، وفى صيف عام ١٩٧٥ ، استجاب لدعوة رئيس الوزراء السابق اسحق رابين الذى عينه مستشارا عاما لشؤون الامن ، لكن خلافا نشب بين الاثنين مما دفع شارون الى الاستقالة من منصبه ، والمبادرة الى تاسيس حركة سياسية جديدة باسم « شلومتسيون » ، وفاز بمقعدين فى الكنيست ثم انضم إلى حزب حيروت ، واختاره مناحم بيغن وزيرا للزراعة ثم وزيراً للحرب . ورغم ان شارون يعتبر دخيلا على حزب حيروت ، إلا ان افكاره ومعتقداته السياسية وممارساته كوزير تتطابقان مع الخط السياسى لحزب حيروت بالنسبة لمصير الاراضى العربية المحتلة . ويعتبر شارون حاليا صقرا بين صقور حكومة بيغن ، وهذا ما دفع الحركات والتيارات اليمينية فى الكيان الصهيوني ، وفى مقدمتها حركة « غوش ايمونيم » المتطرفة الى التعاطف معه .

أخيراً ..

فان شارون بافكاره الشوفينية المتغطرسة يكشف عن الواقع النظرى للصهيونية كايديولوجية ، ويزيح عنها الاقنعة ويعريها تماما ، كما كشف عنها وعراها على صعيد الممارسة الفعلية على الأراضى اللبنانية ، وكما توحى بذلك خططه العسكرية فى لبنان ، الذى اراده مجالا لتحقيق التفوق العسكرى الاسرائيلى الحاسم ، والانتقال من خلال هذا التفوق الى مرحلة جديدة على طريق اقامة « اسرائيل العظمى » .

عصام شريح

عاشق بنت السلطان

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

لي بين الشعراء اصدقاء كثيرون . وقد تعلمت من معاشرة اصدقائى الشعراء المعاصرين ومن قراءة سير الشعراء الاقدمين ان الشاعرية قد تكون طبيعة فى الشاعر ، وقد تكون موهبة له . وانه قد تترافق الطبيعة والموهبة عند الشاعر ، وقد تفترقان .

فهذا شاعر له قصائد رائعة ، ولكن نفسه جافية أو أن سلوكه مادى لا يرتفع عن الحضيض ، فهو شاعر بالموهبة لا بالطبيعة . وذاك اخر ضعيف القدرة على ابداع القوافى ولكنه رقيق الحس واسع الخيال نافذ النظرة الى مواطن الجمال ، فهو شاعر بالطبيعة . وهذا الأخير فى رايى اقرب الناس الى الشاعرية الحقيقية وان لم تسر له الشهرة بالنبوغ . هو الشاعر الحق حتى لو انه لم ينظم بيتا واحداً .

وانا اوضح ما اقول بالامثلة . ولست اقتبس الأمثلة من الشعراء المعاصرين الذين يعيشون بين ظهرانينا ، فانى بذلك اكون كمن يثير على نفسه عش دبابير ، بل آخذ المثل من الماضى . البحترى مثلا كان يقول أرق الغزل وارشق الوصف فى اعذب الالفاظ ، ولكنه كان قذراً زرى الهيئة ، وكان يبصق عن يمينه وعن شماله كلما قال بيتا معجباً . البحترى إذن شاعر موهبة ، وموهبة عظيمة . واجمل منه شاعرية شاعر بالطبيعة مثل وضاح اليمن الذى رضى لنفسه ان يطمر حيا فى صندوق مغلق فى حفرة عميقة لئلا يفضح من يحب ، او مثل ديك الجن الحمصى الذى صنع من رماد جثة حبيبته كاسا كان يشرب فيها الخمر وهو يبكى تلك الحبيبة .

وقد تجتمع الموهبة الشعرية بالطبيعة الشعرية كما اجتمعت فى المتنبي وابى العلاء المعرى ، فتكون آنذاك الفلتة او المعجزة . ولكن الاغلب ان تبرق الموهبة حين تكمد الطبيعية ، او العكس . وبين اصدقائى الشعراء اكتفى دوما من شعراء الموهبة بلقائهم فى الحبر على الورق ، اعنى بقرائتهم فيما ينظمون . اما شعراء الطبيعة من اولئك الاصدقاء فهم مقربون الى نفسى ، احب صحبتهم وارتاح الى منادمتهم .

ومن هؤلاء الشعراء بالطبيعة عاشق بنت السلطان الذى احدثكم عنه فى هذه السطور .

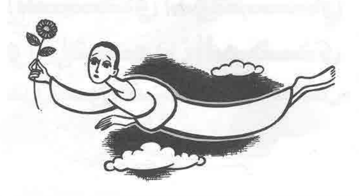
● ●

عرفت عاشق بنت السلطان فى اخريات ايامه ، فقد توفاه الله منذ بضع سنين . وفى اعوامه الاخيرة كان يقضى الليالى فى نسخ القصائد التى كان ينظمها بخطه العثمانى الجميل ليقراها علينا فى الصباح بصوته الابح ، ملحنة بما يشبه هزج رعاة الابل حين يريدونها على أن تهرول مسرعة فى البيداء .

وليس من قصائد ذلك الشاعر ما يصلح للرواية هنا حتى انقله للقراء . فقد كان فى نظمه مفتقراً الى الموهبة الشعرية ، بينما كانت طبيعته مغرقة فى الشاعرية . فهو فى روحه الساذجة ، واقتراحاته العجيبة فى اصلاح المجتمع ، واحكامه على الناس افراداً وطبقات ، كان اكثر شاعرية منه فى كل ديوانه المخطوط ، الذى نظمه فى شيخوخته ، والذى نحتفظ به ضنينين دون ان نجرا على قراءة شىء منه على من لم يعرف شخصه فى حياته .

كان يقول مثلا ان علماء الفلك يرجمون بالغيب حين يتكلمون عن طبيعة النجوم فى السماء ، وحين يصفونها باوصاف بعيدة عن الصحة . فالنجوم فى نظره انوار منازل لقبائل ضربت خيامها فى سهول السماء . كل جماعة من النجوم قبيلة ، ترحل وتنزل ، وتغير على من جاورها وتعود الى اخبيتها . ونحن على البعد لا نرى منها إلا اضواء النيران الموقدة فى البيوت !

وكان يقول كلامه ذاك باقتناع وتصميم وبحجج ، فى رايه لا تدحض . فكان قوله فى نظرى قصيدة جميلة لا حاجة بها الى الوزن والقافية لتعتبر شعرا . إلا ان اجمل



قصائده بلاشك كان عشقه لبنت السلطان ، وبيت القصيد فيها البرقية الحلوة التى سانقلها لكم هنا .

• •

بدأت قصة ذلك العشق ، او انها ظهرت على الناس ، حين كان شاعرنا فى زهوة شبابه ايام السلطان محمد رشاد ، ما قبل الأخير من سلاطين الدولة العلية العثمانية ففى ذات صباح حمل فتانا بنفسه الى دائرة التلغراف فى بلدنا برقية موجهة الى الباب العالى فى استانبول ، هذا نصها التركى :

در سعادت فلك مرتبئه ملك حضور بادشاهمه .

فاطمة سلطانة معشوق اولد لغمندن سحرمك فكيله بشيوز ليره عثمانية اكرامية اعطاسي طلب ايدرم .

حسين شمس الدين

وترجمتها بالعربية هى ما يلى :

دار السعادة حضرة البادشاه الملك الذى يحتل مرتبة الفلك :

بما انى مسحور عشقا بالسلطانة فاطمة إطلب فك سحرها عنى وتامين خمسمائة ليرة عثمانية اكرامية لي .

التوقيع : حسين شمس الدين

تصوروا برقية من هذا النوع ترسل ، فى تلك الايام ، من مواطن عثمانى بسيط فى بلدة ضائعة على شط الفرات الى جناب البادشاه السلطان ، وتتعلق بابنة سلطان البرين وخاقان البحرين السلطانة فاطمة ، مسماة باسمها !

فى اول الأمر ضجت اسلاك البرق هادرة فى استانبول وحلب واورفه والرقة ، تحمل سخط الباب العالى على مصالح الدولة وموظفيها التعساء التى سمحت والذين سمحوا لبرقية مثل هذه ان تجوز الفضاء عبر المسافات الشاسعة التى تفصل الرقة عن استانبول . ولكن السخط لم يلبث حتى ترك مكانه الى التساؤل عن هوية هذا المبرق المغرق فى الجراة . فجاءت البرقيات التالية تستفهم من المصادر الرسمية العليا فى المنطقة عن حسين شمس الدين هذا من يكون ، اى قبيلة عربية يراس ، وكم عدد افراد العشائر التابعة له ، وكم عدد الفرسان الذين يتبعونه على صهوات جيادهم العربية إذا ما دعا السلطان بدعوة الجهاد ضد أعداء السلطة والدين ؟

وهكذا شغلت برقية شاعرنا الدولة فى المركز والاطراف ، ولابد انها تسللت الى خدور الحريم فى قصور يلدز وضوله بقجه حتى بلغت مسامع فاطمة سلطانة ، هامسة اليها باسم هذا العاشق الذى بعث برسالة حبه فى برقية شعرية الالفاظ موجهة الى جناب حضرة والدها السلطان .

اما فى بلدتنا الصغيرة فقد تزلزلت الأرض تحت اقدام القائمقام وموظفى واعضاء مجلس ادارته ومدير دائرة التلغراف المسكين . واحس كل منهم بان راسه أصبح فى كف عفريت . وإلا كيف يجراون على أن يجيبوا الباب العالى بان حسين شمس الدين افندى العليان ليس غير شاب فقير ، من عشيرة نصف حضرية فى وادى الفرات ، وانه لا يملك من الثروة أو رؤوس الخيل او الاشياع والاتباع إلا الفاظه الانيقة وخياله الواسع ؟

لم تجد حكومة بلدتنا يومها منجى لرؤوس افرادها ومخرجا من تلك الازمة المستعصية إلا بان تضع على عاتق الجنون برقية شاعرنا الطموح . فابرقت الى الاستانة بانه فتى مجنون ، لا ضابط له ولا مسؤولية عليه ...

هل كان عاشق بنت السلطان مجنونا حين ارسل ذلك التلغراف الى والد حبيبته الخطير الشان ؟ لست ادرى . ولكن الذى لاشك فيه انه اثبت بارساله تلك البرقية المجنونة انه شاعر حق . وليس يضره بعد ذلك ان يمتلىء ديوانه المخطوط بالغث من الكلام ، او ان يبقى هذا الديوان مطويا عندنا فى الظلام .

د. عبد السلام العجيلي

مناظرات إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي حول أصول الغناء العربي المتقن

بقلم : كمال النجمي

في تاريخ الغناء العربي ، والأدب العربي ، مناظرات ممتعة قيمة بين المطرب الموسيقار الأديب الشاعر العالم اسحاق الموصلي ، وبين صديقه « اللدود » الأمير ابراهيم بن المهدي الذى كان شاعراً أديباً مغنياً جميل الصوت ، يتطرب بالغناء ولا يتكسب ـ على حد قوله ـ ولكنه في الحقيقة كان يمعن في التكسب بالغناء عند اخيه هارون الرشيد وأولاده الخلفاء من بعده : الأمين والمامون والمعتصم ، وقد جمع من تكسبه مالم يجمع مثله كبار المطربين المحترفين الذين كانوا « يتكسبون » ولا « يتطربون » من هذه المناظرات الممتعة القيمة بين الموصلي وابن المهدي ، نص وحيد ، يعترف أبو الفرج الأصبهاني في « كتاب الأغاني » انه قراه مكتوبا بخط إسحاق الموصلي ، وعلى ظهر الورقة رد ابن المهدى عليه ..

اما المناظرات والمناقشات والمشاجرات الأخرى بين اسحاق وابن المهدي ، فانها تنوقلت بالرواية ، من ناقل إلى اخر ، حتى وصلت إلى صاحب كتاب الاغاني فاثبتها فيه كما سمعها ، وإن كنا نجد فيها اثر اسلوبه الأدبي الممتاز ، فكانه يرويها بلسانه هو ، لا بالسنة الرواة ..

اما تلك المناظرة ذات النص المكتوب بخط إسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدى فانها من كلام اسحاق وكلام ابراهيم ، لم يكتب فيها الاصفهاني حرفاً من عنده ، حتى إنه وجد في صحيفتها أسطرا مسحتها كثرة التداول فترك مكانها خاليا ، مما يجعل لهذه المناظرة المكتوبة قيمة النص الثابت على اصله ، لم تحرفه عنعنة الرواة ..

أصل الخلاف

وأصل الخلاف بين اسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدى الذى امتد بينهما من اواخر القرن الثانى الهجرى الى منتصف القرن الثالث تقريبا ، أن اسحاق الذى اخذ صناعة التلحين والغناء عن ابيه ابراهيم الموصلى ، قد اجتمعت له علوم الغناء العربى كله تلحينا وغناء وايقاعا ، منذ نجم الغناء العربى «المتقن» فى المدينة ومكة قبيل منتصف القرن الاول الهجرى ، فاقام اسحاق من نفسه حارساً على أصول الغناء المتقن وكنوزه ، يكاد يقتل من يحاول أن يمسها بادنى سوء ! ..

وشملت محفوظات اسحاق ومدوناته من الغناء والضرب بالعود والآلات ، اعمال الملحنين والمغنين العرب التى انجزوها خلال مائتى سنة تقريبا ، لم يفته منها شىء حتى ما كان يراه ـ من وجهة نظره ـ مرذولا ساقطا كالغناء بالطنبور ، والارتجال بغير ضرب العود ، والوان اخرى من الغناء كان يراها خارجة عن الغناء المتقن واصوله التى قررها فحوله القدماء فى العصر الاموى فانتقلت بغناء العرب من الدائرة الضيقة التى انحصر فيها مئات السنين فى الجاهلية ، كالحداء والنوح ، الى ما صارت اليه فى عصر العباسيين الاول من اتساع ، واستبحار .

أما ابراهيم بن المهدى فكان يرى «تحريك» الغناء المتقن .. على حد تعبيره .. يقصد الحذف من التركيبات اللحنية الكثيرة فيه ، ولا يقصد الاضافة اليه ، ويرى «الحذف» اخف على النفس ، ولونا من «اللعب» يرتاح اليه القلب .. وكان يقول : إنما انا ابن ملك العب بهذه الألحان ! .. أى أن عمله هذا تسلية وتزجية لفراغه واستكمال لترفه ..

والغناء المتقن الذى قضى اسحاق حياته يدافع عنه حتى وصل اكثره الى عصرنا ، هو نفسه الغناء العربى الذى نسمعه الآن إلا ان ما طرأ عليه فى الزمان المديد من تغيير فى المصطلحات وزيادة فى اجناس المقامات ..

لم يانف أسلافنا العرب فى القرن الأول الهجرى من الاستفادة بما سمعوا فى مكة والمدينة من الحان الفرس والروم على العيدان والآلات ، فاخذوا منها واستعملوا العود ، ولكنهم اسقطوا مما سمعوه ما لا يسيغه الذوق العربى ، وما لا تدخل فيه الكلمات العربية وأوزان الشعر



العربى ..

وكما اشتغل الأسرى العرب للأشوريين قديماً وغنوا وهم فى قيود الأسر شوقاً الى بلادهم ، فاعجب الاشوريون بغنائهم واخذوا منه ما اعجبهم ، كذلك اشتغل عمال من الفرس والروم للعرب حين استاجرهم الخليفة معاوية بن ابى سفيان لبناء دار له بمكة .. ثم عبد الله بن الزبير لبناء جدران الكعبة عندما تهدمت فى ايام خلافته ..

ولبث الفرس ـ خاصة ـ يعملون ويغنون فى مشروعات عمرانية كثيرة فى مكة والمدينة منذ عهد عثمان بن عفان ، فاخذ العرب من غناء الامم التى دخلت فى الاسلام ، او جاورت الدولة الاسلامية اشياء نافعة استطاعوا بمعالجتها الفنية الصحيحة ان يعيدوا الى الحياة فن غنائهم القديم ، جديداً مزيداً موسعاً فيه ، ويقيموا منه صرحاً عالياً تعيش اصوله حتى اليوم ..

ومن عجب ان هذا الصرح الفنى الضخم الذى يستخف به فى عصرنا بعض ذويه واهليه ، قد نهض بكل عظمته فى مدة لا تزيد على اربعين عاماً فى القرن الاول الهجرى .. ولم يحدث فى التاريخ ان نشأ فن وتم تمامه فى مثل هذه المدة « القياسية » ثم عاش أكثر من الف ومائتي سنة ! ..

وإنما انفرد الغناء العربي وحده بهذا الامتياز النادر فى تاريخ الفنون ، فيما نعلم

ولما انتقلت الحان العصر الاموى إلى العصر العباسي ، جمعها الكثيرون فى كتب ومدونات ، فكان المقدم عليهم جميعاً إسحاق الموصلي الذى وصفه ابو الفرج الأصبهاني بانه « إمام اهل صناعته جميعاً وراسهم ، ومعلمهم .. يعرف ذلك الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق » .. وهو الذى « صحح اجناس الغناء وطرائقه ومبزه تمييزاً لم يقدر عليه احد قبله ، ولا تعلق به احد بعده» ..

كان إسحاق الموصلى يرى من حق صناعته عليه أن يحفظ اصولها التى بناها فحول الملحنين والمغنين فى العصر الاموى وجعلوها جوهر الغناء المتقن المصحوب بضرب العود والآلات .

ولم يكن فى عصره طريقة لحفظ الالحان وتسجيلها إلا الرواية الأمينة التى لا يتلاعب بها الوضاعون فى الغناء كما تلاعب بالشعر الوضاعون فيه ..

وكانت صناعة الغناء التى مازالت غضة طرية ، محتاجة الى دعم اصولها .. وكانت اصولها محتاجة الى الرواية المتقنة وكانت الرواية المتقنة تحتاج الى الرواة الأمناء المتقنين .. فاين يجد اسحاق مثل هؤلاء ؟! ..

كانت هذه مشكلته الكبرى مع ابراهيم ابن المهدى ، وهو اخو الخليفة هارون الرشيد ، ولم يكن لابراهيم فى بداية هوايته للغناء علم جديد باصوله ، فكان يخرج عن اصول النطق واللحن والايقاع ، فيقول مثلا حين يغنى : «أحماد» .. يعنى «احمد» .. لكى يستكمل بهذا المد الزمن الايقاعى ! .. وكان يسمى ذلك «تحريك» الالحان ! . ولهذه التسمية معان اخرى عنده كان اسحاق ينكرها كل الانكار ..

لهذا كان اسحاق يتشدد فى ضبط رواية الالحان كما انتقلت من القدماء جيلا بعد جيل ، بلا ادنى تهديل .. لا كراهة للتطريب بالتصرف فى هذه الالحان وتحليتها بالشذور ، بل خوفاً من ضياع اصولها .. وكان هذا الخوف «مفتاح» موقفه من كل لحن قديم أو جديد يسمعه او يصنعه !..

فكان «لعب» الأمير ابراهيم بن المهدى فى الالحان القديمة وبلبلة اذهان الناس فى شانها ، امراً خطيراً عند اسحاق الموصلى ، لان لابن المهدى صوتاً فائق الجمال يفتن به الناس حتى ليقال انه كان «احسن الانس والجن والوحش والطير صوتاً» ! ..

وهو الى هذا ، أمير ذو هيبة ونفاذ الى القلوب ، لا يقوى احد على تخطئته او انتقاده .. فكان لزاماً على اسحاق اداء هذا الواجب ، ليدرأ عن اصول الغناء خطر الأمير المفتون بجمال صوته ، والذى يزعم ان من حقه اللعب فى الغناء كيفما احب ، لأنه إنما يغنى تطرباً لا تكسباً ! ..

أيهما يفضل الآخر ؟

لم يكد ابراهيم الموصلى ـ والد اسحاق ـ يفارق الدنيا حتى صار اسحاق فى مكانه كبيراً للمغنين والملحنين فى قصر هارون الرشيد ، واندلعت مصادماته العنيفة مع ابراهيم بن المهدى حتى خشى اسحاق ان يقتله هذا الامير الشاب الكارة لتشدده فى أصول الغناء .. واضطر اسحاق الى شكواه للرشيد فاستدعاه وحذره من

التعرض لاسحاق بسوء ، ووبخه ، قائلا : «.. وانت مالك وللغناء ؟! .. وما يدريك ما هو ؟! .. ومن اخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم انك تبلغ مبلغ اسحاق الذى غذي به وهو صناعته .. ثم تظن انك تخطئه فيما لا تدريه» ! ..

عاش اسحاق فى حماية الرشيد خمس سنوات حتى توفى الرشيد سنة ١٩٣ هـ فعظم نفوذ ابراهيم بن المهدى عند الخليفة الجديد محمد الامين وصار اسحاق شديد الحذر من مكايده ، فلما انتهت خلافة الامين بعد سنوات قلائل ، وتولى الخلافة المامون ، سقط نفوذ ابراهيم واوشك المامون ان يقتله لمناداته بنفسه خليفة فى بغداد قبل وصول المامون اليها قادما من خراسان .. ثم عفا عنه ولكنه لم يعد ذا جاه ولا عظمة كما كان ، اما اسحاق فان هيبته بلغت مداها حتى صار كانه من اكابر قضاة الدولة او قوادها او وجوه الكتاب والحجاب والوزراء فيها ! ..

ومع ذلك لم ينته ابراهيم بن المهدي عن الشجار والنقار مع اسحاق فى كل فرصة تسنح له .. « حتى كان يمضي الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما فى قسمة وتجزئة صوت واحد » .. كما قال الاصبهاني ..

ثم مر الزمان فصار ابراهيم بن المهدي كهلا محنكا عارفا بالغناء ، غير قليل العلم باصوله ، فمضى يجادل اسحاق الموصلي بما تيسر له من العلم ، بعد ان كان يكابره فى شبابه بغير علم ، او بالقليل جدا من العلم .. ولما راه اسحاق قد اجتهد وحصل شطرا من العلم ، اثنى عليه قائلا : « ليس فيمن يدعى العلم بالغناء من يساوي ابراهيم بن المهدى » .. وهو اعتراف متحفظ ، فيه غمز بالاشارة إلى « من يدعى العلم » ! ..

ذلك أن ادعياء العلم بالغناء من بين المغنين انفسهم ، كانوا كثيرين ، حتى ان بعض مشاهيرهم كانوا يغنون ولا يعرفون اصول ما يغنون (١) وحسبك ان عمرو بن بانة وهو من أشهر المغنين فى ذلك العصر ، قال : « رايت اسحاق الموصلي يناظر ابراهيم بن المهدي فى الغناء ، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئا ، فقلت لهما : لئن كان ما انتما فيه من الغناء ، فما نحن منه فى كثير ولا قليل » ..

وابن بانة ظريف يابى المكابرة فى تعليق على ما سمع ولم يفهمه من الكلام عن علوم الالحان والاصوات ، اما الآخرون من زملائه فكانت المكابرة حصنا لجهلهم ، وكانوا يتالبون على اسحاق ويحاولون النيل منه !

ومن عجائب ابراهيم بن المهدي انه كان يستمرىء هزائمه فى مناظراته مع اسحاق .. حتى قال له اسحاق يوما فى حضرة الخليفة المعتصم : « انا اسالك عن ثلاثين مسالة من باب واحد فى طريق الغناء ، لاتعرف منها مسالة واحدة » ! ..

وقبل ذلك ضاق الخليفة المامون ذرعا بلجاجة عمه ابراهيم بن المهدي فى مناقشته اسحاق ، فقال له : « ياابراهيم لا تمار اسحاق » ! .. ولكن ابراهيم مضى فى مماراة اسحاق مسرفا كل الاسراف ! ..

وبفضل اسحاق ، اتسعت وتاصلت طريقة تدوين الغناء ، بما اخترعه واستنبطه من اشارات ورموز وكلمات ، استعان بها المغنون حتى صار من يقرؤها ويفهمها من حذاقهم وعرفائهم ، يستطيع ان يغني الالحان بمقتضاها كانه يسمع الالحان من صاحبها ويحفظها باذنيه ! ..

نمى مرة إلى ابراهيم بن المهدي ان اسحاق صنع لحنا جديدا فكتب إليه يطلبه منه ، فكتب إليه اسحاق بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير ادواره واوزانه .

فغناه ابراهيم بعد قراءته هذه الرقعة ، ثم التقى باسحاق فاعاد عليه غناء اللحن ليصححه له ، فوجده صحيحا لا خطا فيه ، فقد فهم ابراهيم الرموز الموسيقية فهما تاما ، مما اطرب إسحاق واعجبه فقال لابراهيم : فضلتني والله ياسيدي فى اداء لحني بحسن صوتك ! ..

وهذا معناه ان اسحاق كتب إلى ابراهيم « نوتة » موسيقية « بلغة عصرنا » استوفت اللحن كله جملة وتفصيلا ، بغاية الدقة ! .. وهو ما لا تقوم به الآن « النوتة الموسيقية » الاوربية التى تعجز عن بيان الشذور الدقيقة فى غنائنا وبخاصة فى ثلاثة ارباع الصوت ! ..

هكذا انتهى الامر بينهما إلى اعتراف باستاذية اسحاق مع ان ابن المهدى ظل لايسلو « اللعب » الذى كان يمارسه قديما فى الالحان الأصيلة الموروثة ، حتى قال اسحاق : « إذا أردت يا هذا ان تلعب ، فالعب فى الحان نفسك لا فى الحان الناس»

رسالتان .. ومناظرة

فى اواخر حياة ابراهيم بن المهدي الذى توفى قبل اسحاق الموصلي بعشر سنوات تقريبا ، جرت بينهما مناظرة اعقبتها مشاجرة تناقل اخبارها المغنون فى بغداد ، وتزيدوا فيها ، فكتب اسحاق إليه رسالة ، يقول الاصبهاني إن قرطاسها بقى متداولا عند الوراقين إلى القرن الرابع الهجري حتى قراها الاصبهاني وعرف فيها خط اسحاق ، وكان يعرف خطه لان كتبه التى خطها بيده كانت ماتزال تنتقل من يد إلى يد حتى ايام الاصبهاني مختلطة بكتب زورها عليه الوراقون ..

كان اسحاق وابراهيم ـ كلاهما ـ من اعلى الكتاب طبقة واجزلهم بيانا .. يبدو ذلك فى رسالتيهما هاتين اللتين نقلهما الاصبهاني بنصهما فى كتاب الاغاني (٢) وإن كانا إنما كتباهما عفو الخاطر ، بلا تعمل ولا تريث ولا تكلف ..

وتتمثل فى هاتين الرسالتين المتناظرتين العلاقة الاجتماعية بين هذين الفنانين الشهيرين ، كما تتمثل فيها علاقتهما الفنية .. ويتبين أنهما فى اواخر عمرهما تقاربا فى الرأي الفني .. ولم يكن اسحاق هو الذى اقترب من ابراهيم ، بل كان ابراهيم هو الذى اقترب ، لانه نضج بتجارب السنين ، وعرف ان اسحاق الموصلي لم يكن ينافح عن قضية خاصة ، بل عن قضية عامة شبه مقدسة لديه ، قضية اصول الغناء الذى كان اول فن استحدثه العرب وشادوه بعد خروجهم من الجاهلية التى لم يكن لهم فيها إلا فن الشعر ، فكان الغناء فنهم « المتقن » الثاني ، بعد فنهم « المتقن » الاول الذى يضرب فى اعماق تاريخهم المديد ..

رسالة اسحاق إلى ابراهيم بن المهدي تناقش امورا كثيرة اهمها :

- ابراهيم يعير إسحاق باحترافه صناعة الغناء ، ويساويه فيها بمخارق وعلوية وهما من تلاميذه .
- ابراهيم ينكر نبوغ ابراهيم الموصلي والد اسحاق ، ويساويه فى الفن بمن هم دونه من منافسيه فى عصره .
- امتلاء قلب ابراهيم بالسخط الدائم على اسحاق ! ..

وعن التعبير بالغناء يقول اسحاق : «فأما ذكرك ـ جعلت فداءك ـ الصناعة، فقد اجل الله قدرك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار منها (٢) . واما انا المسكين فانت تعلم اني لم اتخذ ما نحن فيه صناعة قط، واني لم اردها » اي صناعة الغناء « إلا لكم » يقصد بني العباس « .. شكراً لنعمتكم، وحباً للقرب منكم، فليس ينبغي ان يعيبني ذلك عندكم .. وقد علمت انك لم تضعني من علوية ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب احوجك إلى ذلك، وإلا فانت تعلم انهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة منهما بعتقهما، فكيف اظن اني عندك مثلهما او انك تقرنني إليهما وتذكرني معهما » ..

ثم يقول اسحاق : « قد احدثت لي ـ جعلت فداءك ـ ادباً وزدتني بصيرة فيما احب من تركه وترك الكلام فيه، فان ظننت ان هذا » اي ترك الكلام « فرار من الحجة وتعريد عن المناظرة كما قلت، فقد ظفرت وصرت إلى ما احببت، وإلا فانه لا ينبغي للحر ان يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته، ولا لعاقل ان يبذل ما عنده لمن لا يحمده » ..

وعن غمط بن المهدي حقوق ابراهيم الموصلي يقول اسحاق :

« وأما ما قاله ابي ـ رحمه الله ـ من انه لم يزل يتمنى ان يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته، ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى راك .. فقد صدق ! .. فهل رايت حظه منه إلا بان ساويت به من لم يكن يساوي شسعه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصحبة والخدمة، ولا حفظ لآثار محموده باقية .. ثم ها انا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني فيه، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه، لأنني توخيت الصواب واجتهدت في البذل والمناصحة .. فما ارى ـ جعلت فداءك ـ من معرفتك بما في ايدينا إلا تجرع الحسرات، وتطلبك لنا العثرات .. والله المستعان » ! .

وعن سخط بن المهدي يقول اسحاق : « كيف اصنع ـ جعلت فداءك ـ إن سكت لم تقبل ذلك مني، وان صدقت كذبتني، وان مزحت لأطربك واضحكك واقرب من انسك غضبت وسببت » ! ..

وتنتهي رسالة اسحاق بشيء من السخرية بابن المهدي :

« قد طال الكتاب، وكثر العتاب .. وجملة ما عندي من الاعظام والاجلال اللذين لا اخاف ان اجعلها عندك، والمحبة التي لا امتنع منها، ولا اعرف سواها .. والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه، والاقرار بما احببت ان اقر به، وساشهد على ذلك محمد بن واضح واشهد لك من احببت، واؤدي الخراج، ولكن لابد من فائدة وإلا انكسر » يعني : تاخر اداؤه « فهات جعلت فداءك، واوف واستوف، فانك واجد صحة واستقامة إن شاء الله .. مد الله في عمرك، وصبرني عليك، وجعلني من كل سوء فداءك » ! ..

فكيف رد عليه ابراهيم بن المهدي ؟! ..

رد عليه معتذراً بما يمكن تلخيصه فيما يلي بنصوص كلماته :

« ياراس المتشيعين .. تقول إني عيرتك بالصناعة ـ صناعة الغناء ـ فكيف اعيبك بحاجتي اليك، وما انا داخل فيه معك ؟! إنما انا كصاحب لك تناظره بما تحب ان تجد من يناظرك فيه، فليكن ذلك بالانصاف، وطلب الصواب، اصبته او اخطاته، لا بالحمية والانفة والحيلة لترد بالباطل » ..

« وقلت : تذكرني معهما ـ اي مخارق وعلوية ـ فقد ذكر الله النار مع الجنة وموسى مع فرعون وابليس مع ادم، فلم يهن بذلك موسى ولا ادم، ولا اكرم فرعون وإبليس ! .. ووالله ما كنت ابالي الا اسمع من مخارق وعلوية شيئاً حتى اسمع بنعيهما ولا اراهما إلا ميتين، وما في هذا غيرك والاعظام لك والاكرام، وذلك انهما كانا لك غلامين فصيرتهما تدين تقول فيهما ويقولان فيك، وانما هما صنيعتاك وخريجا تاديبك وان كانا غير طائل » ! ..

وبعد كلام طويل بليغ مدح به ابراهيم ابن المهدي اسحاق الموصلي واباه مدحاً عظيماً، استعرض في رسالته رايا له في لحن من الحان اسحاق، فنقد اللحن نقداً شديداً، ثم قال له : إن الناس لا يفهمون دقائق مناظرتنا .. « الناس في هذا بيني وبينك بهائم، فمن استعدى عليك ؟ » ! ..

ولا يفوت ابن المهدي الالمام بسخرية « اداء الخراج » فيقول :

« وأما اداء الخراج والاشهاد، فهذا شيء لم اطلبه منك، إنما انت طلبته مني، ظالما لي، وذلك لأني لم انازعك إلا منازعة مناظر يحب ان يعرف حسن فحصه، وثاقب نظره » ! ..

ثم يعترف ابن المهدي برياسة اسحاق في صناعة الغناء قائلا : واما الرياسة فقد جعلها الله لك على اهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم، ولا لك علي، لأني في العلم مناظر، وفي العمل متلذذ، فلا تظلمني ولا نفسك لي » ! ..

رسالة ابن المهدي اطول من رسالة اسحاق واهدا جرسا، يريد بحلاوة لفظها تهدئة اسحاق واستمالته، وفيها من بلاغة التعبير مالا يقدر على مثله إلا عظماء الكتاب .. وهكذا كان الكثيرون من « اهل الصناعة » في تلك العصور ..

وقد حكم الزمن في هذه المناظرة التي استمرت بين الرجلين على امتداد عهود الرشيد والأمين والمامون والمعتصم، فلم يكد ابراهيم بن المهدي يموت في عهد المعتصم حتى ماتت اراؤه وتلاشت الحانه إلا القليل منها برويه بعض جواريه واصحابه .. واخذ المغنون جميعا بمذهب اسحاق وتعلموا منه ورووا الحانه .. قال الاصبهاني : « وانقضى الصنع لابراهيم بن المهدي بذلك، مع انقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع اهله » ! ..

وحسب اسحاق الموصلي من مجد باق على الزمان، إن ما يغنيه المطربون في ايامنا من مقامات الراست، والجهاركاه، والعجم والبياتي والسيكاه، ومشتقات هذه المقامات وغيرها، فضلا عن الايقاعات إنما هي باعيانها المقامات والأوزان التي ضبطها اسحاق ضبطا دقيقا منذ الف ومائتي سنة .. وكل ماطرا عليها فانما هو تغيير في الأسماء، ولم يكن ممكنا ان تثبت اسماؤها العربية في مجتمعات غلبت عليها العجمة ذلك الدهر الطويل ! ..

كمال النجمي

(١) رايت شيئا من هذا القبيل حين كنت رئيسا لتحرير مجلة فنية مصرية، فناقشتني مطربة من اشهر المطربات في « الصوت المستعار » و « الصوت الطبيعي » فوجدتها تجهل ما تتكلم فيه، ثم كابرتني وقامت تتصل بالموسيقار عبد الوهاب تليفونيا وتنقل إليه رايي ورايها .. فوبخها عبد الوهاب لجهلها في مسالة من ابسط مسائل فن الغناء .. ومع ذلك فهي من احسن المطربات !.

(٢) الجزء العاشر ـ طبعة دار الكتب المصريـــة

(٣) يعني اسحق : انت ايضا تغني ياابراهيم، ولكن نسبك الشريف يجعلك غير محتاج إلى الاعتذار من الاشتغال بالغناء ! ..

جناية إليوت على الشعر المعاصر

بقلم: الدكتور كمال نشأت

اثار الدكتور عبد الله الطيب على صفحات « الدوحة » مشكلة من اهم مشاكل الشعر الحديث، وهى خطورة الشاعر إليوت ـ من نواحى كثيرة ـ على الشعر خاصة، وعلى الأدب عامة، فضلا عن مواقفه الدينية المتعصبة. وكنت نبهت فى بحث لى نشر بمجلة كلية الآداب بالجامعة المستنصرية وهى المجلة الخاصة بابحاث الأساتذة عنوانه (ظاهرة الغموض فى الأدب الحديث ـ العدد الثانى ـ سنة ١٩٧٧) الى جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث ومنه شعرنا العربى المعاصر. وقد كررت اكثر من مرة حينما اتيح لى ان اتناول هذا الموضوع اننا لا ندعو الى الحجر على اطلاع الأدباء، فذلك أمر لا عقل فيه ولا حكمة، إذ ان واجب الأديب أن يطلع على تجارب الآخرين مهما كان مذهبها أو التيار الذى تنتمي اليه، ولكن عليه ان يتمثلها، ويهضمها ثم يصدر بعد ذلك عن نفسه حتى تتحقق له الشخصية المتفردة، والصدق الواجب، والتعبير عن الخصوصية القومية والبيئية التى يمتاز بها كل ادب عظيم أما المرفوض فهو التقليد المقيت لتيارات أدبية بنيت فى بيئات حضارية غير بيئتنا، وهو تقليد يقتل الابتكار ويوقع فى التبعية المهينة (وما نقرؤه من شعر تافه فى هذه الأيام دليل على ذلك) ومن الممكن ان نوجز فى هذا المقال الصغير جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث عامة فى النقاط الآتية :

● ابتعاد القصيدة عن الجمهور القارىء لصعوبة التعامل معها. فاصبحت قصيدة النخبة المثقفة ثقافة موسوعية، وهي فى كل مجتمع قليلة العدد، وهى عودة الى ارستقراطية الفن كما كانت معهودة فى عصور الظلم والظلام والاضطهاد. ففى الوقت الذى انتهت فيه الفنون جميعا الى أن تتجه وجهة الشعوب، اخذت مدرسة اليوت وجهة ارستقراطية هى التعالى على الناس، من هنا كان ابتعادهم عن الشعر الحديث بل وقرفهم منه. يقول الناقد ماكجريجوز :

« هل يلام إليوت حقا على الهبوط بالشعر الى ان يصبح تسلية للقلة الشديدة الوعى بذاتها ؟ هل هو مسؤول عن هذه الهوة ؟ هل هو حقا الرجل الذى اخذ الشعر من حياة الناس ومنحه لقلة من معارفة ليعبثوا به ؟ »

ويقول اخر عن إليوت ومدرسته (راجع « الفنان فى عصر العلم ». ترجمة فؤاد دواره ..) « وانى لاتساءل حتى يكفون عن التظاهر بالمهارة والذكاء لقد اخذوا الشعر من جوار المدفاة ووضعوه فى الحجرة الداخلية للمكتبة وفوق أعلى رف.

واصبح الناس يخافون الشعر، بعد ان كانوا يجدون فيه متعة أساسية، ولا يستطيع احد ان يبرىء (إليوت) تماما من مسؤولية هذه الجريمة الأدبية الحديثة .. »

● تمثل هذه المدرسة عصبية دينية مقيتة. « كما أشار الدكتور عبد الله الطيب » فى عصر تتطلب فيه البشرية الاخوة بين أصحاب الأديان المختلفة، والانسانية فى التعامل البشرى بين كل الناس، وهذه الأهداف النبيلة التى يستهدفها الخيرون من البشر عامة هى نفس الأهداف الانسانية التى يسعى اليها الأدب الصادق الأصيل فى كل زمان ومكان. يقول شابيرو « الفشل فى الوصول الى الوعى الصوفى، دفع إليوت ناحية اخرى، وفى رايى ان هذا هو اكبر فشل فى حياة إليوت، فقد انتهى الى ان أصبح شاعر دين بكل المعنى التقليدى للكلمة، وبعد أن التزم من الناحية الدينية حاول ان ينظر الى المجتمع باعتبار الدين موجها له، فاصبح بذلك صنيعة فى يد أكثر عناصر المجتمع رجعية، وزعيما لكل ما هو رسمى وكهنوتي » وقد وصفت « كاثلين نوت » هذا الموقف الاليوتى الكهنوتي بقولها عن كتابها (ملابس الامبراطور) الذى هاجمت فيه إليوت إنه « هجوم الارثوذكسية المتعصبة .. »

النقاد غير الأصلاء

● استغلاق المعنى والاقتباس الذى ساعد على التعمية اعطى فرصة ذهبية لجماعة من النقاد غير الأصلاء الذين جالوا خلال النص الأدبى وحملوه فوق ما يحتمل مؤكدين من خلال



ت . س . اليوت
الشاعر الذى افسد اجيالا من الشعراء

ذلك مفاهيم وافكارا بعيدة كل البعد عن النص المدروس ـ وبذلك تحول النقد الادبى الى بهلوانيات تقوم على الذكاء وبراعة التلفيق ، من هنا كان اعتساف هؤلاء النقاد بعض المواقف او الافكار التى لا تمت الى النص بصلة وليس لها مايرشح لها او يسندها بحيث اصبحوا يختلقون هذه المواقف او الافكار ويروحون يعلقون على هذا المشجب الذى صنعوه ثقافاتهم وشروحهم الخاصة التى يرفضها النص رفضا باتا ، فاصبح النقد « فهلوة » كما نقول فى مصر ، يقوم على المهارة والذكاء والتلفيق ، وقد خلق هذا النقد وساعد على وجوده الغموض الذى يرين على النص بحيث تمكن هؤلاء النقاد من استغلاله ليمرحوا خلال النص كما يشاءون ويفسروه كما يشاءون وان كان التفسير لا يمت اليه بصلة ما .

بعيدا عن تلقائية التعبير

● دعت هذه المدرسة الى البعد عن الصدق الشعورى ببعدها عن تلقائية التعبير القائمة على الشعور الذاتى ، فاذا بالمعادل الموضوعى الذى دعا اليه إليوت يميت حرارة الاحساس مادام على الشاعر ان يبحث عن معادل موضوعى يعبر عنه فيكون التعبير بعيدا عن الذاتية كما اراد إليوت وفى هذا إعمال للفكر فى مجال البحث عن هذا المعادل ، ومن الطبيعى أن يبرد الاحساس والشاعر « يبحث » عن المعادل المناسب ، لأن هذا المعادل المناسب ليس تحت يده وفى متناول أصابعه .. هنا تصبح كتابة القصيدة عملا ذهنيا ، وكدا عقليا .. قد تظهر فيه براعة الحرفة وذكاء الممارسة ، ولكنه لن يكون الشعر القريب من القلوب .. من هنا ايضا ـ وهذا شىء طبيعى ـ تتحول القصيدة الى معرض يتفنن الشاعر من خلاله فى عرض عضلاته الثقافية كما يقولون ، وهكذا افسد إليوت هذا الفن العظيم وبعد به عن الاحساس الحار الدافق الى كد الذهن البارد ، وإعمال العقل وكان العمل الشعرى قد تحول الى عملية خلق لا حرارة فيه مثلما نرى فى رسومات مهندسى العمارة ، نعجب بما فيها من اتساق ونسب بين الجدران والنوافذ والابواب ولكنه يظل اعجابا بعيدا عن تحرك المشاعر ولذع القلوب . فهذا الخليط العجيب من الاقتباسات من التاريخ العاطى والفلسفات وعلم النفس والكتب المقدسة وديانات الشرق واساطير اليونان والفراعنة والفينيقيين وكتابة ابيات بلغات اجنبية اخرى الخ .. هل يستطيع شاعر ما أن يخلق عملا ناجحا من كل هذه الأمشاج والاخلاط ؟ انها عملية بهلوانية مضحكة إذا نجح فيها شاعر مثل إليوت مرة ، فانه قد يخفق عشرات المرات ولكن ان تكون هذه طريقة عامة لكتابة الشعر ، يلجأ اليها شعراء كثيرون فى امم مختلفة فهذه هى الطامة الكبرى كما يقولون .. وهى طامة افسدت اجيالا من الشعراء ، وحسبك هذا الغثاء الذى تابع درب إليوت واضرابه . فلن تجد تجربة صادقة ، او فكرة واضحة ، او صورة جيدة ، او إيقاعا عذبا .. لن تجد شيئا مما يجعل الشعر شعرا .. ولكنك ستجد همهمة وتمتمة وتنافرا فى الصور وتناقضا فى الفكر والشعور والتعبير وما دام الغموض مقصودا فلن تستطيع ان تفرق بين الدعى وبين الموهوب .

يقول « كارل شابيرو » عن الاقتباسات التى حشرت فى قصيدة « الأرض الخراب » .. اما ان هذه القصيدة تفتقد الوحدة ، فذلك امر واضح ـ وانا افترض أن الوحدة ميزة من مزايا العمل الفنى ـ فاى جزء من « الأرض الخراب » يمكن نقله الى اى موضع اخر فيها دون ان يتغير معنى القصيدة . اما اسوأ اجزاء القصيدة كلها فهى الاقتباسات الخالصة . فحتى اشد المعجبين بإليوت فساد ذوق لا يستطيع العثور على مبرر للسطور الأخيرة من القصيدة بلغاتها الست ، واقتباسها من ستة مصادر فى حيز لا يزيد كثيرا عن عشرة سطور ... والدليل على فشل « الشكل » فى هذه القصيدة ان احدا لم يستطع مواصلة النسج على منوالها بما فى ذلك إليوت نفسه .. » .

ويقول « ماكجريجور هيستى » فى نفس الموضوع إن إليوت قد خرج « بتمتمات غير مفهومة ، وكانت سخافته ذكية ، تطلبت كل متها بلا ريب ساعة أو ساعتين من العمل الشاق فى المعاجم والقواميس قبل أن ينتهى من صقلها ولا شك أن إليوت كان يعانى فى جمع هذه الشوارد المختلفة والاقتباسات المتعددة من ثقافات امم كثيرة ما تعانيه الدجاجة عند وضع بيضها .. وكان المسكين يتحمل كل هذا العناء فى سبيل المحروس : المعادل الموضوعى » !

الغناء من القلب

إلا أن الناس الذين تعودوا أن يجدوا فى الشعر انفسهم وان يجدوا فيه واحة يستروحون نسيمها فى عصر كثرت مشاكله وناء البشر جميعا بحملها ضاقوا بهذا الشعر الزائف والعقلانية المسرفة ، والإلغاز الزائد ، والاقتباسات المتعبة ، وتجمع الضيق ، واحتياجات الناس الى شعر أصيل فكانت حركة شباب الشعر الانجليزى فى الخمسينيات التى سميت « الحركة » . وهى مدرسة التى هدت اسوار قلعة إليوت ، واذا بالشعر يعود الى ما كان عليه . غناء من القلب البشرى اصيلا عذبا ، بعيدا عن حزلقة المعادل الموضوعى والجو الاسطورى .. انه شعر يهتم بحياة الناس اليومية ، ويغنى لهم فى صدق وحرارة . ولعل قصيدة الشاعرة « ان ببر سفورد » وهى بعنوان (حزيران ١٩٧١) مثل صالح لهذه المدرسة الجديدة ..

تقول الشاعرة معتمدة الواقعية والوضوح والبساطة فى تصوير منطقة عمالية مكتظة :

شمس على صناديق القمامة
الغبار فى كل مكان
ورائحة بترول ثقيلة
فى الصيف .. حين يكون الصباح
فى الشوارع الخلفية لمنطقة (بركستون)
يمكن سماع أصوات الطيور
وحركة المرور
الياسمين يزهر على جدران من الآجر
وإنسان بلا مسكن ثابت
يراقب دخان سيجارة
يندفع نحو الأشجار

وهذا شاعر اخر هو « س . د . توماس » يقول :

فقير انا
لا شىء عندى أعطيه
فانا لا اعطى إلا من نفسى
ولكننى جلبت لكم هذه الأغنية
وقد باركها شيئان : الألم .. والشرف

وهكذا رجع الشعر الانجليزى الى الرومانسية اللصيقة بنفس الانسان ، لا رومانسية العواطف الذليلة والميوعة المراهقة ، ولكن رومانسية الانسان القوى الذى تشغل الأحلام والأشواق والتطلعات جزءا لا ينكر من وجوده كانسان .

د. كمال نشأت ـ بغداد

بابا الفاتيكان مؤلفا مسرحيا

لا تزال لندن هى عاصمة العالم المسرحية إلى حد كبير وبرغم كل المعوقات الحالية ابتداء من التضخم الاقتصادى المتزايد وارتفاع اثمان التذاكر وقلة النصوص الجديدة الجيدة وانشغال الناس باخبار الحرب فى جنوب الاطلنطى وعرض بعض المسارح العتيدة للبيع مثل مسرح الاولدفيك ، برغم هذا كله لا تزال المسارح تقدم لجماهيرها العرض بعد العرض والمسرحية بعد المسرحية ، بل ان اطول المسرحيات المعروضة عمرا فى هذا القرن لا تزال تعرض كل يوم ، وهى مسرحية « مصيدة الفئران » ـ لكاتبة القصة البوليسية الراحلة اجاثا كريستى ـ التى بخلت هذا العام عامها الثلاثين ! واستطاعت ان تجذب اخيرا قصة « كريستية » اخرى لتعد فى مسرحية بدا عرضها منذ اسبوعين !

ومن المسرحيات الجديدة المعروضة حاليا مسرحية اثار مؤلفها ضجة كبيرة خلال الأسابيع الأخيرة حين ارجا زيارته لبريطانيا عدة مرات قبل اذ يزورها بالفعل لمدة اسبوع . فهذه هى المرة الاولى فى التاريخ التى يزور فيها احد بابوات الفاتيكان بريطانيا غير الكاثوليكية . ومنذ عامين قرر البابا النشيط المتعدد الاسفار جان بول الثانى ات يزور بريطانيا . ومنذ شهرين نشب النزاع المعروف حول جزر فولكلاند فارجا البابا زيارته حتى استطاع مؤخرا ان يوفق بين رعاياه الكاثوليك فى الأرجنتين والمعجبين به فى بريطانيا فجاء الى الجزر البريطانية . وقبل وصوله كانت قد سبقته مسرحية كتبها فى شبابه او كهولته بمعنى اصح ، فترجمت ونشرت فى كتاب وافتتح بها « مسرح وستمنستر » الصغير موسمه الصيفى .

المسرحية بعنوان « محل الجواهري » وهى دراما شعرية من ثلاثة فصول الفها البابا عام ١٩٦٠ حين كان اسمه « كارول فوتيلا » (اسمه الاصلى بالبولندية) وكان اسقفا لمدينة كراكوف البولندية . وهى ايضا



البابا فى لقطة طريفة ساخرا من مصوره .. ثم مخرج « محل الجواهري » روبين فيليبس وبطلتا « محل الجواهري » هلنا جوردون ، وجودين واتفورد





ليست المسرحية الوحيدة للبابا . ولا هى العمل الادبى الوحيد الذى الفه . فقد بدات مؤلفاته الشعرية والمسرحية فى الظهور بالانجليزية فى لندن ، وبدات التعليقات على نشاطه الادبى والفنى المبكر . يوم هوى التمثيل المسرحى والف فرقة مسرحية قبل أن يلتحق بالجامعة ، ويوم اخرج ديوانه « صلوات ليلة عيد الفصح » ، وحين انهى كتابة سادس مسرحياته واخرها عام ١٩٦٤

وليس البابا بالطبع اول رجل دين بدا حياته بالادب والفن . ولكن : هل كانت هذه المسرحية بالذات لترى النور على مسرح انجليزى لو لم يكن كارول فوتيلا قد تدرج فى السلك الدينى وانتخب « بابا الكاثوليك » ..؟ ! لاشك أن شهرته وزيارته لبريطانيا قد فرضتا مسرحيته واهلتها للعرض على الجمهور . فالمسرح الانجليزى متعصب لأهله اولا ، ثم للروائع العالمية ثانيا . ومسرحية « محل الجواهرى » لا هى من الاهل ولا هى من الروائع العالمية . ولكنها قطعة شعرية جميلة فى حدودها الخاصة ، قطعة تاملية فى الحياة والحب والزواج .

لو لم يكن اسم البابا ـ الاصلى او المكتسب ـ على هذه المسرحية لقلت بعد مشاهدتها انها من تاليف قس ، وان القس لابد ان يكون كاثوليكيا ، لان المسرحية تقوم على المونولوجات الطويلة التى تشبه الاعترافات فى كنيسة كاثوليكية . وهذه المونولوجات تتقاطع احيانا ، وتخضع للتعليق الخارجى من ناحية اخرى ، ولكنها تظل إلى النهاية متعلقة بحاجة البشر الى الافضاء ، حتى لو كان هذا الافضاء للنفس . وداخل ديكور تجريدى ثابت واحد طوال الفصول الثلاثة تتطور هذه المونولوجات ايضا وتعود للماضى وتستشرف المستقبل . والديكور نفسه مكون من مجموعة حوائط زجاجية شاهقة تمثل نافذة محل الجواهرى من جهة كما تمثل المدينة الحديثة بناطحات سحابها من جهة اخرى . وفى الفصل الاول يطالعنا شابان (فتى وفتاة) فى طريقهما لشراء خاتمى زواج . وتبدا الفتاة فى التوقف واسترجاع بعض ماضيها حين التقت بفتاها . فتروى كيف واين التقيا . وكيف كانت ترسل إليه « اشارات » الحب وهو غافل عن التقاطها . ثم يدخل « ادم » وهو رجل فى منتصف العمر فيتقدم نحو الحبيبين ، ويتدخل فى مونولوج الفتاة ، وكانه يؤدى دور « الكورس » القديم او دور القس المتلقى للاعتراف بمعنى اصح . ويحاول ادم هذا ان يرشد الشابين ويبصرهما بالمستقبل وهو يقول لهما : « الحب ينبع من الحرب كما ينبع الماء من شق فى الارض » ، « الحب فرحة غامرة وليس استغراقا فى التفكير الحالم الحزين » وعلى هذا النمط من الشعر « المرسل » تمضى شخصيات المسرحية فى الافضاء ، ففى الفصل الثانى بعنوان « العريس » (الفصل الاول بعنوان « الاشارات ») تطالعنا امراة تعثر زواجها وتحطم بسبب تجمد عواطف زوجها . وبالمثل تبدا فى عرض قضيتها ، او

بمعنى اخر «الزواج المحطم» . ويظهر «ادم» مرة اخرى فياخذ بيدها ويحاول ان يفتح عينيها على وضعها الحقيقى ، ويمنعها من بيع خاتم زواجها بعد ان نقل اليها راى الجواهرى فى ان الخاتم ـ خاتمها وحده ـ لايساوى شيئا لانه لا يزن شيئا بدون قسيمة ، بل إنه ـ اى ادم ـ يمنعها من الذهاب مع رجل اخر ، فالحب عنده «عملية تحد» والعريس او المحب قد ياتى فى اية لحظة . «فكلما كبر حجم الغضب ازداد انفجار الحب» . وفى الفصل الثالث والاخير بعنوان «الأولاد» يطالعنا شابان ايضا يستعدان للزواج ومن خلال المونولوج نعرف ان الفتى (ابن بطلى الفصل الأول) نتاج زواج محطم . ويحاول الفتى ان يخلص فتاته من شعورها بالكراهية لابويها . وحين يقترب موعد زفافها يتقدم «ادم» فيكون بمثابة والد الفتاة بعد ان قويت علاقته بامها .. مجرد والد رمزى .. يحاول على طريقته ان يهدى الزوجين الشابين الى تقدير الحب التقدير الصحيح . وينتهى الفصل بالزواج وفى الوقت نفسه يلتئم شمل الزوجين المحطمين على شاطىء هذا الزواج وبفضل تشجيع أدم الذى يشعر الجميع بان المستقبل يحمل أملا حقيقيا بالنسبة للجميع ايضا . وهكذا تنتهى المسرحية نهاية سعيدة وثمة امل يلوح بنجاح الجيل الحالى أو القادم فيما فشل فيه الجيل السابق !

وهكذا ايضا تقدم المسرحية حلولا شعرية اذا صح التعبير لمشاكل الحب والزواج فى المجتمع العصرى ، وهى حلول مبنية على القيم الانسانية فى النهاية ، تعبر عنها المسرحية بلغة شاعرية مخلفة اقرب الى اللغة التعليمية التى تحض وتوحى اكثر مما تامر او تنهى او تعظ . وقد حاول مخرجها الشاب روبين فيليبس الذى عمل من قبل ممثلا مع لورانس اوليفيه ان يتيح لها فريقا من الممثلين النجوم وموسيقى وحركة رشيقتين . ومع ذلك كله اخذ بعض النقاد الانجليز على المسرحية خلوها كم الأحداث الدرامية ، وهذا صحيح ولكن الاصح ان هذه مشكلة الدراما الشعرية عموما ولا سيما فى عصرنا . واقرب مثل على ذلك مسرحية « جريمة قتل فى الكاتدرائية » لاليوت . فقد خلت بدورها من الأحداث الدرامية التى تتطور على نحو معين لتفضى الى نتيجة معينة . ولكن مما لاشك فيه أن مسرحية البابا هذه جزء لا يتجزأ من الثقافة البولندية ، وهى تقوم فى جانبها الدرامى على الأحداث الخفيفة الوقع الهينة التطور ، وهذا ما تكشف عنه السينما البولندية من ناحية اخرى . ومما لاشك فيه ايضا أن هذه مسرحية لرجل دين اولا واخيرا وان كانت خالية من الوعظ والارشاد . وقد نجح رجل الدين فى لمس بعض الأوتار الحساسة فى الحياة دون خطابة او زعيق او شعارات ، وهذا اضعف الايمان . اليس كذلك . ؟ .

.. وإبسن أيضا



هنريك إبسن

وعلى العكس من « محل الجواهرى » تعد مسرحية « هيدا جابلر » من روائع المسرح العالمى الحديث . ولهذا وجدت طريقها بسرعة إلى خشبة المسرح الانجليزى . كما تعد على راس مسرحيات إبسن التى تلقى الاحتفال الدائم من الجمهور الانجليزى . فلا يكاد يمر العام دون أن تعرض على المسرح باخراج جديد . وفى هذه المرة ـ منذ اسابيع ـ افتتح بها « مسرح كيمبريدج » موسمه الجديد من إخراج دونالد ماكوين الذى يعد من ابرز المخرجين المعاصرين فى انجلترا .

وإذا كانت مسرحية « محل الجواهرى » تدور ـ فيما تدور حول الزواج فمسرحية « هيدا جابلر » تدور حول الزواج ايضا ولكن مع اختلاف الرؤية بالطبع فضلا عن التناول . فنحن فى مسرحية إبسن نواجه عالما واقعيا حتى فى « ديكوره » وفى اختلاطه احيانا بالرمز . والمسرحية (كتبها إبسن عام ١٨٩٠) تعالج موضوع الزواج داخل إطار اجتماعى ونفسى فى ان واحد . فهيدا جابلر التى جاءت من الطبقة العليا فى المجتمع تتزوج عالما شابا لا يشغله شىء عن العلم ، وهى تتزوجه بعيداً عن اية عاطفة . فقد تقدم بها العمر من ناحية وتقدم لخطبتها هذا العالم الشاب الذى رات فيه نوعا من التعويض والنجاح المرتقب . ولكن الزواج سرعان ما يكشف عن عبثه فيزيد من احساسها القاتل بالسام . بل ان الحب الذى يربطها سرا باحد الكتاب الواعدين لا يسعفها او يروى قلقها الدائب ، وانما يقودها فى النهاية إلى تدميره وتدمير نفسها فى وقت واحد . فقد قادت حبيبها الى الانتحار واعطته مسدسها وهى تقول له : « افعلها بطريقة جميلة » . قاصدة ان يوجه المسدس الى صدغه ، فلما لم يفعل ووجه المسدس الى بطنه خاب املها فيه ، وكان عليها ان تفعلها هى بالطريقة الجميلة ! وحين يبلغ نبا انتحارها القاضى الساخر صديق الأسرة الذى ارادها لنفسه يستلقى على مقعده وهو يقول باكيا : « ايتها السماء ساعدينا . ان الناس لا يفعلون هذا » ! ، وكانه شكل بهذه الكلمات شعاراً للمسرحية على حد قول المؤرخ المسرحى الارדايس نيكول ، وكانه ايضا قد جعل منها فى النهاية كوميديا رفيعة لا تراجيديا رفيعة كما ظن بعض المتحمسين لابسن ! .

لاشك ان شخصية هيدا جابلر نفسها شديدة التعقيد والجاذبية بالنسبة للممثلات . فهى انسانة مدمرة لغيرها ولنفسها سواء بسواء . وهى ايضا ماخوذة بعاطفة شيطانية نحو الحب والتدمير ، وهى اخيراً ليست مستعدة للتحرر ولا لاى نوع من العمل المفيد او الخلاق . ولكنها اولا واخيرا كتلة من القلق والملل القاتلين .

سوزانا يورك .. تعلم عشيقها إطلاق الرصاص



العشيق .. توم بل

وهذا كله ما يحتاج من الممثلة التى تقوم بدورها الى الكثير من النضج والخبرة وحكمتهما . وقد وفق المخرج فى اختيار نجمة تليفزيون قديرة (سوزانايورك) للقيام بالدور أمام مجموعة اخرى مختارة من نجوم المسرح والتليفزيون . ومع أن



سوزانا يورك .. مرة اخرى



المخرج لجا (على سبيل التوفير فى الغالب كما حدث فى المسرحية السابقة) الى الديكور الواحد الثابت طوال فصول المسرحية الأربعة ، ومع انه ـ ايضا ـ زحم خشبة المسرح بالاثاث ، وجعل الجميع يتحركون وسط ديكور أقرب الى تكوين ديكور المشاهد التليفزيونية الثابتة ، فقد عوض الممثلون الجمهور عن هذا كله بالكثير من الحيوية والنضج فى الاداء والحركة .





شاعرة جديدة
أعظم من شكسبير



سولينير : شبيهة فرجينيا وولف .. اعظم من شكسبير !

لاول مرة فى التاريخ القريب ـ كما تقول صحيفة الصنداى تايمز فى ملحقها الأسبوعى ـ يتفق اساتذة الأدب الانجليزى بجامعة كيمبريدج على شىء ! أما هذا الشىء فهو موهبة شعرية جديدة صاحبتها فتاة عمرها ٢٤ سنة تدعى « سوليتير » .

وقد تخرجت سو من كيمبريدج واجمع أساتذة الأدب بالجامعة العريقة على انها « اعظم شاعر منذ شكسبير » . والقى أستاذها محاضرة حول شعرها ، وقارن المقطوعات (السوناتات إذا صح الجمع) التى كتبتها بما يكتبه الشعراء الكبار ، وخرج بحكم جرىء فى النهاية مؤداه « انها حولت الشعر الانجليزى فى ليلة واحدة » .

وقبل اسبوعين ظهر اول ديوان للشاعرة الجديدة فى السوق ، وعنوانه « اغنية البجعة » ، اصدرته دار نشر صغيرة جدا لا مكان لها فى دليل التليفون (تدعى : مطبعة أولياندر) . ولكن استاذ « سو » لم يكتف بمحاضرته عنها ، بل دعا عددا من الأساتذة الآخرين لقراءة ديوانها والحكم عليها ، فاذا بالأساتذة يجمعون على أن هذه الشاعرة الشابة سيكون لها شان كبير فى المستقبل القريب جدا . وقام احدهم بمقارنة « سوناتا » كتبتها باخرى لشكسبير فوجد كفة « سو » هى الراجحة ! وسبب المقارنة هو أن « سو » أعطيت السوناتا رقم ٢٦ لشكسبير وطلب منها ان تقراها وتعيد كتابتها .

اما سوناتا شكسبير فتقول :

يا سيد حبى
يا من استعبدت حسناتك واجبى
ونسجته بقوة
إليك ارسل هذه الرقعة المكتوبة
لكى تشهد على الواجب لا لكى تكشف عن حصافتى .

وأما سوناتا « سو » فتقول :

يا سيدة الحياة
يا من اتوسل إليها
بحكمة متعبة ،
والتزم بواجبى نحوها ،
خذى منى هنا هذه الصفحة المنقوشة المشغولة
وسودى هوامشها بتقطيبة وجهك الدقيقة

وليس من السهل بالطبع ـ عند الترجمة ـ ان نقيم المقارنة . فقد تكون هذه المقارنة مقبولة فى اللغة الأصلية التى كتبت بها القصيدتان . وإذا كانت الشاعرة

الشابة قد غيرت قليلا فى تعبير شكسبير ، ولا سيما فى مخاطبته المؤنث بصيغة المذكر (يا سيد جهبى) على عادة عصره وربما تاثرا ببعض الغزل العربى القديم الذى اثر فى التروبادور قبله ، فان ابيات شكسبير يظل لها مذاقها الخاص البعيدين كل البعد عن مذاق ابيات « سو » وقاموسها . ومع ذلك يظل للشاعرة الشابة حظها من الموهبة بلاشك ، وهو حظ بارز ايضا .

تقول الصحيفة الانجليزية فى تحقيقها ان « سو » كانت متقدمة فى دراستها فى جميع مراحل التعليم حتى تخرجت من كيمبريدج ، وانها اشتهرت بالمقدرة السريعة على تاليف السوناتا فى الجامعة لدرجة انها الفت عشر سوناتات وقصيدة طويلة فى يوم واحد ، وانها - ايضا - كانت تجيب على الأسئلة بالشعر فى امتحاناتها النهائية ! ومن قصائدها فى تلك الفترة هذه الأبيات :

أشجار الصفصاف السوداء
المتلفعة بالاعلام
تتلالا على صفحة البحر المائج الخطير ،
انها مغموسة فى أشعة الشمس ،
وسريعة سرعة السلاحف البرية ،
المجهدة الخطى الثقيلة العنق الفارغة الصدفة
التى تخرج من الماء فتنفض عن نفسها الخضرة ...

انها صورة مركبة فى الحقيقة تمثل السفن على صفحة الماء ، والسفن مرموز اليها بالصفصاف الاسود ، وحركتها مرموز اليها بحركة السلاحف ، ولكنها صورة غير كافية للحكم على شاعرية شاعر .

وتقول « سو » عن نفسها :

« انى اجد كل هذه التعليقات مخيفة فى الحقيقة . فانا فى الواقع لا اعرف ان كنت ممتازة ام لا . وكل ما اعرفه هو اننى حين اكتب لا أستطيع مجاراة سرعة افكارى » .

ومع هذا كله ، ومن حسن حظ شكسبير ، ان « سو » قد سافرت الى كاليفورنيا فى امريكا لدراسة الدراما لمدة عام ، وانها كفت عن كتابة الشعر حتى تستقر فتبدا من جديد . ولعلها - حين تبدأ - أن تبعد عن منافسة شكسبير او غيره . فالشعر ليس مباراة فى الجرى او المصارعة . ولعلها - ايضا - تقتدى بشبيهتها فى الصورة - فرجينياوولف - فتاتى بشىء جديد ، وتخرج الشعر بالنثر ، او تكتب الرواية ، او - على الاقل - تعرف ماذا تفعل وماذا تريد . فليس بقصيدة واحدة ولا بديوان واحد صغير يعد الشاعر شاعراً . وليس ياتى الشعر العظيم الا من تجربة عظيمة فى الحياة والفن على السواء .

خطابات وليم وماري

قبل خمس سنوات لم تكن الاوراق الخاصة لمارى وردزورث (زوجة الشاعر وليم وردزورث) معروفة لاحد . ففى ذلك الحين بيعت هذه الأوراق بالمزاد فى لندن . وكان البائع تاجر طوابع بريد . وكان قد اشتراها ضمن اوراق اخرى كثيرة لا قيمة لها . ولكن المشترى الجديد فى المزاد سرعان ما وقع على ثروة كبيرة حين اكتشف انه امام أوراق تخص علاقة انسانية لشاعر كبير .

وكان المشترى أستاذة جامعية امريكية ، عكفت على الأوراق - ومعظمها رسائل متبادلة بين الزوجين - فدرستها وحققتها حتى نشرتها اخيراً دار « شاتو ووينديس » الانجليزية بعنوان « خطابات غرام وليم ومارى وردزورث » جمع وتحقيق بث دارلينجتون .

ومن المعروف أن الشاعر الرومانتيكى الكبير قد تزوج مارى هتشيسون عام ١٨٠٢ وكانا فى سن واحدة (٣٢ سنة) عرف كل منهما الاخر منذ الطفولة . ومن المؤكد ان وردزورث كان الرجل الوحيد فى حياة مارى ، ولكن المؤكد ايضا انها لم تكن الوحيدة فى حياته !

قبل عشر سنوات من الزواج سافر وردزورث إلى فرنسا إبان ثورتها الأولى حيث تعلق هناك بفتاة فرنسية وانجب منها طفلا . ثم عاد إلى بلده وتزوج وانجب خمسة اطفال . وبعدها راح يتنقل بين انجلترا وفرنسا بمفرده بالطبع ، بعد ان قيدت مارى باربعة أطفال يمرحون من حولها ورضيع يلتصق بصدرها . ومن فرنسا راح الشاعر يبعث الخطابات لزوجته ويتلقى منها الردود .

لقد كان وردزورث رجل خصوصيات لا يكشف عن خبيئة نفسه . ولاشك ان ردود فعله للتجربة الشخصية ساهمت - بالمقابل - فى صنع مادة شعره ، شانه فى ذلك شان الكثيرين من كبار الكتاب ، على العكس مثلا من شاعر مثل بايرون كان يستعرض مشاعره تجاه الغير والافعال دائما . ومع ذلك فالخطابات تعكس جانبا خصوصيا اخر فى حياة وردزورث ، وهو علاقته بمعاصره الشاعر الكبير كوليريدج . ففيها محاولة مستمرة لاصلاح ما افسده الدهر فى تلك العلاقة التى توترت كثيراً فى تلك الفترة . فقد كان كوليريدج يعتقد ان وردزورث يهاجمه على الملا ويشنع بانه غريب الاطوار يدس انفه فى كل شىء . ولكن وردزورث ينفى هذا كله لزوجته ولا يظهر لزميله غير المحبة والود . فهو يتحدث عن « الحب والحنان اللذين احملهما لكوليريدج - واللذين اعتقد انه يحملهما لى » .

ومع ذلك فلابد لكل فرح من لحظة حزن . وتاتى هذه اللحظة فى نهاية الخطابات تقريبا ، حين يتبادل الزوجان الاحزان على فقد ابنتهما كاترين وهى بعد فى عامها الرابع . ويقال ان وردزورث صار بعد تلك الحادثة مرهفا حزينا باردا فى معاملته لزوجته مما اضعف علاقتهما بعدها . غير ان الخطابات تخلو من اية اشارة الى هذه العواقب .

لقد كان كوليريدج - ذلك الصديق العصبى المنحرف المزاج فى هذه الخطابات - هو القائل « ان الحب لا يربطه بالزواج .. أى رباط طبيعى . فالزواج مسالة اجتماعية وعقد اجتماعى » ولكن الزوجين اثبتا خطاه مرتين : مرة حين اتهمهما بالتشنيع عليه ، ومرة أخرى حين ربطا بين حبهما وزواجهما .. فى فترة كتابة هذه الخطابات على الاقل ولهذا فقد حفلت الخطابات بالدفء على الرغم من المفاجات ، وبالمعلومات الجديدة على الرغم من قلة الاضواء على الشعر نفسه !

لندن - علي الشلش



جمال قطب


إدجار ديجا

ديجا

بين الشعر والفلسفة ورقصات الباليه!

لم ينعم (ديجا) بالاستقرار في يوم من الأيام .. بل إذا أردنا الدقة في التعبير لم يكن يحب الاستقرار .. [illegible] المفعمة بالحيرة والقلق والمعاناة : عندما تجاوز الأربعين من عمره كان يشكو دائما من ضعف بصره (وهي المشكلات التي قد حدث لعبقري آخر هو مايكل انجلو ، وكان يحيـا مثله في عزلة موحشـة وقلق وتشاؤم .. وكلاهما توقـع أن يموت في سن مبكرة .. ولكنهما عاشـا حياة طويلة مثمرة .. وكلاهما هرب — في عزلته — إلى الشعر والأدب والفلسفة) !

اسمه الكامل : هيلير جيرمان ادجار ديجا ، ولد في باريس في شارع سان جورج عام ١٨٣٤ ، وعمر حتى شهد الحـرب العالمية الأولى الى أن مات سنة ١٩١٧ . أي أنه شهد الرومانسية في أواخر أيامها ، وكان من اقطاب التأثيرية [illegible] كان علما بارزا من اعلام « العصر الجميل » وهو عصر مشرق مر على الحياة الأوروبية عامة — وفرنسا بخاصة — كتحليق حالم في سماء الابداع والمتعة والبذاخة ، واستمر منذ بداية الثلث الأخير من القرن الماضي وحتى وقوع الحرب العالمية الأولى كشبح رهيب حطم كل شيء والقى بظلاله الكئيبة على الحياة الأوروبية كلها ! .

وقد تميز (العصر الجميل) أو (عصر الحب والجمال) — كما يطلق عليه المؤرخون — بتألق ربات الجمـال ، وصاحبات الصالونات ، ونجمات المسارح والراقصات .. وظهر فيـه المسرحان الشهيران (مولان روج) و (كازينو دي باري) ، كما استحدثت مدن الشواطيء والاستشفاء والمياه المعدنيـة ، ونوادي القمار في (مونت كارلو) وغيرها .. واشتهرت أحياء اللهو في (مونمارتـر) و (مونبارناس) وملاهي حي (سوهو) الأسطورية !

من كل هذه المظاهر الغارقة في الترف والاسراف واللهو والفكر والفن .. ظهرت طبقة الموهوبين الأفذاذ من .. الموسيقيين والأدباء والشعراء والفنانين في شـتى الميادين .. لم ير التاريخ مثلهم من قبـل مجتمعين في عاصمة واحدة مثل باريس .

ووسط هذا الزحام الابداعي .. تألق عباقرة الرسامين المبدعين . وانشـأوا مدارس فنية جديدة لم يعرف العالم اروع منها حتى اليوم ! ظهر «رينوار» و «سيزان» و «مونيه» وفناننا «ديجـا» و «مانيـه» و«تولوز لوتريك» و «فان جوخ» و «جوجان» وغيرهم من اقطاب المدارس التأثيريـة وما بعدها مما تعمر به المتاحف العالميـة شاهدة على تلك الطفرة الابداعيـة الرائعة !

وقد نزع « ديجا » إلى حياة الليل وأضواء المسارح وراقصات الباليه ، حتى نستطيع القول انه قد تخصص فيها .. شغف بالراقصات الرشيقات وهن يتدربن .. ثم وهن في وقت راحتهن .. والنـواحي الانسانية في علاقاتهن الخاصة .. وفي استعراضاتهن الجماهيرية .. وغير ذلك !

وكانت طريقته في رسـمهن جديدة في منظورها وتكوينها ، فقد اختار الزوايا الغريبة ، حيث كان يرصدهن من مقصورته المرتفعة في دار الاوبرا ، ومن وراء الكواليس ومن حجرات الملابس ومن مواقف أخرى مبتكرة . وظل يرسم راقصات الباليه حتى آخر يوم في حياته رغم المرض ورغم ضعف بصره الشديد . وفي ايامه الأخيرة وصل به القلق والضجر إلى منتهاه .. فآثر التجوال لساعات طويلة كل يوم في شوارع باريس بلا هدف حتى ينال منه التعب ، فيأوي الى بيته وحيدا إلا من خادمه الوفي .. يتأمل حجراته الموحشة وقد غطتها عشرات اللوحات من إبداعه وابداع زملائه الفنانين الكبار .. ويحلو له أن يتصفح كتابا بعينه لمؤلفه الشهير (جي دي موباسان) وقد كتب على صفحته الأولى اهداء للفنان الكبير مؤرخا بعام ١٨٨٨ : « إلى إدجار ديجا ... الذي رسم الحياة كما كنت اود ان ارسمها انا » !

جمال قطب

ديجا (من اقطاب المدرسة التاثيرية) ومن اعلام (العصر الجميل) امضى حياته يتعبد فى جمال المرأة وراقصات الباليه وقصته معهن طويلة ومثيرة !

رأيت في شراكسة الأردن : اخطف عروسك وتزوجها

بقلم : ضياء الدين بيبرس

إخطف عروسك وتزوجها .. فان لم تستطع ان تخطفها .. فانت لا تستحقها ، هذه هى القاعدة الأساسية فى زواج الجراكسة ، او الشراكسة ، وموطنهم الأصلى فى القوقاز .. ولكن بالمملكة الأردنية اليوم منهم مائة الف شركسى .

والشراكسة هم إحدى الجاليات النادرة جدا فى العالم ، التى تحتفظ بنقاء عنصرها الأصلى تماما فى اى مجتمع ينتقلون اليه . ليس فقط بالحرص الدائم شبه المقدس فى ان يتزوج الرجال دائما من نساء شركسيات .. وإنما ـ ايضا ـ بالابقاء على العادات والتقاليد الموروثة إبقـاء قدينقلها أحيانا من خانة الميراث الى خانة الاخراج المسرحى الباهر ... والمثل الحى لذلك هو الاصرار ان «يخطف» العريس زوجته اصرارا يكاد يجعل عملية «الخطف» هذه جزءا من طقوس الزوجية ... وبدونها لا يكون هناك زواج !

• •

شاءت الظروف ان أعيش ـ بلا سابق ترتيب او دعوة ـ جزءا من طقوس «الخطف» الذى يمهد للزواج الجركسى فى عمان حاضرة المملكة الأردنية . ثم تولى إكمال الصورة فيما يقع بين التاريخ والرواية ثلاثة من ابرز وجهاء الجالية الجركسية فى عمان ، هم فواز باشا ماهر رئيس الشراكسة فى الأردن ـ وهو فى نفس الوقت رئيس اركان الحرب السابق للجيش الأردنى ، وسفير الأردن السابق فى تركيا ـ وكذلك ابنته الشابة الساحرة لانا ، واخيرا السيد محمد خير بطة ، احد الزعماء البارزين فى شركس الأردن ، ومؤرخ عنصرهم ، وراوى فضائلهم .

والشركس بصفة عامة لا يشجعون الزواج من الاقارب . بل إنهم يستهزئون فى اغانيهم من الذين يتزوجون من ابناء عمومتهم .

واكثر من هذا فان كثيرا من الأسباط الشركسية لا تستخدم فى لغتها كلمة «إبنة العم» او «ابن العم» . بل يقولون : «أختى او أخى من عمى فلان» ... وكانهم ادركوا بفطرة المحاربين الحقيقة العلمية الوراثية المؤكدة التى برهنت على ضرر زواج الاقارب على صحة النسل ... وفى نفس الوقت فانهم يعدون الجيران ـ حتى الجيران ـ فى منزلة الاقارب بسبب انتشار شيوع إرضاع الأولاد بين امهات الحى .

ومن هنا انبثقت عادة تنظيم الرحلات والزيارات بين اهل حى وحى ، او بين اهل قرية وقرية ... والمطلوب اساسا من هذه الزيارات هو تهيئة الجو للتعارف بين الفتيات والفتيان عن طريق المباريات الرياضية والمسابقات والغناء . وبهذه المناسبة فان فضائل بنات الشركس تضارع جمالهن المشهود والمشهور . ذلك ان الفضيلة عندهن تنبع من الكبرياء وليس من التلقين . فالبنت فى المجتمع الشركسى تحترم وتدلل فى بيت ابيها الى حد يستنفر كرامتها الى ان تجعل احتشامها جزءا من وجدانها ...

وينتج من الزيارات المتبادلة ، بين الأحياء والمناطق الشركسية فى الأردن ، ان يلعب «كيوبيد» دوره ، ويخفق قلب كل اليف الى اليفته فيبدأ الفتى بالتردد على منزل فتاته ـ بعلم اهلها وتشجيعهم ـ فى حرية تامة ، وبدون اى ارتباط مسبق ، وعلى اساس تبادل الاختيار ...

فاذا ما رست سفينتهما على بر .. وبرح الجوى بقلبيهما ، وقررا ان يرتبطا بالزواج ، بدأ اعجب فصل من دراما الزواج فى مجتمع الجراكسة ، وهى دراما «تراجيكوميك» يختلط فيها العنف بالملهاة .

ذلك انه بمجرد ان يعلن الفتى والفتاة انهما يريدان الزواج ، يعقب ذلك على الفور ، ودائما ،



وكقاعدة اساسية من قواعد لعبة الزواج لا خلل فيها ولا إخلال بها ... نقول يعقب ذلك ان يكشر اهل العروس عن انيابهم للعريس ، وينهرونه بجفاء ، ويحجبون عنه الفتاة ، ويمنعونه من التردد على دارهم ... ويبدأ اهل الفتاة ـ دائماً ، ودون أن تنكسر علاقة الأهل فى العائلتين ـ يبداون فى شن حملة قاسية وشرسة على سمعة الفتى على مسمع من الفتاة : يذمونه ، ويرمونه بشر التهم ، ويتهجمون عليه بقوارص الكلم ، مؤكدين انه غير اهل لمصاهرتهم .. واخيراً فقطعاً لدابر كل شك ، يعلن الأب بوضوح ، وبلغة شركسية فصيحة ليس فيها مساحة للتاويل او التفسير ، انه لن يزوج ابنته لهذا الفتى بالذات .. وليدق براسه الحائط إن شاء !

وهكذا يسدل الستار عن الفصل الاول من فصول التمثيلية ، إنه فصل يتكرر فى مستهل كل مشروع زواج . شاهده محفوظة . بمهاراته وحـواره وتحركات ممثليه تكاد ان تكون فى مرتبة القانون غير المكتوب . ولم يحدث ان بدأ زواج شركسي الاردن ـ وفى غير الاردن ـ بدون هذا «السيناريو» ! ...

بعد ذلك يبدأ الفصل الثانى وهو اشد إثارة من الفصل الأول بمراحل .

فالعريس ، إذ تصله مذمة اهل فتاته ، وتحديهم له ـ ذلك التحدى المتفق عليه ! ـ مفروض فيه ان تتحرك نخوته لانقاذ الفتاة من هذا الحصار ، ولشفاء قلبه مما يكابده من غرام .. ومن هنا فانه يرسل اليها ـ مع اخته او اقرب نساء عائلته اليه ـ موعداً يحدده لـ : «اختطافها». ودائما تكون والدتها على علم بالموعد المذكور .. حتى تعدها لـ «فرار» وهى على اجمل حال ... وينشغل العريس بتهيئة خطة «الاختطاف» ..



وعادة تكون هذه الخطة محكا لتقييم قدرته وشجاعته وفروسيته . ودائما عليه ان يسر بالأمر وساعة الصفر لاصدقائه الخلص ... وهؤلاء عليهم ان يهبوا لنجدته ، ويتطوعوا لمعونته ، فياخذون فى دراسة الطرق المؤدية الى قرية العروس : ايها يسلكون فى الذهاب والاياب ؟ وهل هى قريبة تقوى على قطعها الخيل دفعة واحدة ام هى بعيدة تحتاج الى تبديل الخيل ؟

وعـــادة تتناول هذه «الدراسات» ايضا عمل «كمائن» لمنع تقدم المطاردين ، وتحديد عدد المدافعين ، وتحديد الصديق الذى «سيضعون» عنده العروس بعد اختطافها ـ لأن العريس لا ياخذ العروس مباشرة الى بيته طبعا ـ وهكذا تقضى قواعد اللعبة !

فاذا ما فرغوا من ذلك كله ، وحانت ساعة الصفر ، امتطوا ظهور جيادهم ، وخرجوا من قريتهم «خلسة» ، متوجهين الى منزل العروس فى جنح الليل . ويتقدم العريس الى باب عروسه حيث تنتظره فى كامل زينتها ، ويحملها العريس على ظهر حصانه .. وإذ يصل ورفاقه الى حدود القرية بعد اتمام عملية «الخطف» .. يتوقفون ويطلقون ثلاث اعيرة نارية متفقا عليها بين المجتمع الشركسى ، إيذانا لشباب القرية بخطف إحدى فتيات القرية .. فيهب الفرسان من نومهم ـ او هكذا يصور الامر لان الموعد فى الحقيقة متفق عليه سلفا بين القريتين ـ ويرتدون عدة القتال ، ويسرجون الخيل ، ويلجمونها فى دقائق معدودة ، ويلحقون بهم .. وإذ يقتربون من الكمين المنصوب لاعاقة الملاحقين ينذرهم فرسان الكمين باطلاق عيار نارى فى اتجاههم ...

هنا تقضى قواعد سيناريو «الخطف» او تمثيليته ، تقضى على المطاردين بان ينصاعوا لهذا الانذار ويرجعوا الى بيوتهم مرتاحى الضمير لانهم بذلوا ما استطاعوا للحيلولة دون إتمام عملية الخطف (فالمسالة كلها ليست اكثر من تقليد متفق عليه سلفا) ...

هذا هو المفروض . ولكن ـ كما يحدث احيانا على خشبة المسرح من خروج الممثلين على النص .. يحدث احيانا على مسرح عملية الخطف الوهمية ان يكون من بين هؤلاء الفرسان المطاردين من تاخذه العصبية او الحمية او المشاعر الشخصية او فتوة الصبا فيصر على الا يابه للكمين .. وهنا يكون على المتربصين ان ينذروه مرة ثانية ، ولكن باسلوب اخر ، هو قتل جواد الغير بعيار نارى ... وبعدها يعود الفارس مرتاح الضمير !

نصف ساعة فقط

الآن تمت مراسم الفصل الثانى من تمثيلية «إخطف عروسك لكى تتزوجها» . وذلك حين يسدل ستار الفصل الثانى على العروس وقد حملها خطيبها ورفاقه الى منزل احد وجهاء القوم ذوى الباس .. وهذا عليه ان يعتبرها فى عداد بناته ... ثم يبدأ الفصل الثالث !

إن هذا الفصل يبدأ بأن يشكل هذا الوجيه وفدا من اهل القرية او الحى ويتوجه بهم الى والد الفتاة المخطوفة لكى يسترضوه ويلينوا قلبه !

هذا الوفد يسمونه فى الأردن : «الجاهة» ... ولابد ان يستقبلهم الوالد بعبوس مصطنع وتجهم متفق عليه .. وبرود «مبرمج» ! ... ولكن باحترام .. وبخاصة ان هذا الوفد ، او «الجاهة» .. يصطحب عادة معه بعض عجائز القبيلة او الحى او القرية التى ينتمى اليها والد العروس المخطوفة .

ومايزال الجميع بالوالد يسترضونه ويقدمون اليه الأعذار ، ومايزال هو يتابى اول الامر ويتمنع .. حتى يمر وقت كاف لارضاء كبريائه ، فيقرر الصفح ، والرضا بخطبة **الفتاة** الى عريسها ...

ويستحيل ... يستحيل ان يتم زواج فى مجتمع الجراكسة فى الأردن من دون تتابع المشاهد التى رأيناها فى تلك الفصول الثلاثة ... ويلاحظ ان الفصل الثالث لم يتم بعد ...

ذلك انه بمجرد موافقة الوالد ، تنقل العروس من دار الوجيه الحامى الى دار فتاة فى مثل سنها يطلق عليها اسم «الاشبينة» . كذلك يذهب العريس الى دار احد اصدقائه ويسمى «الاشبين» .

والمفروض ان «الاشبين» و «الاشبينة» ـ ومعناها شبيه الاخ وشبيهة الاخت ـ تقول ان المفروض انهما هما المتكفلان بنفقات العرس الباهظة وهنا تخف تقاليد التراحم والكرم الشركسى لاسعاف الاشبين والاشبينة!! ذلك ان العادة قد جرت ان تشكل وفود من الشبان والفتيات مصحوبين بموسيقاهم الشعبية ، الى القرى المجاورة لدعوة شبابها ... فكل دار تصدح امام بابها الموسيقى ، تعتبر مدعوة للعرس ... (وهذه الطريقة فى توجيه الدعوة لا يوجد لها مثيل فى اى مجتمع فى العالم ... إذ لا يستطيع المدعو ان يتعلل بان الدعوة لم تصل اليه فى البريد (!) ... والمفروض ان ياتى المدعوون وفى ايديهم هدايا ثمينة .. بهدف مساعدة دار العرس ...

كذلك تجرى المبارزات والمسابقات على جوائز مقدمة من الأصدقاء ، كالخيـــل والبقر ، والغنم ، والسجاد ، والشيلان ، وما اشبه ... وعلى الفائزين بتلك الجوائز ان يقدموها هدية للعريس والعروس ...

مغزى الحكاية المعقدة

ولا يسمح الاشبينة والاشبين للعريس والعروس بان يتم زفافهما إلا بعد فترة احتفالات معقولة تعقب عقد القران الشرعى .. وبعد اللتــى واللتيـــا يحدث ان ياخذ الصديق المضيف العريس خفية فى اخر الليل الى دار صديقة العروس (أشبينتها) التى تكون هى والعروس بانتظارهما ... ويسمح للعروس بخلوة لا تطول اكثر من نصف ساعة بحجة ان الافراط فى ملذات شهر العسل تضر بالصحة .. ويعود الصديق بالعريس الى داره (دار الصديق) .. حيث يمنع من الاتصال بعروسه منعا باتا لمدة اسبوع كامل ... وبعدها ينتقل العروسان الى دار الزوجية !

حكاية معقدة كما نرى .. ولكن ما هى حكمتها ؟

يقول الجراكسة ، بحماس ولكن بلا ابتسام ، ان الزواج بهذه الطريقة يوثق كيان العائلة الشركسية ، ويربط الفتى والفتاة برباط الزوجية الذى لا سبيل الى انفصامه . فقد سبق ورأينا ان عائلة العروس ، عمدت قبل عملية الخطف الى قطع الصلة مع الفتى . واخذت تجاهر بذمه والحملة عليه ، وحرمت بعد إباحة كاملة ، على ابنتها ان تلقاه او تجتمع به ...

ثم رأينا كيف انتهى هذا الموقف بخطف الفتاة ، وكانه حادث وقع رغم انوفهم ، وخارج حدود إرادتهم .. إذن فمعنى ذلك ان الفتاة وحدها هى المسئولة عن الزواج وليسوا هم ... فهى التى اختارت العريس وليسوا هم .. وليس من حقها ان تعود فتشكو من زوجها لأن احدا لن يجيبها إلا بهز الأكتاف ...

كذلك يفهم الزوج ان فتاته اختارته من بين عشرات الفتيان ، وانها قارنت بين رضاء اهلها ورضاه ، وطاعة اهلها وطاعته ، فاختارت رضاه هو ، وضربت رغبة اهلها عرض الحائط .. وهى تعلم ان اهلها سيذكرونها بكل هذا اذا ركبت راسها وجاءتهم تختصم زوجها ...

فى نفس الوقت ، فان اهل الزوج يعطفون على وضع الفتاة ، إذا تزوجت بفتاهم رغم انف اهلها ... ومن هنا فانهم ينزلونها من انفسهم منزلة الابنة العزيزة ويبدلونها اهلا باهل . وهى بهذا الشعور وهذا الاحساس تقبل على بيتها الجديد بجماع قلبها ووجدانها ، تحس بانها حطمت كل الجسور خلفها . فلم يعد لها إلا هذا البيت ...

ومن هنا يمكن ان نفهم لماذا تندر فى المجتمع الجركسى حالات تعدد الزوجات ... فالرجل الشركسى ليس مستعدا لخطف زوجته مرتين .. والزوجة الشركسية ليست مستعدة لقبول شريكة لها فى زوجها ... بل إن حالات الطلاق فى المجتمع الشركسى تكاد تصل الى درجة الصفر تقريبا ، وعلى سبيل المثال فان حالات الطلاق بين الشراكسة فى الأردن لم تزد عن خمس حالات فى اربعة اعوام من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ ، مقابل ستة الاف حالة زواج ، بدأت كلها ـ وبلا استثناء ـ بخطف الزوجة فيما عدا حالة واحدة يذكرها تاريخ هذه الفترة على سبيل التحديد ، وهى خطبة حفيد احد السياسيين العرب المعروفين لكريمة فواز باشا ماهر رئيس الطائفة الشركسية فى الأردن ... وقد تم التخلى عن عادة الخطف هذه بناء على رغبة شخصية لشخصية كبيرة لها اعتبارها العام .

فهل تحب ان تتزوج شركسية ؟!

ضياء الدين بيبرس



ليـــالي دمشـــقية

الأفندية والنرجيلة وخيال الظل

بقلم: عـــادل أبوشـــنب

تلك الليلة فى الشهر الماضى كان رواد مقهى الدرويشية الشعبى فى دمشق مختلفين عن رواده العاديين . كانوا . هذه المرة . أفندية . احتلوا منذ الساعة الثامنة الكراسى الخشبية ، وفيهم من دخن النرجيلة . ولم يكن المقهى مختلفا . تلك الليلة . عنه فى الليالى السابقة ، ولن يكون مختلفا عنه فى الليالى القادمة إلا بوجود خيمة صغيرة ركبت فى أحد أركان المقهى ، وتميزت هذه الخيمة بشاشة من الكتان الأبيض . إنها دعوة لعرض من عروض فن خيال الظل المندثر ، فكر أحد محبى هذا الفن أن يحييه بعد موت دام ربع قرن او اكثر قليلا فى دمشق .

الأفندية والنرجيلة وخيال الظل



جمهور خيال الظل في مقهى الدرويشية بدمشق



امرأة من شخصيات خيال الظل

العرب عرفوا المسرح

عزفت موسيقى متواضعة على نحو ما كان يجري في عروض خيال الظل (او كراكوز وعيواظ كما كان يسمى في دمشق باسم شخصيتيه الرئيسيتين) ثم قام الى الخيمة عبد الرزاق الذهبي ، صاحب فكرة بعث الفن الميت ، فحرك الشخوص وتكلم بالسنتها . وشاهد الجمهور الخليط حكاية ملخصها ان الحمار يتجنب الحفرة التي يقع فيها مرة ، في حين ان الانسان لا يتجنبها . كركوز وعيواظ الاول الغبي الذي يقع في المقالب . والثاني الذي يتفنن في التخطيط للمقالب . وبكري مصطفى السكير القبضاي . والمدلل،وغيرها من شخوص فن خيال الظل الدمشقي .. كانت ماثلة ، فكأننا كنا قبل نصف قرن من الزمان . وكان الهيئة العامة والخاصة التي استحوذت على مشاعر الجمهور طوال سبعة قرون في البلاد العربية ، بل في العالم الاسلامي ،قد زارتنا بعد غياب . لا لتقول لفنون هذه الأيام : اذهبي لاكون مكانك ، بل لتذكر ان العرب قد عرفوا المسرح من قبل . فما هذه الفصول التي يشخصها رجل واحد بواسطة دمى جلدية ملونة تجري وتتحرك وتعيش من وراء ستارة بيضاء مضاءة ، إلا الظاهرة المسرحية الرائعة التي سادت في بلادنا فسدت مسد للمسرح المتعارف عليه (ذي الابعاد الثلاثة) . فكانت ارثنا المسرحي الذي علينا ان ننظر اليه باحترام ، لانه على الاقل ، ينفي عنا تهمة اننا لم نعرف المسرح إلا في العصر الحديث .

زعموا ان موطن خيال الظل الهند ، فقال بعضهم إنه جاءنا من جاوه ، والمستشرقون الالمان قالوا انه وصل الى العالم الاسلامي عن طريق الصينيين . ومن الثابت انه انتشر في البلاد العربية مثل غزوات التتار ، والمؤرخون ابن اياس والمقريزي والابشيهي يروون كيف تم انتشاره في بلادنا ، وكيف اصبح حرفة لها عمالها وكتابها ومحركو شخوصها الذين هم اهم عنصر فيه لان الحوار يجري بالسنتهم ، وبراعة محرك الشخوص (الكراكوزاتي) انه يتكلم بالسنة الشخوص جميعاً ، فيقلب صوته وفق الشخصية المتكلمة .

كيف يتم العرض

يجري العرض بان يقف محرك الدمى داخل الخيمة دون ان يراه الجمهور ، وعلى انغام الطبل والمزمار يبدا الفصل بتحريك الدمى من وراء الستارة البيضاء التي تشبه شاشة التلفزيون او شاشة السينما (في الواقع هاتان الشاشتان هما اللتان تشبهان شاشة خيال الظل لان هذا الفن اقدم) ، وتجري الحوادث كما في الفصل المعروض ، وينفعل الجمهور بالقصة وبالحوار الذكي والجميل الذي هو حوار مسرحي حقيقي الى ان ينتهي الفصل مع ضحكات الرواد واستمتاعهم وحصولهم على العبرة المتوخاة

وقد يكون مؤسفاً ان الباحثين والمؤرخين العرب لم يلتفتوا في العصر الحديث ، الى هذا الفن إلا قليلا . وفي دمشق اقدم مستشرق فرنسي ايام الاحتلال الفرنسي ، وبالتحديد عام ١٩٢٨ على نقل عدة فصول محلية ، وقد نشرت بعد موته في مجلة «الدراسات الشرقية» التي كانت تصدر في باريس (العدد



كراكوز وعيواظ فى مشـــــهد تمثيـــلى

الصادر فى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) وابرزها فصل الحمام المشحون بالمواقف المضحكة والكلمات البذيئة ، فقد أصبح فن خيال الظل فى دمشق سقيما فى ايامه الأخيرة .

تراث مسرحى عربى مهمل

إن العودة الى خيال الظل فى اواخر القرن العشرين ، وفى مقهى شعبى من مقاهى دمشق .. لا تستهدف إحياء هذا الفن وتوظيفه ، وان كان مايزال قائما وموظفا فى بعض أقطار جنوب شرقى اسيا (أندونوسيا مثلا) لكنها تستهدف لفت الانظار الى تراث مسرحى عربى مهمل ، هو بالتاكيد الدليل على وجود الظاهرة المسرحية عند العرب ، إن لم تعتبر فن خيال الظل مسرحا كاملا ، ودعوة الى دراسة نصوصه المتناثرة هنا وهناك التى تعطينا صورة عن طبائع وانماط السلوك والتفكير التى كانت سائدة ، فى مرحلة من مراحل الزمن فى بلادنا ، كما تضعنا امام نماذج من الكتابة الشعبية التى لم تنقلها المخطوطات والكتب الينا للأسف . وقد يكون الاغراء كبيرا عندما نعلم ان محركى دمى خيال الظل كانوا بمثابة الصحف والجرائد التى تنقل احداث اليوم ، وكانوا ـ وهذا هو المهم ـ من الدعاة والمحرضين السياسيين الذين لعبوا دورا بارزا فى إزكاء الروح الوطنية .. فى مرحلة هامة من مراحل تاريخنا القومى ، وعلى سبيل المثال .. لجأ فنانو خيال الظل الجزائرى الى الجبال فى منتصف القرن الماضى عندما أصدر المستعمرون الفرنسيون أوامرهم بمنع هذا الفن تحت طائلة العقوبة .

الشخوص نماذج مصغرة

وكلمة فى شخوص فن خيال الظل : إن المضمون الذى حملته شخوصه على الرغم من انها مصنوعة من الجلد الملون ، هو مضمون اجتماعى حقيقى ، فقد تجاوزت الشكل الجلدى ، واصبحت نماذج مصغرة لاشخاص موجودين فى الحياة اليومية ، يفكرون ويتصرفون فتعكس هذه النماذج انماط تفكيرهم وتصرفاتهم ، ومن هذه الزاوية يبدو هذا الفن قريبا من المسرح الحالى ، بل يبدو كانه قد تجاوزه فجعل التقليد يتم بواسطة دمى ، كي يكون الرمز معبرا .

لما فتح كركوز وعيواظ ، فى احد الفصول دكانا لبيع اللحوم .. استخدما اخاهما داميتو كاجير فكان يسال الزبائن الوافدين : ماذا تريدون : لحم قطط ، ام لحم كلاب ام لحم حمير ؟ اشارة الى ما يجرى احيانا فى الواقع السيىء وعلى هذا النحو كانت وظيفة فن خيال الظل الاجتماعية ، وكانت شخوصه دعاة تنبيه وإيقاظ وتوعية فى قالب من الاضحاك لا مثيل له .

سهرة مقهى الدرويشية اعادتنا الى جانب مضيء فى إرثنا الفنى .

عادل ابو شنب

زبرجدة إلى أمل دنقل

شعر: حسن طلب

إنْ كنتَ لا تذكُرني ، فأنا الذى نَاصبْتُك من قبلُ العداءَ وكنتُ بادلتُكَ بالجّفاءِ الجّفاءَ ، انا الذى قابلتُكَ فى الغَداةِ فقاتلتُكَ كنتُ بسرِّ الاداءِ وسحرِ الأَداةِ ، وانا الذى جالسْتُكَ فى المساءِ فذَمَمْتُ بينَ يديكَ الهوىٰ وشكوتُ اليكَ مكْرَ النساءِ ، وانا الذى نادمتُكَ فى العَشيّ .. وقلتُ : لإنّكَ انتَ الوصيُّ وكُنْيَتُكَ النّطاسِيُّ .. فقلْتَ لى : وإنكَ انتَ الجّديرُ وكُنْيتكَ النّحريرُ ، فلئنْ كنتَ قد ذكرتَنِى ، فدعْنى لاعودَكَ العِيادةَ الصّريحهْ

سأصطفى بعضَ الشّذىٰ المُتاحِ
والزّنابقِ المتيحَهْ
وأكْتَفى بهذهِ الأيقونةِ الفَصيحهْ :
يا صارِفَ الأذىٰ .. وربّ كل من ضلّ او اهتدَىٰ
يا واحِدَ النــــدىٰ
رِقّ لواحِدِ القَرِيحه

• • •

قالَ : فِضْ
قيلَ : فاضْ
وجرىٰ السّيلُ بالوَيلِ
حتى إذا غمرَ البرْلمانَ
وأغرقَ دارَ الحُكومَةِ
والافتات الطّوالَ العِراضْ
قال : غِضْ
قيلَ : غاضْ !
ونهى النيل ـ قيل
ـ عن المُنْكَرِ
احْتدّ وهو يصِبّه بهدمِ السّدودِ
وردْمِ الحدودِ
ورَىِّ الحياضْ
قلتُ :
من ذلكَ العارِفُ الفَذّ ؟
هذا الذى يتألمُ والناسُ تلْتذّ !
قيل : امرُؤٌ
يتنبأ باسمِ الأجِنّةِ قبلَ المخاضْ !
قلت : فلتذهبوا بى إليهِ ..
ذهبتُ :
فَا لَفَيْتُ لونَ المُلاءاتِ ابيضَ (*)

تاجَ الحكيماتِ ابيضَ
مَصْلَ ارلانانيب
شكلَ الطبيب
سألتُ : فما خَطبُهُ ؟
قيلَ :
سفّهتِ السفهاءُ بليلِ الهزائمِ احْلامَهُ
ثم سوّدتِ الهُدنةُ ـ الهدْنتانِ .. الثّلاثُ
.. جميعُ صُنوفِ التهادُنِ ـ ايّامَهُ
فتوحّدَ باللونِ .. حبّاً فى اللونِ الامَهُ
ومضىٰ يتقلبُ فى درجاتِ البياضْ !
قلتُ فلتدْخلُوا بى عليْهِ ..

دخلتُ :

ـ عليكَ السلامُ

ـ السلامُ مضىٰ .. والسّلامةُ فى إثْرِهِ

ـ والعلامةُ ؟

ـ أن صباحَ النّدامةِ حَلّ
وَأن جَناحَ الحَمامةِ هاضْ !

ـ والخلاصُ ؟

ـ البقاءُ على أهْبةِ الموتِ مهما استدامَ

ـ إلامَ ؟

ـ إلى يوم أن نَسْتردَّ الأمانَ
وَأن نستعيدَ الزمانَ

ـ متى نستعيدُ ؟

ـ إذا الديكُ باضْ !!
إنما أفسَدَ القومَ قبلكَ
حبُّ النهايةِ قبلَ البدايةِ

ـ والنصرُ ؟

ـ مَحضُ افتراضْ
يشهَدُ اللهُ أنىّ ما قلتُ
إلاّ الذى قد عَلِمْتُ
فَهيّئْ سِلاحَكَ .. إن سَلاحَكَ فى الحرْبِ

ـ إن سِلاحى القصيدةَ

ـ ما الشّعرُ عندكَ ؟

ـ عندى القريضُ فيوضُ الجّلالِ
وَمُطلقُ آياتِه
وغموضُ الجمالِ إذا شفت عن ذاتِهِ



إنه كالزبرجَدِ فى الرّونقِ المحضِ
أو كالبنفسَجِ فى الرّوضِ
وهو الرياضةُ والمسْتَراضْ

ـ هل نظمتَ القوافىَ ؟

ـ بلْ رُبَّ قافيةٍ قلتُها
.. قيلَ : من قالها ؟!

ـ وعشقتَ ؟

ـ أجلْ ..
وَسلبْتُ المَليحةَ جِريالَها

ـ أفسدَتْكَ العيونُ الصِّحاحُ المِراضْ
فَوهِمْتَ وأوْهمتَ
ليسَ القريضُ كما قد عَلِمْتَ

ـ فكيفَ تراهُ ؟

ـ القريضُ اعتراضْ
وكلامٌ من القلبِ
يَجنحُ للشعبِ

ـ كلُّ اعتراضٍ جمالٌ تملّصَ من رِبقةِ الشّكلِ
وهوَ جلالٌ تخلصَ من قبضةِ الكُلّ

ـ لاشكّ أنكَ تلعبُ بالمفرَداتِ
فهل لكَ فى الشّارداتِ الأوابدِ ؟

ـ هَبْكَ جريرا وهبنى الفرزدق(•)
وتعالَ لِننظُرَ من سوفَ يسبِقُ !

ـ من سيبدأُ ؟

ـ أنتَ .. فهاتِ

ـ أجلْ :
دمٌ يغلِى .. وصبرٌ ليسَ يُجدِى
ـ وأجفـــانٌ مُكحّلةٌ بسُــــهدِ
ـ وصدرٌ ضاقَ بالأوطانِ ذَرْعاً
ـ وبالدنيا تُعيدُ بِهِ وتُبــدِى
ـ تنَفّسَ مثلَ بركانٍ وأرغىٰ
ـ كموجِ البحرِ فى جزرٍ ومــدِّ
ـ فهلْ تزكُو سواعدُنا ونبنِى
ـ كما بَنَتِ الأوائلُ كُلَّ مجدِ ؟

• • •

وعلى حينِ غِرّةٍ توقفَ وقالَ : ذلك يكفيكَ فلا فُضَّ فُوكَ .. ثم جَعلَ يضحكُ ويقولُ : ها أنتَ قد اسْتُدْرِجْتَ للفخّ ، فأينَ ما كنتَ تدّعِى ؟ أينَ الجّمالُ والقُبحُ ؟ وأينَ الشعرُ الفَحُّ ؟ قلتُ فمالَكَ من مُخاتلٍ وصاحبِ مُشاغبٍ ! تا للّهِ إنكَ أنتَ القنّاصُ والكُ الأشْصاصُ ! فقالَ وإنكَ أنتَ الجَوّابُ والكُ الأسْطُرْلابُ ، قلتُ فناشَدْتُك اللّهَ إلاّ ما أعلَمْتنِى : فيمَ امتزْتَ على أقرانِكَ ، وبِمَ برزْتَ أترابَكَ ؟
قالَ : بحاجةٍ مباحةٍ
وديباجةٍ مُبيحَه
قلتُ : فيا واحدَ النّدىٰ
رِقّ لواحدِ القريحَه

(•) الأبيات الأربعة التالية من قصيدة : (ضد من ؟) للشاعر أمل دنقل بتصرف .

مومياء فرعونية

تحت الفحص العلمي



فريق من العلماء قام بتشريح جثة بعد موتها بثلاثة الاف عام . كانت تلك هى المومياء الفرعونية رقم هـ ٧٣٨٦ ، التى بدا يصيبها بعض التحلل بمتحف مدينة بريستول . قام الفريق «بفك» اللفافات حول المومياء الى حوالى الف قطعة وعظمة وحقيبة تراب نفاذ الرائحة ، ثم اعادوها بعد ذلك الى ما كانت عليه فما هى قصة صاحب المومياء ؟

فى حوالى عام الف وخمسين قبل الميلاد كانت المومياء رقم هـ ٧٣٨٦ كائنا بشريا حيا اسمه هاريم ـ كين ـ إيسي ، وظيفته الرسمية : رئيس العاملين بـ «قصر الصدور» ، بالاضافة الى لقبه الدينى : كاهن معبد امون بمدينة طيبة ، موطن الاله امون .

ومن الممكن ان يكون هو نفسه هاريم ـ كين ـ إيسي ، الذى سجل اعماله بالكتابة على الجدران عن رحلاته التفقدية لوادى الملوك ـ مدفن الملوك بالقرب من طيبة ، وذلك على صخور الوادى ، حوالى عام ١٠٦٥ قبل الميلاد . لقد كانت القبور الملكية فى يوم من الايام منحوتات فنية يقوم العاملون الذين عاشوا بـ «قصر الحقيقة» بزخرفتها . و «قصر الحقيقة» لم يكن أكثر من مجمع سكانى قديم . لكن بحلول عام ١٠٦٥ قبل الميلاد بدا دفن الملوك يتم شمالا . كانت طيبة مدينة منعزلة ، وكان «قصر الصدور» قرية اشباح . وكانت فرق العمال فى بعثة عمل للصيانة . وبذلك لم يكن لقب «رئيس العاملين» اكثر من مجرد رسميات بيروقراطية .

قصير .. بدين

وبالتاكيد لم يتم اختيار السيد / هاريم ـ كين ـ إيسي ، من قبل العمال ، كما يتم ذلك عادة فى القرن العشرين . فقد كانت يداه محلاتين بالطلاء ويمكن للمرء ان يستنتج من مظهره انه لم يقم باى عمل شاق .

كان قصيرا ، بدينا ، وربما احدودب ظهره قليلا وتصلبت عظام عموده الفقرى بفعل السمنة او تقدم السن . فكاه قويان . لكن اسنانه مفككه بفعل مرض واورام سببها تناول طعام به رمال خشنة ، وربما كان انفه معقوفا ، واذناه دقيقتين ، وربما كان يذهب الى المعبد حين يقوم بمهامه الكهنوتية حليق الراس ، وعاش ما يربو على الخمسين عاما .

كل هذه التفاصيل عن رجل توفى قبل قرون طويلة ، قد كشفت بمحض الصدفة ، الصدفة البيئية !

كانت المومياء هـ ٧٣٨٦ قد شحنت بواسطة «صندوق الكشوفات المصرية» عند اخلاء معبد من كل ما فيه عام ١٩٠٦ . وقد وجدت المومياء فى تابوت مزخرف لاتزال عليه الزهور التى وضعت إجلالا له عند وفاته . وتم شحن المومياء بتابوتها من مصر الى بريستول كـ «هدية» : من مؤسس الصندوق للمتحف . وظل هـ ٧٣٨٦ مجهولا ومستقر الحال بالمتحف . حتى صيف عام ١٩٧٦ الحار ، حين تحللت الحزمة وارتشح الملح الكيماوى الطبيعى والتى يطلق عليها اسم «النطرون» لتصل الى لفائف الكتان الخارجية .

وبدا كما لو ان مصير مومياء السيد / هاريم ـ كين ـ إيسي او رقم هـ ٧٣٨٦ ، هو اسوا مصير يمكن ان تتعرض له مومياء . إذ كان لابد من اتخاذ قرار بحرقها حفاظا على الصحة العامة .

لكن مصير السيد / هاريم ـ كين ـ إيسي ـ او مومياته بمعنى أصح ـ تغير فانقذ ، إذ تقرر معاملته كحفرية اثرية استثنائية .





اربع لقطات للمومياء الفرعونية تحت الفحص العلمي لفريق العلماء تحت رئاسة ديفيد داوسن .



لقد تحللت عدة مومياءات من قبل ، باسلوب علمى ، تاركة من السجلات ما هو سرى ، كانه ملفات الأطباء الخاصة عن مرضاهم . وقد ادرك ديفيد داوسوف امين الآثار بمتحف بريستول ، أن ما كان ينقص هذه السجلات ، هو تفصيلات عن فك الأربطة واللفائف . فقد كان الاطباء المتحرقون شوقاً لدراسة لحم وعظام اى مومياء ، يزيلون اللفائف بسرعة وبغير دراسة . لذلك قرر داوسون دراسة اللفائف الكتانية عن طريق فكها ببطء . خاصة وأن تاريخ هـ ٧٣٨٦ يعود الى الأيام التى تجلت فيها مهارة «الحانوتيين» المصريين فى التحنيط ، أيام الأسرة الواحدة والعشرين . لذا كان من راى داوسون أن يقوم الأطباء بتكرار العملية الأصلية ، ولكن بترتيب عكسى .

فريق عمل

تكون فريق عمل من خبراء المتحف ، وعدد من أساتذة كلية الطب بجامعة بريستول ، ومتخصصين فى فروع مختلفة اخرين . واستخدم الفريق غرفة العمليات بقسم التشريح بكلية الطب بالجامعة .

وبدا الفريق العمل :

اخذوا يفكون الأمتار تلو الامتار من اللفائف . ووسط اللفائف فى احدى مراحل «الفك» كانت هناك «علامة الخلود» : بعض الكلمـــات بالهيروغليفية باسم هاريم ــ كين ــ إيسى . (وكان الاسم قد كتب بنفس اللغة على ورق فى التابوت نفسه ، والى جانب الاسم ، كانت هناك جميع القاب السيد / هاريم) . وهكذا تطابق ما جاء فى التابوت مع ما بداخل المومياء : الاسم ، والقاب التشريف .

ما الذى كشف عنه فريق العمل ؟

التاكد من شخصية «المومياء» ، وهو شىء له اهميته فى «الاجراءات الجنائزية» فى مصر القديمة .

اما تشريح «الجثة» ــ المومياء ــ فلم يبح بالكثير مما كانوا يأملون فى معرفته . فلم تكن الأحشاء بالجثة ، ولم تكن معباة معها ، او موجودة معها فى «عبوات» منفصلة . وقد قلل هذا من فرصة حل الكثير من الأسئلة والاستفسارات الباثولوجية التى كان من الممكن دراستها فى الجثة ــ المومياء . وقل اكثر حين تم اكتشاف ان التحنيط تم بطريقة متسرعة الى حد كبير .

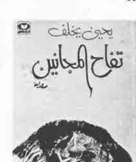
بحيث زحفت الخنافس على المومياء ، فلم تبعدها الاملاح والصمغيات عن الزحف على المخ والأرجل بينما ظل الجسم محتفظا بشكله العام بمزيج من طمى النيل والاملاح وقشر الحنطة .

ولم تضع اى ذرة من ذلك كله . لقد احتفظ بها كلها . متحف بريستول : حتى تلقى الضوء اكثر على من يريد ان يتابع سيرة حياة هاريم ــ كين ــ إيسى !



دليل القارئ الذكي

● تفاح المجانين .
تأليف يحيى يخلف .
نشر دار الحقائق للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٢ .



تفاح المجانين رواية للاستاذ يحيى يخلف ، الأمين العام لاتحاد الكتـــــاب والصحفيين الفلسطينيين ، والرواية مهداة الى الشهيد ماجد ابو شرار ، ماجد الانسان ، والقائد ، والمثقف الثورى .

بالرغم من قصر الرواية الذى لا يتعدى المائة صفحة ، إلا انها تعكس بكثير من الواقعية الثقافية لنفسية الانســــــان الفلسطيني ، وهمومه اليومية فوق كل أرض تواجد عليها ، فى فلسطين ، فى الأردن ، فى سوريا ، فى لبنان او فى اى أرض تواجد عليها ، اما اشخاص الرواية ، فانها تنبض بالحياة ، بالحيوية ، تتجاوب مع الام اخوانهم ، ومتاعبهم ، وهمومهم ، وضياعهم ويربطهم جميعا امال عظام ، وحنين كبير الى الوطن ، الى الأرض ، الى البيت ، الى التمر ، الى الشجر .. الى فلسطين ، فحافظ المؤلف فى روايته على الجو الشـــــعبى الفلسطيني العام ، من خلال تقاليده ، وموروثاته .

الحدث الرئيسى الذى تدور الرواية حوله معاناة الفلسطينيين سواء فى أرضهم المحتلة ، أو فى مهاجرهم ، المعاناة من بطش السلطة سواء الصهيونية فى الأراضى المحتلة ، أو السلطة فى المهاجر ، فيلقى باللائمة على الفلسطيني الذي كان يترك مصيره يتلاعب فيه غيره كما يشتهى ، فى الفترة التى مرت قبيل انطلاقه ، لاثبات ذاته عندما تشجع فقضم من تفاح المجانين ، او « تفاح المجن » وهو الاسم الشعبى الدارج ، وهو شجرة برية ، تنبت فى سهول فلسطين وجبالها ووديانها ، ولا يقصده الناس إلا فى حالة الضرورة القصوى ، او الخطر المهدد ، او الظلم القاهر . حيث يتحول الآكلون الى مجانين واعين ، الى ابطال فى نظر انفسهم ، لا يهابون حدوداً او سدوداً ، يهدون الجبال ، ويتحدون المخاطر ، ولا يرون احدا مهما كانت قوته او جبروته .

فاكل الواعون من هذا التفاح ، للانطلاق بوعي ، وبتفهم بان العودة لايمكن ان تكون بالكلمات والعرائض والخطابات وقرارات الامم المتحدة، بل تكون بالجنون الواعي ، حيث يقف فيه الثائر على قدميه مقاوما بكل الوسائل كل من يريد التلاعب بمقدارته ، والمساومة على مصيره ، مؤمنا إيمانا راسخا من خلال تجاربه الواعية ، عبر ثوراته المختلفة ، بان لايمكن ان يحرر ارضه ويعود إليها ، إلا إذا تحرر من سلطة تريد ان تفرض عليه امرا يتعلق بمصيره من بعيد او قريب .

وركز أشخاص الرواية تفاح المجن ، فى اوقات المحن هو الملاذ . ياكل منه البعض انــذرا حتى لا ياكله الكل . فيكون التمرد العظيم ، والتمرد الواعي ، الذي جعل « بدر العنكبوت » ـ ابرز وجوه الرواية ـ الذي كان دوما تواقا إلى القوة ، ليفعل ما عجز الاخرون عن صنعه . فجاهر لاصحابه وللناس جميعا مايؤمن به وما يراه صحيحا ، وكان صيفا جافا ، وكانت رياح هــوج ، هام الناس فى البراري ، فأكل بدر من تفاح المحبة ، وتبعه أصحاب له ، والناس بين مشفق ، ومشجع ، فدبت فيه وفى أصحابه قوة عاتية ، فدحرجوا الصخور ، واقتلعوا الأشجار ، وقالوا قولتهم « ثورة حتى النصر » .

إن هذه الرواية ، التى تتسم ببساطة الاسلوب ، ووضوح الاهداف ، وبعد المرامي جديرة بالقراءة ، والتمعن ، لأن المؤلف اضاف بروايته إضافة مضيئة إلى الرواية الفلسطينية خاصة والعربية عامة .

● فن الحياة .. فن الكتابة
تأليف الدكتور أسعد علي
نشر مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ـ بيروت .



إن التجديد فى عرض الافكار ، إبداع يضفي على الموضوع عناصر التشويق ، والرغبة ، إلى معرفة كنهه ، لورود منهلة الثر .

وما كتاب « فن الحياة .. فن الكتابة » سوى إبداع فكري ، ونتاج ثقافى من نوع جديد ، لأنه ثمرة دراسة ، واطلاع ، ووعي ، إذ تكفي نظرة واحدة إلى المراجع الهائلة التى تربو على خمسمائة كتاب ، التى استعان بها المؤلف ، ليتضح مدى سعة الآفاق الثقافية ، واصالة البحث ، التى يتمتع بها الاستاذ الدكتور « اسعد علـــي » مؤلف هذا الكتاب .

الحياة فن يتذوقه خبراؤها ، ولكن اختيار الحياة ، يظهر دورتها المتراوحة بين فصول ربيع ، وصيف ، وخريف ، وشتاء ، وبين فصول ولاده ، ونضـــج ، وهــــرم ، وموت ، كما يظهر اختبار الحياة بعث الربيع من صميم الشتاء .

الحياة ذات معان ومناشط ، فمن معانيها ، تحقيق الذات ، وتاكيد القوة ، وتادية الرسالة ، ومن مناشـــطها الفكر ، والعقل ، والقول ، فكيف يستخدم الانسان مناشط الحياة للتوصل إلى معانيها ، التى تمنح مباهجها .

هذا ما عالجه المؤلف فى فن الحياة ، فمن عشاق الحياة من يكتشف الديمومة النفسية

إلى الكتب الجديدة ● ● عرض وتقديم : حسني شحادة

ويهيىء نفسه لأن يجد الديمومة الحقيقية في مجال الحياة والشعور ، ويشترط صاحب هذه الفكرة ثلاثة شروط أساسية للحياة ، يراها في الدفقة الحيوية ، والخلق المستمر ، والحرية المبدعة . ومن الباحثين من يتوق إلى معرفة منشأ الفكر الحديث ، ولكن معيار العمل الصحيح ، هو ما يزيد الحياة قوة ويكسبها صحة . بالأخلاقية المتفتحة ، كالبطولة ، والابداع ، والحب ، والدينية الرفيعة بالايمان الصادق ، والتسامح الخير وهذا ما يجعل فن الكتابة صورة تعبير للمبادىء السامية التى نعمل على تحقيقها ، لنبلغ بذلك اكتساب منابع فن الحياة ، التى تعلم لغات النظام والادارة والمحبة والشجاعة .

يحتوى الكتاب مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة ، الباب الأول ، مذاهب فن الكتابة ، ومقسم إلى ثلاثة فصول ، تؤكد ان اللغة والالهام جيشان يعمان أنواع الكتابة عربية وغير عربية .

اما الباب الثاني ، فهو انواع الكتابة الحديثة ، يتناول المؤلف فيه الاعلام النافع والصحافة والصحافي النابغ والاذاعة . وقد تناول هذا الباب ايضا « منابع اللغة والالهام » ، وقد تركز البحث عن الحداثة فى معالجة الموضوعات ، وقد ضرب مثلا لذلك قضية الوحدة العربية ، كيف يتناولها الاعلام ، صحافة وإذاعة ، وكتابة .

أما الباب الثالث فهو مصاب الكتابة او فنونها ، وقد حاور المؤلف نخبة ، عبر مؤلفاتهم ، ومراسلاتهم ، ومخاطباتهم ، للتوصل إلى احسن الصيغ ، وقد اعتمد الحوار حوالي تسعين مصدرا ومرجعا ، افرز عصيرها فى اربعة فصول هي : من المقالة والبحث ، منهج البحث وغرضه ، مصب البحث ومسمياته ، وحلقات البحث ، وروح التاليف .

ويقول المؤلف فى خاتمة كتابه :

« إن فن الكتابة يعني التعبير ، فما هو التعبير ؟ أليس تعبيرا عن النفس وانعكاسات الحياة فيها ، لذلك دعوت كتب الالهام ، ونظرية الفن ، والحركة فى نظرية الشعر ، والحركة فى نظرية النثر ، باسم « فن الحياة .. فن الكتابة » ، إشارة إلى منابع الكتابة فى نفس الحي ، ومظاهر الحياة ، وهذه لا تعني النهاية ، إنما البداية فى نفوس الأذكياء الطامحين » .

● نحو نقد أدبي معاصر
تاليف الدكتور عيسى الناعوري
نشر الدار العربية للكتاب
بطرابلس — ليبيا

الأدب عمل فنى إبداعي ، ولذلك فهو بحاجة إلى الناقد الفنان ، المتجرد بالخلاص وصدق لعمله ، هذا ما دعا إليه وعالجه « الدكتور عيسى الناعوري » فى كتابه الجديد ، « نحو نقد أدبي معاصر » ، الذى يتضمن مجموعة من المقالات التى نشرت فى المجلات الأدبية على مدى العالم العربي .

اما وظيفة النقد عند المؤلف ، فهي النظر فى الاعماق ، ودراسة الأبعاد والمقومات ، وتحليل العناصر الفنية والفكرية ، بدقة ودراية ، وتدعم هذه المعايير ، ثقافة واسعة واحاطة بمذاهب الفكر والفن ، والأساليب الجمالية ، ليكون فى مقدور الناقد ان يبحث ويقارن ويستنتج ، وياتي بالاحكام السليمة فى تقييم العمل الفني ، وهذا ما يجعل النقد عملا فنيا ، يعيش مع الفنون الرفيعة ، ويرافقها ، ويبرز جوانبها .

● ديوان الشعر الشعبي
للشاعر عبد الرحمن محمد رفيع
نشر دار ذات السلاسل — الكويت
عام ١٩٨٢م

هذا الكتاب هو المجموعة الكاملة للشاعر البحريني عبد الرحمن رفيع ، من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨١م ، ويحتوي على ثلاثة دواوين شعرية هي : قصائد شعبية ، اول المحبة ، زمان اول بالاضافة إلى ثلاث قصائد جديدة ، وهي جميعها باللهجة بالعامية ، فهي شعر مسموع أكثر منه مقروء .

إن الشاعر إذ يقدم هذه المجموعة الكاملة ، يرجو لعشاق هذا اللون من الشعر الشعبي ان يجدوا فيه ما ينشدون من المتعة ، خاصة وان الشاعر معروف بجودة الالقاء ، وخفة الروح ، مما جعله محبوبا فى جميع بلاد الخليج العربي .

● مفكرة عاشق
للشاعر هارون هاشم رشيد
طبع الكتاب فى المطابع الموحدة بتونس

هذا ديوان جديد للشاعر هارون هاشم رشيد ، هذا الشاعر طالما تغنى لفلسطين ، وطالما تمنى عودة الغرباء ، فكانت دواوينه البارقة للنصر الآتي .

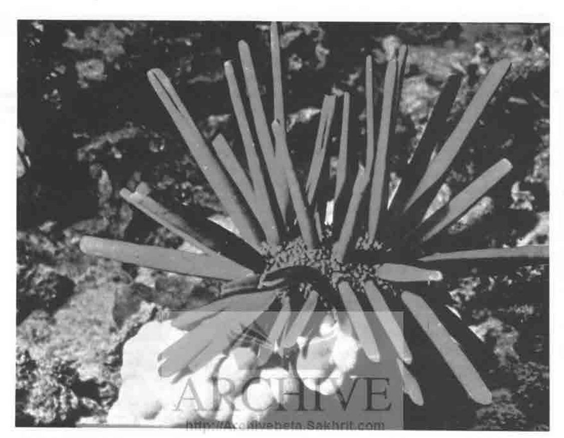
اما ديوانه هذا « مفكرة عاشق » ، فهو قصائد للقدس ، لجدة التاريخ ، معشوقة الشعراء الابدية ، فيهدي هذا الشاعر الى معشوقته هذا الديوان بقوله :

احمليني ياسرايـا .. وخذيني بابيارق
فى لهيب الهول .. فى النيران ..
فى ليـل الصــواعق .
كيفمـا شئـت خذيني
فى الزوايا .. فى الخنادق ..
فى رصاصـات البنـادق
ازرعيـني فى روابـي القـدس
كالسيـف المعانـق
تمــرع الأرض زهـوا
ورودا وزنابـق

● الثقافة رهان حضاري
تاليف الشاذلي القليبي
الدار التونسية للنشر — تونس

يضم هذا الكتاب مجموعة من الخطب التى القاها الأستاذ الشاذلي القليبي ، الأمين العام لجامعة الدول العربية حاليا ، فى مناسبات متنوعة ، حول مختلف شئون الثقافة ، واهداف العمل الثقافي ، وفلسفته ورسالته على مدى خمسة عشر عاما ، قضاها المؤلف وزيرا للشئون الثقافية بالجمهورية التونسية .

هذه التجربة الثرية ، سوف يكتشفها القارىء بين طيات هذا الكتاب ، مصوغة فى قوالب بليغة ، واضحة المعاني ، ميسورة التناول .



قنفذ بحري سام

الكائنات السّامّة في البحار

بقلم: أحمد محمد الغندور

تزخر البحار بالعديد من الكائنات السامة من ثعابين وقناديل بحر ومحار وأسماك . وتشكل هذه الكائنات خطراً كبيراً لمرتادي البحار وبحارة السفن . ولكن بالرغم من خطورة بعض هذه الكائنات إلا أنها لا تهاجم الانسان أو الحيوانات الأخرى ، وإنما تستعمل السم للدفاع عن النفس وقت الضرورة وللحصول على الطعام .

يوجد حوالي خمسون نوعا من ثعابين البحر وكلها سامة وتعيش فى المحيط الهادي وتوجد بكثرة فى المياه الضحلة الساحلية ، إلا أن بعضها يعيش فى المياه العميقة وفى عرض البحر ، وبعضها يتوغل داخل الأنهار القريبة من البحار .

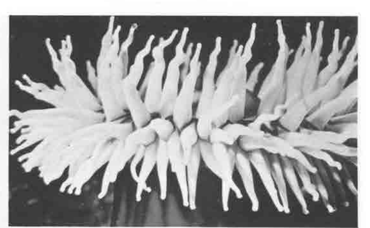
وأغلبية هذه الثعابين زاهية جميلة اللون لكي لا تلفت الأعداء إلى خطورتها . وتتفاوت قوة سمها . فبعضها لا يسبب إلا ألما بسيطا ، ولكن قد تتساوى قوة السم عند بعض الأنواع مع سم الكوبرا . والسم هنا يسمى السم العصبي « نيروتوكسين »

نوع « السم العصبي » والسم الدمـوي (هيموتوكسين) يسبب ضيقا في التنفس والموت خلال ساعات .

واثناء موسم التزاوج تكثر اعداد الفيساليا ، وتهب بها الرياح الى شواطيء البحر ، وعندها تغلق هذه الشواطيء وتمنع السباحة فيها . ولكن بالرغم من جهود المسئولين عن نظافة الشواطيء إلا ان بعض اللوامس تنفصل عن الفيساليا وتبقى ملتصقة بالاصداف والنباتات على الشواطيء ، وإن لمسها الانسان من غير أن يدري فان الخلايا اللاسعة تلسعه في الحال ولكن لا تسبب اذى بالغا !! ولابد من التحذير ايضا من المرجان وشقائق النعمان اللذين يمتلكان نفس المقدرة على اللسع وتسبيب الأذى للانسان .

ولكن تعد القواقع البحرية التي تمتلك صدفة جميلة اللون من اكثر كائنات البحر سما ، إذ عندما يلمسها الانسان فانها تلسع ولا يشعر بهذه اللسعة ، ولكن بعد دقائق ينتشر الم بسيط كلسعة النحل ثم يصاب الانسان بالشلل ويتوقف القلب ويموت خلال ساعات قليلة ! ويوجد حوالي ٥٠٠ نوع من هذه القواقع (كون شيلس) وتعيش غالبيها في المحيط الهندي والهادي .

توجد مجموعة كبيرة من الاسماك السامة في البحار مثل القوبع اللاسـع « ستنج رايز » الذي يمتلك اشواكا عديدة تتصل بغدد سمية . وعند الدفاع عن النفس قد تدخل هذه الاشواك في جسم العدو وتسبب له اذى بسيطا او قد تؤدي بحياته نتيجة للسم الزعاف الذي تفرزه كما توجد مجموعة اخرى من الاسماك السامة مثل اسماك (اسكوربيون فيشيس) أو اسماك الأسد (ليون فيشيس) واسماك الضفدعة (تواد فيشيس) واسماك (وبيفر فيشيس) وكل هذه الاسماك تمتلك الزعانف والاشواك وتتصل هذه بغدد سمية وقد تسبب الموت السريع في بعض الأحيان .



نوع من شقائق النعمان التي تحتوي لوامسها على الاف الخلايا اللاسعة السامة



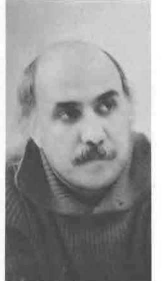
مرجان النار .. يحتوي على خلايا لاسعة القنفذ البحري السام اثناء حياته في البحار .

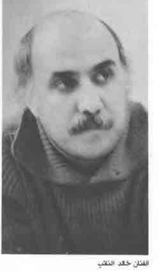
الذي ينتشر بسرعة في الجسم ويسبب الشلل وضعف التنفس وبالتالي الموت .

والمعروف عن هذه الثعابين انها لا تلدغ الانسان إلا إذا وقعت في شباك الصيادين أو إذا مشى عليها الانسان . ولكن يحذرها الانسان في موسم التزاوج إذ تتجمع باعداد كبيرة على سطح البحر وتشكل خطرا داهما لكل من يقترب منها .

بالاضافة إلى الثعابين توجد مجموعة اخرى ضخمة من الكائنات التي تلسع الانسان او الحيوان وتنقل السم ، ومن اكثرها خطورة بعض الجوفمعويات وهي حيوانات جيلاتينية الشكل مثل قناديل البحر . وهذه تمتلك راسا طويلة تحمل خلايا لاسعة تفرز سما ، وتعد الفيساليا « رجل الحرب البرتغالي » من اخطر هذه المجموعة إذ ان لها شراعا تسبح به في سطح البحر وتمتد اللوامس إلى مسافة خمسين قدما وتحمل كل واحدة من هذه اللوامس حوالي ١٠٠٠ر١٠٠ خلية لاسعة ، وإن تعرض انسان لهذه اللوامس فانه يشعر بالام حارقة ودوار مفاجيء والام حادة في المعدة وشلل في الاطراف . وقـد يؤدي هذا الى الغرق . ولكن إن نجا الانسان من الغرق فان السم الذي يعد من

بالرغم من ان هناك مجموعة اخرى ضخمة من الكائنات البحرية التي لا تمتلك اي غدد سمية ولا تلدغ او تسمم العدو او الفريسة ، إلا انها تتغذى على كائنات اخرى سامة ، وبالتالي يتراكم السم تدريجيا في الجسم حتى يصبح الحيوان السليم نفسه غير صالح لطعام الانسان . ومن الطريف ان الحيوان نفسه لا يتأثر بهذه الكائنات السامة التي يتغذى عليها . ومن بعض هذه الحيوانات انواع من المحار وبعض اسماك القرش التي يتغذى عليها الانسـان ، وبعض انواع التونا وبعض السلاحف البحرية .





الفنان خالد النائب



حلم ذات ليلة



الفنان التشكيلي العراقي خالد النائب .. للدوحة :

من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن

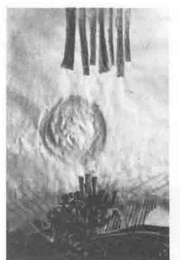
أجرى الحوار : حسن الملا

بدعوة من الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .. قام الفنان التشكيلى العراقى خالد النائب بتقديم ثلاث وثلاثين لوحة من اعماله الفنية فى معرض خاص ، شاهده جمهور القطريين من عشاق الفن التشكيلى .

وفى هذا المعرض ، عالج الفنان « الحرف العربى » حيث تعامل معه رأساً كشكل قائم بذاته ومتكامل ، ولديه القدرة على التغنى بكل الألوان والحركات .

قام بافتتاح المعرض الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام .

اما الفنان خالد النائب الذى التقينا به حول هذا الحوار .. فهو يعيش فى المانيا الغربية منذ ثلاث سنوات ، وتجربة الاغتراب بعيدا عن ارض الوطن ، ارهفت احساس الفنان اكثر ، واقتربت به من ينابيع جديدة تثرى الروح ، وتعمق احساسه بالحياة .



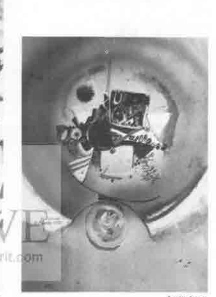
فضاء الألم .



ولادة فى البحر

رحلة إلى مملكة التتويج

من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن



الرحلة الأبدية

حروف راحلة

قلت للفنان خالد النائب :

● حدثنا عن الحركة التشكيليـــــة المعاصرة فى العراق .

قال :

بداية الحركة التشكيلية فى العراق قديمة . فهى تستمد اصولها من التراث القديـم ، ومن الحضـــارات الســـومرية والبابلية وغيرها ، ثم الفترة الاسلامية التى ظهر فيها الواسطى ، ثم فترة الزمن العثمانى حيث ظهر فنانون عراقيون على مستوى عال من الأراء منهم عبد القادر الرسام الذى كان جنديا فى الجيش العثمانى ، والذى كان بارعا فى رسم المناظر الطبيعية . إنه وحده يمثل احدى المدارس الفنية فى العراق .

بعد ذلك بدات المدرسة العراقية تتكون بشكل شخصى على ايدى جواد سليم ، وفائق حسن ، وعطا صبرى . لقد التقى هؤلاء – اثناء الحرب العالمية الثانية – بعدد من الفنانين البولونيين كانوا ضمن الجيش الانجليزى فى العراق حيث قاموا بتشجيعهم على إقامة المعارض . بعد تلك سافر فائق حسن ، وجواد سليم إلى فرنسا لدرسة الفن هناك . وعادوا إلى العراق بعد اتمام دراستهما . وبجهود هذين الفنانين اســــتطاعت الحـــركة التشكيلية فى العراق ان تنمو وان تجذب إليها شباب الفنانين فى العراق ، حيث كان الجميع « الكبار والشباب » يلتقون فى إحدى المقاهى الشعبية فى شارع الرشيد . ذلك المقهى الذى يستقطب الكتاب والصحفيين والشعراء ايضا . وهناك تدور المناقشات التى تتناول الفنون والثقافة عموما . وهكذا بدات الدولة تهتم بالفنانين ، فانشات معهد الفنون الجميلة .. واستطاع المعهد ان يغذى الحركة الفنية التشكيلية بالعديد من الفنــــانين الخريجين منهم اسماعيل فتاح ، ومحمد غنى ، ونزار الهنـــداوى ، وغيرهم من الفنانين البارزين .

اما الفنانون الرواد فهم فائق حسن ، وجواد سليم . والاخير ارتبط اسمه بنصب الحرية . كذلك عطا صبرى .. واسماء اخرى كثيرة .

فى الســـتينات .. كانت الحـــركة التشكيلية فى العراق غير طبيعية . كان هناك اندفاع لدى الشباب الفنانين نحو اقامة المعارض فى الشوارع ، والقاعات ، والجداريات . ومن هذه الاندفاعة تكونت الجماعات الفنية وخلقت فنانين مجددين . الأمر الذى حدا بالمسئولين إلى بذل عناية واهتمام اكثر بالفنانين ، فاخذ الفنـــان يشارك فى العمارة العراقية ، والشوارع ، والميادين ، والنصب التذكارية ، وتصاميم الكتب . هكذا رات الدولة ان يكون الفنان العراقى مشاركا فى مختلف مجالات الحياة يضاف إلى ذلك ان الفنانين العراقيين

المعارض الفنية التي اشترك فيها الفنان خالد النائب :

● ١٩٦٧ المعرض الثالث لجماعة المجددين ـ بغداد .
عمل لوحات جدارية كبيرة للمتحف الحربي ـ بغداد .

● ١٩٦٨ المعرض الرابع لجماعة المجددين ـ بغداد .
المعرض العام لجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ـ بغداد .
المعرض السنوي العام لأكاديمية الفنون الجميلة ـ بغداد

● ١٩٦٩ المعرض العام السنوي لجمعية الفنانين العراقيين ـ بغداد

● ١٩٧٠ المعرض الشخصي الأول ـ الظهران ـ السعودية .

● ١٩٧١ جميع معارض الجمعية العراقية للفنانين التشكيليين .

● ١٩٧٢ ـ ١٩٧٧ معرض شخصي في العراق .

الاشتراك في جميع المعارض العراقية في الخارج : فرنسا . انجلترا . اسبانيا . المانيا الشرقية والغربية . الهند . السويد . الدينمارك . ايطاليا . روسيا . بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا . يوغسلافيا . تركيا وجميع الدول العربيـــة .



مهرجان المراكب

يعرضون اعمالهم سنويا ودائما في مختلف انحاء العالم .

قلت :

● الكثيرون من رواد المعارض يهربون من مشاهدة اللوحة الحديثة والأسلوب التجريدي .. كيف يا ترى نقترب بهذا الأسلوب من وجـدان الجمهور ؟ .

قال :

ـ بالنسبة للمشاهد الذي يدخل معرضا لأول مرة .. فانه حتما سيواجه بصعوبات تقف حائلا دون استيعابه لعالم الفنان العارض . ينبغي ان يكون هناك خيـط ولو رفيع يربط بين الفنان والمشاهد ، وبالعكس . إن ذلك يقيم نوعا من التفهم ، ويعطي المشاهد استعدادا لان يتتبع معارض اخرى : علما بان المشاهد حين يتولد لديه نـوع من احاسيس الرفض ، فانا اعتبر ذلك في صالح الفنان ، لان المشاهد سوف يتتبع المعارض الفنية الاخرى للكشف عن هوية هذا النوع من الفن الجديد ، وذلك يجعله يتطور في فهم اللوحة ، والتعايش معها ، والبحث عن الجديد دائما .

فاذا اردنا ان نجذب المشاهد العادي لفهم اللوحة ، او اي عمل فني .. فلابد من ان تكون هناك علاقة ولو بسيطة بين الفنان والجمهور ، وان يلتقيا حتى يفهم الجمهور ماذا يريد الفنان ؟

● ما أهمية التسمية على كل لوحة ؟

ـ إن التسمية لكل لوحة لا تأتي اعتباطا بالنسبة لأعمالي . فالفكرة موجودة . والفكرة تتضمن الموضوع . والموضوع له تسمية . والفكرة لها خلفية . والخلفية هذه موجودة في الذهن . فانا ذهنيا اتعامل مع الناس والمجتمع وما يجوط به من الافراح والاحزان . إن اللوحة هي مجموعة من الاحاسيس المختزنة داخل الفنان .

● هل يمكن الفصل بين الفنان الانطباعي او التاثيري ، والفنان الحديث ؟

ـ الفصل بينهما صعب . ذلك ان الفن ليس جامدا ، بل هو متطور . الفن ليس منظرا طبيعيا او «بورتريه» وكما ان العلم يتطور .. فكذلك الفن يتطور .

إن الأساليب والمدارس والمذاهب الفنية التي ظهرت تبين لنا ان الفن يتطور .. إن الفنان الذي يرسم الطبيعة هو نفسه الفنان الذي يرسم اللوحة . فلكل فنان أسلوبه .

● اخيرا بماذا تفسر ظاهرة قلة الجمهور الزائر للمعارض في بعض البلدان .. خاصة البلدان العربية ؟

ـ لكل مجتمع اجهزة اعلامية متعددة . التليفزيون . الاذاعة .. الصحف .. المسرح .. ولكل دوره . وجميعها اجهزة فنية . ومن مهام هذه الأجهزة جميعا إفهام وتوعية الجمهور بماذا يعني الفن . بل ان مهمة هذه الأجهزة ليس فقط توعية الجمهور بكل الوان الفنون الأخرى .. وإنما تخريج فنانين عن طريق الدرس ، والتجربة والاخذ بايدي المواهب الجديدة التي تثري حياتنا في مختلف مجالات التعبير .

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

وكالفحم والماس تكون أقدار الناس



تشكيل مثير من اعمدة قائمة . وكانما هى بقايا اثار زائلة . لكن الذى شكلها بعض عوامل التعرية الطبيعية فى ولاية اريزونا الامريكية . وما يتفتت منها ويتساقط تذروه الرياح فى رحلات لا تتوقف ابدا .

اذا نظرنا « بعين » العقل ، وتأملنا فى صور الخلق ، لوجدناها تساوى ، او لا تساوى ، وفى هذا لا يختلف الميكروب عن الانسان ، ولا عالم الجماد ، عن عالم الحياة .

فرغم ان دراستنا هنا ستتناول الأحجار الكريمة ـ وهى من الجماد ، الا ان التسمية فى حد ذاتها تشير إلى صفة طيبة الصقت لصقا بالأحجار ، ومع ذلك فهى تسمية تدل على مسمى ، وتؤكد فى عقولنا معنى .. والمعنى يوضح أن لكل شىء وجهين : طيب وخبيث .. صالح وطالح .. اصيل ورديء .. الى اخر هذه الصفات المتناقضة التى يدركها عقل الانسان ، ولا يدركها خروف او بهيم أو حصان .

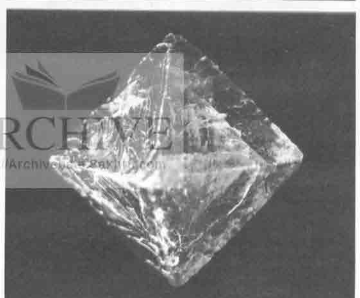
ولاشك ان الذين اطلقوا على بعض الأحجار صفة الكريم او النفيس او النادر او الأصيل ، لهم فى ذلك وجهة نظر تؤكد ذلك المعنى ، وهو ما سوف نتعرض له خلال هذا المقال ، ومع ذلك فالشىء بالشىء يذكر ، لأن الكائنات ـ وعلى راسها الانسان ـ لها ما للاحجار من اقدار ومنازل ، ولنا فيها مارب ، من ذلك مثلا ان بعض الميكروبات ضار ، وبعضها نافع،فالضار يسبب الامراض فى النبات والحيوان والانسان ، والنافع يعطينا من الخيرات مالا نستطيع ان نحصيها هنا عدا ، فهى تمدنا مثلا بالمضادات الحيوية التى نحارب بها الميكروبات الضارة ، وتدر على اصحابها بلايين الدولارات .

وكالميكروبات يكون الفحم والصخر والحجر .



تكوينان بلوريان ـ لكنهما مع ذلك ـ لا ينطويان تحت رتبة الاحجار الكريمة وهما من الكوارتز





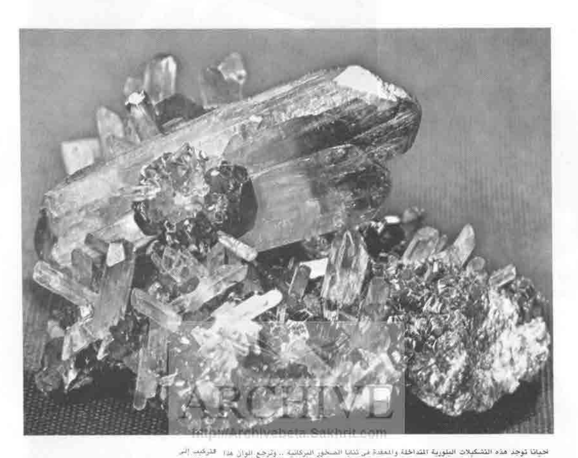
قد تحسبهما من اول نظرة حجرين كريمين ، لكنهما فى الواقع بلورتان من ملح الطعام على هيئة مكعب - الى اعلى - ومتعدد الاضلاع (الى اسفل) . اما اللون فيرجع الى وجود شوائب بلورية اخرى

او النبات والحيوان والبشر . لكن ذلك موضوع اخر . ولقد ذكرناه هنا ذكرا عابرا لنمهد به لموضوعنا الاساسى .

الاحجار والناس

بادىء ذى بدء نقول : ان ندرة الشىء تجعل له قيمة كبيرة بين الناس ، فلو كان البلاتين او الذهب شائعين شيوع الحديد والرمل والرصاص لما كانت لهما قيمة تذكر ، لكن ليس بالندرة وحدها تقاس الامور ، بل لابد من صفات اخرى مرغوبة . كان يكون الشىء نافعا واصيلا . ولا يختلف فى ذلك الحجر عن المعدن عن البشر .ولكى يصبح لهذا الحديث معنى ، كان لابد من توضيح نبين به ما عولنا عليه من البداية .

لقد قيل مثلا : « الناس معـــــادن كالذهب والفضة » . او اقل من ذلك ، اى كالحديد والرصاص والفحم . وقيل « الرجال صناديق مقفلة لا تعرف الا بالتجارب » ..وهى اقوال تحمل بذور الحقيقة . وتشير الى ان الناس درجات . وطبيعى ان تقييم كل منا لهذه الدرجات يختلف باختلاف ثقافته ونظرته السطحية او العميقة ، فمن الناس من يراها فى جاه او مال او سلطان او ابطال .. الخ . ومنهم من يراها كما يراها القران الكريم .قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا



احيانا توجد هذه التشكيلات البلورية المتداخلة والمعقدة فى ثنايا الصخور البركانية .. وترجع الوان هذا التركيب إلى المواد الكيمائية المتداخلة فيه .. ورغم ان الظاهر براق ، إلا ان الباطن خادع ، فليس فيها اى حجر كريم

يعلمون .. أو كما يضعها لنا الحديث الشريف «العلماء ورثة الأنبياء» .. او كما يضعها لنا التاريخ فى قلة نادرة من البشر ذوى العقول الراقية ، والفلسفات الخالدة ، والعلوم والفنون التي تركت اثارا لا تكاد تمحى ، بل ظلت خالدة ، لتتناقلها الأجيال كتراث عريق ، فـ «خير الناس انفعهم للناس» على حد قول الرسول الكريم .

ولا تحسبن أن هذه القلة النادرة قد ظهرت هكذا اعتباطا ، بل كانما هى قد اختيرت لذلك اختيارا ، لكن مما لاشك فيه انها شقيت وتعذبت وانصهرت وصمدت ، وكانت بمثابة الشعلة التى تحترق لتضيء للبشرية طريقها بما قدمته من عقائد وفلسفات وعلوم لا يقدر عليها غيرها ، وهى هنا اشبه بالجواهر المتلالئة على جبين البشرية او بالأحجار الكريمة التى انضغطت وانصهرت وانتظمت ، فجاءت بطبيعة راقية غير طبيعة الصخور والأحجار التى نمر عليها مرور الكرام .

ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، فلقد جاء على هذا الكوكب بلايين فوق بلايين من الناس ، ثم راحوا جميعا فى طي النسيان ، وفى وسط هذا الطوفان ، ظهر الأنبياء والعلماء والفلاسفة والمفكرون ، وماتوا كما ماتت البلايين ، لكنهم مع ذلك ظلوا ملء السمع والعقل والفؤاد ، حتى لكانما هم أهم وابقى بيننا من كثير من الأحياء إذ لازلنا نذكرهم بعقائدهم الخالدة ، او افكارهم الرائدة ، او علومهم التى غيرت انماط حياة الناس ، او هم كما قال فيهم الشاعر :

والناس صنفان موتـــــى فى حياتهـــم
واخـــرون ببطـــن الأرض احيـــاء

الأصل واحد

ولمزيد من التوضيح نقول : ان منزلة العباقرة بين الناس ، كمنزلة الماس من الفحم ، ولأن العباقرة نمط نادر من الناس ، كذلك الماس نمط نادر من الفحم ، والأحجار الكريمة نمط نادر من اكاسيد معادن رخيصة .. فالزمرد والزبرجد والياقوت والطوباز والفيروز والاوبال والعقيق .. .. الخ كانت فى الأصل خامات رخيصة بين صخور واحجار رخيصة كذلك ، لكن الذى اعطاها بهاءها ورونقها وجاذبيتها وجمالها ، هو مجيئها باشكال بلورية منظمة وفاتنة ونادرة وصامدة .

وكما شقيت عقول العباقرة ، وانصهرت وتعذبت بالمعرفة ، فتمخض عن ذلك افكار مصقولة ومتناسقة ومرتبة وموزونة ، كذلك يكون الحال مع الاحجار الكريمة ، فالذى اكسبها الشفافية والبريق والتناسق والصلابة ، هو انتظام ذراتها فى اشكال رائعة ، نتيجة لتعرضها لضغوط جبارة ، ودرجات حرارة عالية فتحولت من شيء مشاع ورخيص ، الى اخر نادر ونفيس .

وما اغرب المفارقات بين انماط بشرية ، واخرى صخرية !

وموضوع الأحجار الكريمة ، او الجواهر النادرة موضوع طويل ومتشعب ومثير ، وله

علماؤه ومريدوه ، لكن يكفى ان نزيح الستار هنا عن بعض معالم هذه التكوينات التى جذبت لجمالها الانسان منذ فجر التاريخ ، فاقتناها واحتفظ بها ، لتتناقل عبر الأجيال .

والأحجار صنفان : كريم ورخيص .. الكريم نادر ، والرخيص كثير ، لكن الغريب ان الكريم والرخيص صورتان مختلفتان لشىء واحد ، او لأصل واحد .. مثلها فى ذلك كمثل الناس الذين جاءوا من اصل واحد كذلك ، فمنهم الكريم ، ومنهم اللئيم .

إن الياقوت ـ مثلا ـ ليس إلا تكوينا بلوريا من اوكسيد الألومونيوم ، فاذا تناسقت جزيئات هذا الأوكسيد ، وانتظمت ، ارتفع ثمنها ، واقبل الناس عليها ، واذا تجمعت بدون هدف او نظام ، فلا جاذبية لها ولا ثمن ، او ربما ارخص ثمن ، لانها قد تدخل فى صناعة الأوانى ، وهنا يصبح مكانها المطابخ ، بدلا من صقلها فى فصوص يسيل لها لعاب من ملكوا الجاه والمال .

والفيروز خليط من فوسفات النحاس والألومنيوم ، واللؤلؤ حجر ، او هو كربونات الكالسيوم او الجير ، والعقيق انواع ، لانه خليط متجانس من اكاسيد معادن مختلفة .. فقد تكون حديدا مع الومونيوم مع سيليكون (رمل) ، او كالسيوم مع حديد مع الومونيوم ، او منجنيز مع الومونيوم مع سيليكون .. الخ ، وكل من الزبرجد والزمرد خليط من اوكسيد البيريليوم واوكسيد الالومونيوم بنسب متفاوتة ، والأوبال صورة من صور الرمل ، والتورمالين خليط من اكاسيد السيليكون والالومونيوم والبورون مع شوائب من معادن اخرى ، واللازورد خليط من اكاسيد الالومونيوم والسيليكون والكبريت والصوديوم ، واحيانا الكلور .. الخ .. الخ .

لقد قدمنا هنا تلك العناصر التى تتكون منها الأحجار الكريمة او النفيسة ، لنرى انها لا تنطوى على شىء نفيس ، فما اكثر الرمل والالومونيوم والحديد والكبريت والجير والفحم .. الخ على كوكبنا ، لكن من هذه الكثرة قد ظهرت تكوينات نادرة كندرة العباقرة بين جموع الناس :

فوضوية ونظام

ولاشك ان كوكبنا بمثابة معمل كيميائى ضخم وهائل ، وعليه وفيه تجرى تفاعلات كثيرة ومختلفة ، ومن خلال هذه التفاعلات القاسية او اللينة يتشكل الجماد والحياة ، ليتمخض ذلك عن صور لا نكاد نحصيها عدا ، فصور الحياة قد جاءت على هيئة انواع كثيرة جدا من الكائنات المتفاعلة والمتصارعة فيما بينها ، او مع عوامل الطبيعة المتقلبة من حولها ، فمن صمد منها ، استحق البقاء ، وشق طريقه فى الحياة ، ومن تهاون ، فماله الموت والانقراض ، وكذلك الجماعات والشعوب .. وبجوار هذا جاءت ايضا صور كثيرة جدا من عناصر هذا الكوكب لتتفاعل

هذه الصخور المعلقة .. من رفعها ووضعها على تلك الأعمدة ؟ .. إن احدا لم يفعل ، بل جاء ذلك بفعل عوامل التعرية ، لأن الكتل المعلقة اقل تآكلا (او اكثر صمودا) مما تحتها ، فكان هذا التشكيل المثير

تحت كل الظروف الهينة والقاسية ، وقد يؤدى هذا التفاعل الى تآلف وترابط ، وقد يكون ذلك بنظام واضح ، او بطريقة فوضوية .. وللنظام نتيجة وثمن ، وللفوضى اتعس وابخس ثمن .. طبق ذلك ايضا على البشر ، تخرج بنفس النتيجة ، فالفرق بين شعوب متقدمة ، واخرى متخلفة ، يرجع ـ فى المقام الاول ـ الى حياة تنطوى على وعى ونظام ، او تواكل وفوضى .

لنترك البشر ـ اذن ـ فى حالهم ، ولنعد الى مكونات الصخور ، ولنتخير منها الأنماط البلورية لكن ليس كل ما هو بلورى حجرا كريما ، فكثير من الأملاح تأتى على هيئة بلورات ، بما فى ذلك الملح والسكر ، ولا يمكن مقارنة هذه بصفات الأحجار الكريمة ، لأن الحجر الكريم (كالبشر سواء بسواء) له صفات مميزة تضعه فى مرتبة خاصة بين الصخور ، فهو اولا ليس باملاح بلورية ، بل اكاسيد معادن تتآلف وتترابط وتنتظم فى اشكال هندسية كثيرة .. وبحيث يتخذ كل جزىء فى التكوين مكانه المناسب ، وبالزاوية المناسبة ، وبالنسب المناسبة كذلك .. والصور المعروضة هنا خير دليل على ذلك .

ومن مميزات الاحجار الكريمة تبرز الألوان المتباينة ، والسطوح اللامعة التى تشبه المرايا العاكسة ، إذ عندما تقع الأضواء على السطوح ، تعطى بريقا اخاذا ، وتلألؤا جذابا ، وبقدر ما تعطى من اصالتها ، بقدر ما نعطيها حقها من الاجلال ، وبلغة معروفة ـ هى لغة المال :

ورغم ان الماس من ذرات كربون منتظمة ومترابطة ترابطا شديدا ، إلا ان الماس يختلف عن الجرافيت الذى تصنع منه الاقلام ، وعن الفحم الذى يستخدم كوقود فى الأفران ، (وكلاهما صور من الكربون) ـ فالماس صلب ، والفحم هش ، والماس شديد الشفافية ، والفحم (او الجرافيت) شديد السواد ، والماس نادر ، والفحم شائع .. الى اخر هذه المتناقضات التى جعلت من هذا نفيسا ، ومن ذاك رخيصا .. ثم جعلت هذا يساوى الكثير ، وذاك لا يساوى إلا اقل القليل ـ يساوى الحرق :

وكالفحم والماس تكون أقدار الناس



بلورة جميلة لكنها خادعة .. إذ ليست إلا ملحا من املاح الحديد (فوسفات الحديد) مختلط بشوائب من المتجنيز والكالسيوم والماغنسيوم ، وقيمتها لا تساوى إلا الفوسفات والحديد

والواقع ان بريق الأحجار الكريمة ، بالالوان المختلفة ، يرجع اساسا الى مبادىء علمية معروفة ومدروسة ، منها انكسار الضوء ، ومنها تشتته ، ومنها امتصاصه ، ولكل منها معادلات رقمية لا تهمنا هنا كثيرا ، لكن يكفى ان نذكر ان ما تراه العين ليس إلا انعكاسا لمعظم الضوء الساقط على سطوح الأحجار الكريمة ، فيتشتت او يتبعثر على هيئة موجات طيف ذات اطوال مختلفة ، فتميزها العين الى الوانها المعروفة ، واحيانا ما ينتج عن ذلك البريق ما يشبه تلألؤ النجوم اللامعة فى سماواتها ، فالياقوت مثلا من الأحجار الكريمة التى تعطى ذلك الانطباع ، ولهذا يطلق عليه اسم الحجر الكريم ذى التلألؤ النجمى ، وغيره الحجر الكريم الملتهب او النارى ، لانه يبدو وكانما هو يكاد يشتعل ، ولو لم تمسسه نار !

وللأحجار درجات

وسر احتفاظ الأحجار الكريمة باصالتها لملايين فوق ملايين من السنين ، يرجع اساسا الى صلابتها وصمودها لعوامل التعرية الطبيعية ، فحيث تتفتت الصخور والأحجار الرخيصة ، وتتآكل بمرور الزمن ، تبقى الأحجار الكريمة فى مكانها دون ان يعتريها البلى والخدش والتآكل ولاشك ان الانسان القديم قد راها وهى تتلألأ فى مسارات المياه الضحلة الشديدة الانحدار ، او على السفوح التى تتساقط عليها الأمطار ، او الشواطىء الصخرية التى تتفت بامواج البحار .. الخ . وعندما جذبت انتباهه ، جمعها واحتفظ بها كحلية من جيل الى جيل .

صحيح ان عوامل التفتيت والتآكل والتعرية عملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا طويلا ، تعطيك تغيرا واضحا ، فينكشف الرخيص ويبلى ويزول ، ويبقى النفيس دليلا على مقاومة وصمود .

ومع ذلك ، فللأحجار الكريمة فى الصلابة درجات ، كما كان لها قبل ذلك فى لمعانها والوانها وتلألؤها درجات .. فالذى يخدش غيره ويترك فيه اثرا ، يسود عليه بصلابته ومقاومته ، فالماس يخدش كل الأحجار الكريمة ، ولهذا كان اصلبها ، واغلاها واندرها ، ومن ثم فقد حاز على الدرجة ١٠ (واذا احببت فلنقل ١٠ على ١٠ — اسوة باعلى درجة نستخدمها فى حياتنا ونمنحها لأعلى مستوى) ، والياقوت درجته ٩ ، ولهذا فان الماس يخدشه ، ولا يخدش هو الماس ، بل يخدش الطوباز ، لان درجته ٨ ، والطوباز يخدش الكوارتز ودرجته ٧ (والكوارتز صورة بلورية من الرمل النقى ، واحيانا ياتى باشكال ملونة ، ويعتبر من الأحجار شبه الكريمة) .. الخ .

ولكى نقرب معنى هذه الدرجات الى الأذهان ، كان لابد ان نقدم مقارنة ملموسة فنقول : ان نصل المدية يحوز على درجة صلابة ٦,٥ ، والزجاج ٥ ، وظفر الأصبع ٢,٥ ، وحجر الجبس ٢ ، وحجر التلك ١ .. وهكذا .

إذن .. فلقد حازت الأحجار الكريمة على درجات لكل صفة من صفاتها التى ذكرناها باختصار ، ورغم هذه الصفات الممتازة التى جاءت بها تكويناتها ، إلا ان تدخل الانسان بفنه وعقله قد اكسبها بهاء فوق بهاء ، فقد يكون جمالها ولمعانها كامنا او مطموسا ، ولابد — والحال كذلك — من قطعها وتشكيلها وصقلها ، لابراز ما خفى من جمالها .. وللقطع مداخل وزوايا وحدود ، وللتشكيل علم واصول ، وللصقل فن وخبرات يتشعب فيها الحديث ويطول ، فليس كل من قطع وشكل وصقل ، يصل الى الجمال المنشود ، بل قد يحدث العكس ، اى قد يتضاءل البريق ، وتبهت الالوان ، وتقل القيمة الحقيقية درجات .. ونظرة عابرة الى بعض الصور المنشورة ، تغنى عن كل شرح او كلام يمكن ان نسوقه فى هذا المجال .

بين أصيل وتقليد

ذكرنا ان الأحجار الكريمة درجات .. فمنها الكريم جدا ، والكريم ، وشبه الكريم ، و «اللئيم» — ان صح هذا التعبير — فمن اول وهلة قد تحسبه لظاهره الفتان كريما نفيسا ، لكن ما ان تعالجه وتطرقه ، تريد بذلك ان تشكله ، إلا وتراه يتفتت ويتهاوى ، وكانما لم يغن عنه رونقه ولا جماله شيئا ، إذ ليس له من الكريم إلا مظهره ، اما باطنه فردىء وقمىء .. وكذلك الناس «معادن» !

وكثيرا ما نسمع ان هذا حجر طبيعى او حر واصيل ، وذاك حجر صناعى او تخليقى ، اى غير حر او اصيل ، ولا يستطيع ان يميز بين هذا وذاك إلا كل متمرس خبير ، وله فى هذا ادواته التى تكشف عن فروق جد ضئيلة قد تخفى على العيون الفاحصة تفاصيلها الدقيقة .

نقول قولنا هذا ، لان هناك صناعة قائمة على اسس علمية وتكنولوجية دقيقة ، وبها يقلدون الأحجار الكريمة ، والتقليد له اسس ، والأسس تبدا اولا بمعرفة التكوين الكيميائى الدقيق للأحجار الكريمة ، ثم خلط هذه المكونات بنسبها الموجودة فى الحجر الكريم ، وتهيئة نفس الظروف الطبيعية التى تسلطت على المعادن الرخيصة ، لتصبح احجارا نفيسة ، اى تهيئة ضغوط ودرجات حرارة عالية جدا ، وبالفعل تتشكل جزيئاتها وتنتظم وتتماسك تحت تلك الظروف غير الطبيعية التى هياها الانسان ، ليقلد بها عمليات طبيعية .. لكن هيهات ، فالطبيعى لا يعلو عليه شىء من صنع الانسان ، إذ يكفى ان يقال لنا هذا طبيعى ، وذاك تقليدى ، فنميل بالفطرة الى الطبيعى ، ونرتاح اليه .. لا يختلف هذا فى حجر كريم ، عن زهرة طبيعية ، عن جمال طبيعى ، عن سلوك طبيعى لا تكلف فيه ولا ابتذال .

ومع ذلك ، فلكل ما سعى ، حجرا كان ذلك او مالا او جاها ، وكل ذلك يزول ، إلا الكلمة .. إلا الفكرة .. إلا المعرفة ، لانها جميعا بمثابة الحجر الكريم المتلألىء على جبين البشرية .. وفى ذلك الكفاية لقوم يفقهون فيتدبرون ما فى هذا الحديث من حكم وعبر ، حتى لو جاءت من فحم وحجر !

د. عبد المحسن صالح

كل هذا الظلام

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

ـ كل هذا الظلام المغولى
يأتى من البحر . يأتى من الزرقة المالحة
كل هذا الظلام المغولى
يأتى على أجنحة
كل هذى العصور تشارك فى المذبحة
والزمان استدار فجاء الظلام ..
.. مع الصبح . والليل يمشي على الأضرحه
ليس هذا الظلام
هو الليل فى أرض لبنان
يبغى فلسطين . هذى الخفافيش فوق السنابل ...
... ما أشبه الليلة بالبارحة
... ما أشبه الليلة بالبارحة
ليس هذا هو الليل ـ
ان جميع الليالى تطرزها أنجم فى السماء
غير هذى النجوم السداسية المظلمة
وجميع الليالى لها حظها فى الضياء
ليس هذا هو الليل يا اخوتى
إنه دولة ـ والسواد
« قلبها »
يتخطى الحدود
إنه دولة من دخان حقود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود



"الدوحة" تنفرد بنشر ٧ صور نادرة للشمس

باق ٤٥٠٠ مليون سنة من الزمن

ثم تموت الشمس!

الشمس فى ضوء الايدروجين ـ الفا

منظر رائع للشمس يبين الكرومو سفير الشمس ـ وهى تلك الطبقة التى تقع بين طبقة البقع الشمسية أى الفوتوسفير والاكليل الشمسي . وتبدو البروزات فى هذه الصورة كخيوط غامقة على القرص ، وتظهر بوضوح المناطق المضيئة اللامعة .

رسالة لندن من

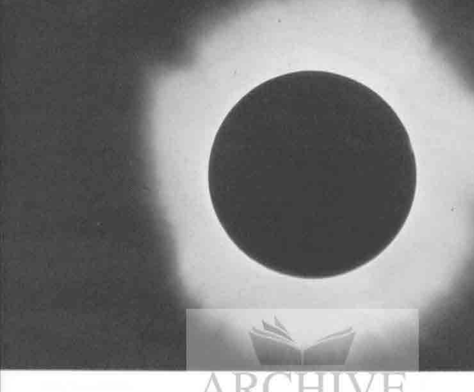
مجدي نصيف

ايتها الشمس ... ما اجمل تلالؤ نورك فى السماء
انت العريقة فى قدمك والخالدة خلود الحياة
عندما يرتفع قرصك فى الشرق
يعم الجمال أرجاء الفضاء

انت المتلالئة تطلين بعظمتك على الأرض
فتعانق اشعتك الأرض وما عليها
من مخلوقات كنت السر فى وجودها .

ترنيمة طويلة للشمس ، تبين اهميتها بالنسبة للارض وكل الكائنات البشرية . ففى مصر القديمة كان الدين هو عبادة الشمس ، وكان الرب فى بعض الاحيان يأخذ صورة طائر وفى احيان اخرى صورة إنسان له رأس طائر ، يصحبه قرص الشمس الذى يبحر عبر السماوات ، كانت هذه هي صورة الشمس فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . لكن هذه الصورة تغيرت تغيرا ذا مغزى ، وكان هذا التغير بالدرجة الأولى نتيجة لمشاهدات وافكار وأرصاد علماء الفلك فى مصر القديمة ، ذلك ان علم الفلك كان متقدما فى مصر القديمة إلى درجة كبيرة .

لكن السجلات الرسمية نسبت الثورة فى الأفكار المصرية حول الشمس إلى فرعون مصر امينوفيس الرابع ، الذى ادخل دينا جديدا يتضمن عبادة الشمس عبادة حقيقية فعلية ، لا طائر ولا جعران ، وإنما قرص الشمس المرئي باشعته الذهبية ، وغير فرعون اسمه إلى



كسوف شمسي كلي

اخذت هذه الصورة في الكسوف الشمسي الذي حدث في اليوم السابع من مارس عام ١٩٧٠ م وهذه الصورة النادرة اخذت في المكسيك ، وكان القمر قد غطى قرص الشمس تماما ، فظهر الاكليل الشمسي حول جوها الخارجي خلال الكسوف الكلي للشمس

اخناتون الذى يعني المفضل عند اتون الذى هو قرص الشمس . لقد قام اخناتون بثورة حقيقية فى مصــــر القديمة .

لكن قضي على هذه الثورة واختفت عبادة الشمس الحقيقية من مصـــر بزوال اخناتون . ومرت الاف السنين ليظهـر علم دراسة الشمس الذى اصبح بين حوالي ٢٠٪ من علماء الفلك فى جميع انحاء العالم ، بما في ذلك ٢٠٠ عالما فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، يعملون جميعا من اجل الشمس وحدها فى الجامعات والمراصد والمعامل والصناعات الخاصة .

الشمس هي الحيـــاة

وليس هذا كله مستغربا ، ونعني عبادة الشمس فى مصــر القديمـــة ، ودراستها بشكل مكثف بواسطة علماء العالم حديثا . فالشمس هي الحياة .

يوجد ضوء النهار لأن الشمس تضيء ، وفى الليل يعطى القمر ضوءه ايضا لأن اشعة الشمس تنعكس عليه إلى الارض ، وتكون الشمس مضيئة فى مكان اخر من كرتنا الأرضية . وقد تختفى اشعة الشمس وراء السحب ، لكن اشعتها تضيء الأرض بعد تشتتها . ومع ذلك فاذا وقف جسم كبير فى طريق اشعة الشمس إلى الأرض ، فقد يمنعها من النفاذ إلى جو الأرض ، ويتلاشى الضوء ، وهذا هو ما يحدث فى الكسوف الشمسي ، عندما تقع الأرض والشمس والقمر فى خط مستقيم

والشمس هي التي تسبب المناخ على ارضنا . فحرارتها تبخر مياه المحيطات والبحار ، وتخلق الرياح التي تحمل بخار الماء الى اليابسة حيث تكون السحب وتنزل الامطار او الثلوج . واذا ما توفرت لدينا المعلومات الكافية ــ من خلال الدراسة والرصد للشمس ــ عن سلوك الشمس واشعاعها على الأرض ، لعرفنا أكثر عن الطقس ، ولتوصلنا إلى معرفة مضبوطة بالجو ، إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة ، ولكن معلوماتنا تزداد وخاصة منذ بداية « عصر الفضاء » الذي زودنا بادوات بحث متقدمة للغاية . فلقد اكتشفنا على سبيل المثال على الشمس عواصفا واضطرابات ، معظمها غير مرئي من الأرض ، لكنها ظهرت ، بل صورت من « سكاي لاب » ومن « بعثة الشمس » . والذي لا شك فيه أن هذه العواصف والاضطرابات تؤثر في جونا ، وغالبا في مناخ الأرض .

والشمس نجم ، يشبه ــ إلى هذا الحد او ذاك ــ معظم النجوم التي نراها متناثرة في السماء اثناء الليل ، الفارق الوحيد انها اقرب هذه النجوم الينا . ويقول علماء الفلك يصفون هذا « النجم » : انها متوسطة العمر ، أي امامها ٤٥٠٠ مليون سنة ، وبعدها .... تنتهي . وعلينا



باق من الزمن ٤٥٠٠ مليون سنة ثم تموت الشمس!

إكليل الشمس الخارجي

الإكليل الشمسي يمتد ابعد بكثير من الإكليل الخارجي الكثيف الذي يرى بالاشعة السينية والضوء فوق البنفسجي ، ويمتد ابعد من حدود ماتراه عادة في السماء الداكنة للكسوف الكلي للشمس . إنه يصل إلى الفضاء البينكوكبي ، مما يجعل شمسنا تمتد عمليا إلى مسافات ابعد بكثير من القرص المرئي لها ، وهو ما لا نستطيع رؤيته من على الأرض . لكن من مدار «سكاي لاب» حيث لا هواء تقريبا وحيث السماء سوداء كالقطيفة ، يمكننا رؤية الإكليل الخارجي بوضوح ، وهو ما يظهر في هذه الصورة .

ان نلاحظ ان مجرتنا واسمها « الطريق اللبني » بها مائة الف مليون نجم مثل شمسنا . قليل منها ، له كواكب بعضها يشبه الأرض ، والذي يجمع عليه العلماء الآن ، ان الذي لا شك فيه ان عدداً من هذه الكواكب عليه شكل من اشكال الحياة ، ليس من الضروري ان تكون شبيهة بالحياة على الأرض ،وليس بالضرورة ان تكون في نفس مستوى تطورها كذلك .

وكل هذه النجوم ، بما في ذلك شمسنا ، تولد حرارة وضوء في قلبها من خلال تفاعل نووي . في هذا التفاعل تتحد ذرات الأيدروجين ، اخف العناصر ، لتشكل ذرات من عنصر الهليوم ، الأخف . وهذه الذرات تتحد بشكل نهائي لتكون عناصرا اخرى ، فتولد المزيد من الحرارة . والذي نراه من الشمس ليس هذا القلب ، ورغم انه حار للغاية تصل درجة حرارته الى ١٥ مليون درجة مئوية ، إلا انه غاية في الكثافة ايضا . والضوء الذي يتكون هناك تمتصه الذرات القريبة ، ثم يطلق من عقاله مرة اخرى ويعاد امتصاصه هكذا ملايين المرات ، ولهذا فانه يستغرق وقتا طويلا لينطلق الى الفضاء ، ويصل الينا . حتى نتصور الوقت الذي تستغرقه هذه العملية ، يقول العلماء ان ضوء الشمس الذي نراه الآن ، تولد عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد على الأقل ، ونحن نراه بعد ان يصل الى سطح الشمس . وليس في هذا الكلام غرابة ، إذ ان المسافة بين سطح الشمس وقلبها ٤٨٠ الف ميل . ويطلق العلماء على هذا السطح اللامع للشمس اسم الفوتوسفير ، وتصل درجة حرارته إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية .

وبسبب هذه الدرجات المرتفعة فان الشمس ليس لها سمات دائمة ، لانها عبارة عن كرة غازية ملتهبة . وتصل الحرارة والضوء من قلب الشمس إلى طبقاتها الخارجية بتيارات حمل في الغازات المكونة للشمس . ولأن الذرات المكونة لهـذه الغازات في الشمس كلها مشحونة بالكهرباء ، ولان تيارات الحمل سريعة للغاية (حيث تسير بسرعة الف ميل في الساعة) ، فان المجـال المغنطيسي للشمس يسبب اضطرابات في تيارات الغاز . واحد نتائج هذه الاضطرابات ما يعرف بالنقاط الشمسية .

البقع الشمسية

كان أول من شاهد هذه البقع السـوداء ، الفلكيون الصينيون عام ٢٨ قبل الميلاد . لكن جاليليو العالم العظيم كان اول من شاهدها بتلسكوبه ، وهو اول تلسكوب يصنع ويوجه إلى السماء أيضا ، ثم رسم لها خارطة . كان ذلك عام ١٦٠٠ والعقد الذي يليه . كان الرأي السائد انذاك ــ دينيا وعلميا ــ ان الشمس جسـم «كتمل» لا عيب فيه ، والبقع الشمسية ليست

الاكليل الشمسي من الفضاء :

أما هذه الصورة النادرة فهي للاكليل الشمسي من قمر صناعي امريكي اطلقته وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في يونيو ١٩٨٠ . وتشكل الألوان كثافات الاكليل المختلفة ، وتتراوح بين القرمزي الذي يمثل اكثر طبقات الاكليل كثافة ، إلى الاصفر ، اقلها كثافة .

وتغطي مناطق الاكليل الكثيفة القرمزية اللون ، مناطق بقع شمسية تقع تحت السطح الشمسي . أما الخط الذي يمتد من الشمس ناحية الغرب فهو ، نتوء شمسي ، ويمكن كذلك رؤية نتوءات اخرى إلى الجنوب من النتوء الشمسي الكبير الواضح المعالم . ويمتد النتوء الكبير من منطقة الاكليل ذات الكثافة الكبيرة حتى ١٫٦ مليونا من الكيلومترات من السطح حتى ، الأرض ..

والغاز الذي نراه في الاكليل ، تصل درجة حرارته إلى حوالي اربعة ملايين درجة مئوية . وبعد ان التقط القمر الصناعي هذه الصورة ، حدث فوران شمسي (في الجزء الجنوبي الغربي من هذه الصورة) وفي دقائق تغير شكل الاكليل .

بالتالي سوى بعض السحب الداكنة او حتى كواكب تعبر الشمس ، وليست بقعاً على الشمس ذاتها . لكن جاليليو شاهد هذه البقع السوداء «كلطخ» حقيقية في الشمس ذاتها . وهي قضية من القضايا التي ووجه بها في المحكمة .

وكانت الشمس هي التي ساعدت على إصابته بالعمى ، بسبب توجيهه للتلسكوب نحوها باستمرار ، وهي شيء خطر حتى بالعين المجردة ذاتها . وهو ما شارك في ماساة جاليليو وحياته التعيسة ــ بسبب آرائه ومعتقداته ــ التي قضى معظمها في الاعتقال المنزلي . تلك الحياة التي اتخذت نموذجاً لما يلاقيه الكتاب والعلمـــاء والفلاسفة الشرفاء منذ فجر البشرية وحتى الآن على يد الأنظمة الجاهلة . فقد دفع جاليليو غالياً ثمن تجاربه التي خلدته وقضت على بصره وحياته في نفس الوقت . لكن ... من يعرف اسم جلاديه الآن ؟!



الاضطرابات الشمسية

اضطراب شمسي هائل يمكن مشاهدته في هذه الصورة التي التقطتها بعثة ، سكاي لاب ، الثالثة بواســطة سبكتروجرام بالأشعة فوق البنفسجية اثناء دورانها في مدار حول الارض . ويمكن مقارنة الحجم الهائل لهذا الاضطراب الشمسي إذا ما قارناه بالنقطة الصغيرة التي تمثل حجم الارض .

إن هذه الصورة هي التي اظهرت للعلماء لأول مرة ان غاز الهليوم الذي ينفجر من الشمس يمكنه ان يبقى متماسكا بعد ان يصل إلى ارتفاع ٨٠٠ الف كيلومترا .

وبعد ان تبرز السحب الغازية من الشمس ، يبدو كما لو انها توقفت في مكانها ووقفت في طريقها حوائط غير مرئية . وبعض المواد الاخرى بدات تعود إلى الشمس كالمطر ، وهي تبدو كالخيوط الدقيقة .





انفجار شمسي هائل :

الشمس تقذف بستة بلايين طن متري من مادتها بسرعة تزيد على المائة كيلومتر في الثانية ، لتصل إلى اكثر من ٣٠٠ الف كيلومتر فوق الشمس .

التقطت « سكاي لاب » هذا المنظر الخلاب لانفجار الشمس بالة تستخدم الأشعة فوق البنفسجية بعد عشر دقائق فقط من حدوثه ، وقد اخترق الانفجار مادة الاكليل الشمسي ودفعها امامه مسببة بعض الاضطرابات في الاكليل الخارجي ، ثم تبددت في الفضاء بين الكواكب .



حلقات المجال المغنطيسي :

صورة بالاشعة فوق البنفسجية ، تبين شكل الحلقات المغنطيسية التي تحتوي غازات متابنة فوق كل المناطق الشمسية النشطة .

اكتشاف كيف يحدث هذا ، بواسطة صور العواصف الشمسية التى التقطتها « سكاى لاب » وبينت تفاصيل عديدة لم يكن من الممكن مشاهدتها من على الأرض .

إن المجال المغنطيسي الهائل للشمس ، يدفع بجزء من الغاز الشمسى المشحون كهربائيا ، فى نفثات هائلة يمكن مشاهدتها فى الطبقات الخارجية : الكروموسفير ، والاكليل الشمسى .

الشمس والحياة

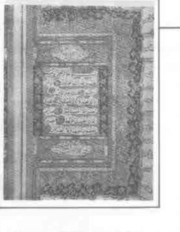
هكذا تشع الشمس الضوء والحرارة ، إلى الكون ، وهى بذلك تشع الحياة ايضا ، رغم أن ما يصل الى الارض من طاقتها لا يزيد على جزء واحد فقط من ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر٢ جزءا ، ولقد كان هذا الجزء من طاقة الشمس الذى يصل إلى الارض ثابتا على مدى العصور الجيولوجية لمئات الملايين من السنين .

ويطلق العلماء اسم الفوتوسفير على ذلك السطح المرئى من الشمس ، وفوقه طبقة سمكها ٥٠٠٠ كيلومترا تشكل جو الشمس الداخلى ويطلق عليه العلماء اسم الكروموسفير . وفوق هذه الطبقة هناك الاكليل الشمسى الذى يمتد الى الارض وما بعدها .

إن سريان الطاقة من اعماق الشمس الداخلية وخلالها إلى السطح ، وما يبديه السطح من ظواهر ـ المجال المغنطيسى والدوران الشمسى ـ تتحد مكونة صورة معقدة وخلابة فى نفس الوقت للظواهر الشمسية يمكن ملاحظتها ومتابعتها بتفصيلات كبيرة ، وهو ما يشكل علم الفلك الشمسى المعاصر .

ومن المنطقى ، وان كان ليس صحيحا علميا بالضرورة ، أن يربط العلماء بين البقع الشمسية ومناخ الأرض ، بين زيادة عددها وتناقصه وما يحدث من تغيرات وتقلبات فى الطقس . ذلك ان بين الحد الاقصى والحد الادنى لعددها ، دائرة خمس سنوات كاملة . وسجل العلماء عدة ملاحظات فى هذا المجال منها تحسن المحاصيل فى فترات انخفاض نشاط البقع الشمسية ، وكذلك تحسن صيد السمك .

وعلى أى الأحوال فالذى لاشك فيه ان مناخ الشمس بعواصفه المغنطيسية العنيفة ، لابد وانه يؤثر على حياتنا . وقد ازدادت فرص



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الرقاب

القرآن الكريم يعرض لمفهوم : الرقاب ـ وهو جمع رقبة ـ فى مناسبات عديدة : يعرض له فى كفارة القتل الخطا ، فى قول الله تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله » (النساء : ٩٢) .

ويعرض له فى كفارة اليمين والحلف بالله ، فيما يقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته : اطعام عشرة مساكين من لوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة » (المائدة : ٨٩) .

ويعرض لهذا المفهوم كذلك : فى كفارة الظهار : « والذين يظاهرون من نسائهم (اى يلحقون نساءهم فى الحرمـــة عليهم : بامهاتهم . وكان ذلك شائعا فى الجاهلية ، وبقى من رواسبها ، بعد التحول إلى الايمان بالله) ثم يعودون لما قالوا : فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » (المجادلة : ٣) .

ثم يعرض له ايضا فى أعمال البر العام فيقول : « وآتى المال على حبه (اى حب الاتيان للمال) : ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » (البقرة : ١٧٧) .

واخيرا بذكره فى مصارف الزكاة فى قول الله تعالى : « والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب » (التوبة : ٦٠) .

فالقران يعرض لتحرير الرقاب .. اى لتحرير العبيد والأرقاء من ملك اسيادهم ومن قبضتهم على رقابهم : فى مجالات الدعاء لله لغفران ذنب قد ارتكب .. او فى عمل خير عام .. وفى بيان مصرف الزكاة الواجبة الاداء . وهى مناسبات راى فيها التشريع القرانى : أن يفيد منه فى اعادة الحرية والاعتبار البشرى لمن يتجر بهم من الارقاء فى اسواق النخاسة . وكان الاتجار بهم حرفة ومهنة . وكان تملكهم ترفا ، او لاداء حاجة من عمل لا ينقطع .

ويطلق على الأرقاء أو العبيد : رقابا ، كأن أيدى أسيادهم لا تنفك فى قبضتها على رقابهم . وبذلك يفقدون حريتهم .. وكرامتهم البشرية .

● والقران اذ يعدد المناسبات التى يطلب فيها تحرير الرقاب ، ويتخذ من كفارات القتل الخطا .. واليمين .. والظهار ، ومن مجال البر .. ومصرف الزكاة .. اسبابا لحمل المؤمنين على عتق الأرقاء من ملك يمينهم .. واعادة الحرية الانسانية لهم : فلانه يحرص تمام الحرص على الحرية الفردية ، والكرامة الانسانية لكل عضو فى المجتمع .

وهو اذ يدعو الى تحرير الارقاء فى هذه المناسبات العديدة : قد لا يتصور فى جانبه اطلاقا : أن يشجع تجارة الرقيق ، كما كان على العهد الماضى قبله .

واشبه برقيق الامس الذى يملكه سيد له ويحول بملكيته : بينه وبين حريته : صنوف الاستعمار المختلفة للشعوب اليوم . بل الاستعمار ادخل فى معنى الرق .. والشعوب المستعمرة ادخل فى معنى الرقاب ولذا لم يوجد اليوم سيد مالك ، ولا عبد رقيق على نحـــو الماضى : فمصرف الزكاة باســم الرقاب .. وما جاء فى مجال البر العام .. او فى الكفارات المتعددة ، يمكن ان يحول لتحرير الشعوب والجماعات الاسلامية ، التى أصيبت بلون من الوان الاستعمار : الفكرى .. او الاقتصادى .. او العسكرى .

والجهل كذلك : شبيه بالرق ، فى انه يقيد حرية الجاهل وامكانياته البشرية . ومحاربة الجهل لذلك تقرب من معنى : عتق الرقيق ، فى أن يوجه اليها مصرف الزكاة الخاص بالرقاب ، وكل ما جاء هنا فى اسباب معاونة الرقيق على استرداد حريته البشرية .

والرقاب اذن بالمفهوم التقليدى : هى العبيد والأرقاء الذين هم فى ملك اسيادهم ، ملكا شخصيا . ولكن بالمفهوم الاعم : هم الأفراد ، والشعوب الذين يتمكن من تقييد حريتهم : نظام تسلط معين .. او جهل يغطى انظارهم وبصائرهم : عن أن يروا الواقع على حقيقته ، ولذا لا يستطيعون التحرك فيه ، ولا الافادة منه .

والزكاة للارقاء اذن تقـــوم بـــدور « التحرير » لهم .. او المساعدة لهم على استرداد حرياتهم .

من محمد بن القاسم الثقفي إلى السلطان محمود الغزنوي

بقلم : أحمد العناني

احسب ان المؤرخين الذين دفعهم الاعجاب الكبير بمنجزات محمد بن القاسم فى السند قد تجاوزوا المعقول قليلا فى تقدير سن الرجل بان انقصوه عن حقيقته بنصف عقد من السنين على ادنى الظن وعقد كامل على اغلبه ، فهم راوحوا فى سنه بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، وما داموا هم يقدرون حيث لا سجلات للمواليد ، فان مسئوليات ذلك الرجل كانت فى نوعيتها بمستوى المخاطر التى تعرض لها رجال كالاسكندر وهنيبال وقيصر ونابليون وغيرهم وما عرف عن احد منهم مهما بلغت منجزاته ، وانبهار الناس بها انه كان يقل عمرا عن تمام العقدين او فوقهما بقليل فى حالة الاسكندر المقدونى .. لكن بطولة ابن القاسم تعرضت سريعا للعذاب والاضطهاد والوفاة فى السجن بغير وجه حق الامر الذى اكسبه إشفاقا عظيما واعجابا بالغا من الناس فجعلوا عمره أقل من الحقيقة لتكتمل فيه ملامح البطولة الخارقة ..

وايا كان الحال فان محمدا انجز عملا بطوليا ما فى ذلك ريب ، فقد كان عليه أن يجتاز منطقة صحراوية مقفرة على امتداد ولايتى كرمان ومكران حتى مشارف نهر الاندلس ، بل إن الاندلس يمثل فى السند ما يمثله النيل فى مصر فمن دونه ومن ورائه لا يوجد غير الصحراء . كما أن المدن التى واجهها فى الرور والديبل والملقان وغيرها كانت مدنا كبيرة مسورة وذات كثافة سكانية مستمسكة بتقاليد وثنية تعود إلى الوف السنين . والواقع أن حملته على ذلك الاقليم ذى الملايين العديدة من السكان بعد رحلة مجهدة جدا لجيشه البرى بخاصة ربما لم تكن لتؤتى ثمار النصر لولا الروح التى سادت أوضاع العالم الاسلامى مجددا خلال خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان الذى تمت الحملة خلال حكمه ... فبينما تحمل عبد الملك بن مروان والده وزر المذابح التى اضطر لها لجمع كلمة الناس بعد ان فشت فيهم الانقسامات من كل نوع فان الوليد وجد ملكا منتظما وكان هو انسانا متعقلا يفهم روح الحكم فى الاسلام ، ويحترم من الأعماق اهل التقوى والعلم مما أوجد مناخا جديدا تنفس فيه الشوق مجددا لنشر رسالة الاسلام وهو المهمة الاساسية لكل دولة اسلامية .. لقد حارب ابوه ابناء عمومته ومنهم عمرو بن سعيد الأشدق ، وحارب فى العراق مصعبا الزبيرى وكلا من الخوارج والشيعة ، كما اباح قائده الحجاج لنفسه حرية ضرب الكعبة بالمنجنيقات للقضاء على عبد الله بن الزبير .. اما الوليد فلم يحارب احدا ، بل هو استرضى قلوب الناس فى الحجاز بتولية عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وحسبك من الوليد ان يمر مع عمر بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة توسعته فيرى سعيد بن المسيب لا يتزحزح من مكانه ولا يحييه بكلمة ومع ذلك فهو يقول لعمر بن عبد العزيز المحرج من الموقف، فى حق سعيد وفى تلك اللحظة بالذات مشيرا الى سعيد « هذا بقية الناس » .

لقد استعاد الوليد مناخ الحياة المواتية لاستئناف الجهاد فتداعى الناس له ووجدوا فيه خلاصا من التفكير المضنى فى لزمة الفتنة الكبرى التى تقشعت سحبها الداكنة ، فانطلق موسى بن نصير يصلح ما فسد من أمور المغرب ، ويوطن للاسلام وجذوره فى بلاد البربر ثم كان فتح الأندلس ذروة جهاده وقادته العظام المتاثرين به كطارق بن زياد ... كما انطلق قتيبة بن مسلم الباهلى يمكن للاسلام فى بلاد ما وراء النهر مما يعرف اليوم بافغانستان وتركستان الشرقية ، فيما شغل مسلمة بن عبد الملك بمناطق ارمينية والقفقاس الغربى وانطلق محمد بن القاسم فى السند ..

تفاصيل الحملة

من أسف بالغ ان عادة التدوين لم تكن - فيما عدا ما حصل بالنسبة للقران الكريم - شيئا مذكورا بين العرب ، حيث ان تدوين الحديث الشريف نفسه لم يبدا به الا بعد حملة محمد بن القاسم بحقبة كاملة ، ولذلك فنحن نجهل تماما تفاصيل المغامرة الضخمة بنقل جيش كبير عبر صحارى كرمان ومكران ، وهو ما لم يجرؤ على مثله من قبل سوى الاسكندر المكدوني الذى خسر معظم جيشه بسبب العطش والجوع والمعاناة ، فعاد ادراجه مسرعا بطريق البحر .. لكن محمدا باشر الفتوح بمجرد الوصول فحاصر اكبر حواضر السند عند مصب نهر الاندوس وهى مدينة الديبل وقد تمكن بمنجنيق هائل كان يسمى العروس من تحطيم صنم هائل كان منصوبا باعلى هيكل المدينة الاكبر فكان لتحطيمه اثر نفسي سيىء على اهل المدينة المحاصرين فخرجوا يريدون القتال والثار فدارت معركة عنيفة نصب خلالها المسلمون السلالم فصعدوا اعالى السور واقتحموا المدينة عنوة فى رابعة النهار ، وهرب منها والى الملك راهر فاختط المسلمون بها دورا ومسجدا ونزلها اربعة الاف منهم وارادوها مركزا لنشر الاسلام وتعليم القران (١) ، وهنا بدا السكان المحليون وكثير من العناصر المظلومة والمضطهدة كالزط وغيرهم يلتحقون بالمسلمين ويشاركون فى تسهيل عمليات الفتح فسقطت سائر المدن والقرى من دون نهر مهران ، وعبر المسلمون فرع نهر الاندوسى المسمى مهران ، وهناك التحموا بجيش راهر نفسه الذى عول على الفيلة تحمل المحاربين فى الهوادج لكن المسلمين اتقوا شرها بقذائف النفط تحرق الهوادج ومن فيها .. وكانت معركة ضخمة انتهت بقتل

راهر .. وتتابع بعد ذلك سقوط مـــدن ساوندري وبسمد والبيرون والرور التى جعلها المسلمون مركزا اخر وبنوا فيها مسجداً ثم اجتاز المسلمون فروع الاندس الأخرى الى ان وصلوا عاصمة السـند الشمالية ـ الملتان ـ وهناك وقع قتال شديد لكن المدينة سقطت وكثرت فيها الغنائم وبسقوطها اصبحت السند كلها بايدى المسلمين بحلول عام ٩٥ للهجرة ... وما لبث الخبر ان جاء بوفاة الحجاج ثم توفى الوليد بن عبد الملك مباشرة بعده فكان مجيء سليمان الذى طالما تهدد بالانتقام من الحجاج وقادته وهو ولي للعهد ، فانفرط عقد الفتوح ، وانتهى اعلامهـــا إلى المحاكمات والتشهير ، والقتل والسجون والتشريد لم ينج من ذلك سوى مسلمة ابن عبد الملك ، وقيل ان محمداً لما ورد الامر بعزله واعتقاله قال متمثلا :

اضاعوني واى فتى اضـــاعوا
ليوم كريهـــة وسداد ثغـــر

عرب الســـند

يعتبر البلاذري المصدر الأساسي الذى نقل عنه المؤرخون اللاحقون كالخطيب البغدادي ، وابى حنيفة ، الدينوري واليعقوبى (احمد بن علي) والطبري وابن خلدون وحتى مؤرخي باكستان المحدثين كالدكتور بنى بخش بالوش وشمس العلماء الدكتور داوربتس وميرزا كاليش وغيرهم ، ويبدو من مجمل الروايات ان محمد بن القاسم عني بتعيين قضاة فى المراكز الاساسية التى أشرنا لها فى السند ويبدو ان بعض عناصر من عبدقيس وبكر ابن وائل وتميم قد تشبثوا بالبقاء فى السند بعد انسحاب جيش محمد بن القاسم وفى موقع انشاه المسلمون يدعى محفوظ اباد لا تعرف اثاره اليوم ، ولكن للموقع المعروف اليوم بالمنصوره ظل بايدى المسلمين حيث اجتمعت به سائر العناصر العربية من اهل الفتح وانحاز اليهم من هدى الله تعالى للدين الجديد ، ويبدو أن اتصالا مؤثراً جرى بهم ايام الخليفة المنصور العباسي .. وأيما كان الحال فان ولاة المنصورة هذه ظلوا متمسكين بان يجيء تعيينهم بامر الخليفة ، وهناك قائمة بتسلسل الولاة على المدينة من عهـــد محمد بن القاسم إلى عهد المعتمد العباسى وتشمل القائمة واحداً وأربعين واليا اخرهم عمر بن الليث ومنهم حبيب بن المهلب بن أبى الصفرة وهلال التميمي وجنيـــد بن عبد الرحمن المري (علما بان الجنيد هذا يرد بين قائمة امراء جند وولاة هشام بن عبد الملك فيما وراء النهر) وعمرو بن الفاتح محمد بن القاسم الثقفي ومنصـــور الكلبي وعدد من التميميين وواحد من بنى تغلب وزفر الحميري وداود المهلبي وغيرهم وربما كانت الاسر العربية الاصول فى السند من اشد النـــاس استمســـاكا بنسبها ويقال ان بنى شهيم الموجودين هناك الآن هم بنو تميم الذين دخـــل اجدادهم البلاد مع محمد بن القاسم ..

الغزنويون والمغول

يبدو من سائر الظواهر والأخبـــار ان الوجود الاسلامى فى السند بعد محمد بن القاسم كان وجوداً دفاعيا وسلميا ، ويروي ولهاوزن (٢) انه لما قام حكم عمر بن العزيز رضى الله عنه بعد وفاة سليمـــان بن عبد الملك فوضع كل جزية عن المسلمين المستحدثين عاد كثير من الهنود وغيرهم للاسلام ودخلوا فيه طوعا ، على ان الوجود المؤثر للاسلام انما استعيد على يد السلطان محمود الغزنوي ، اوائل القرن الخامس الهجرى الحادى عشر للميلاد ، ولاشك ان الغزنويين والمغول هم الذين شادوا سائر ما نراه من المعالم الاسلامية العظمى فى الهند ، فقد وجه محمـــود الغزنوي اثنتي عشرة حملة ناجحة فى سائر الشمال الهندى ـ خلال مدة حكمه من (٣٨٨ ـ ٤٢١ هـ) ووطد اركان الاسلام فى البنجاب جاعلا من لاهور عاصمة له ثم جاء دور محمد بن ســـام الغـــوري (حكم الغوريون افغانستان فى ٥٤٣ ـ ٦١٢ هـ) فجعل من دلهى عاصمة له ونشر هو وخلفاؤه نفوذ المسلمين فى معظم شبه الجزيرة الهندية (٣) وتعاقبت من بعده عدة اسر مغولية على حكم الهند إلى ان جاء عصر محمد بن طغلق الذى تولى عرش دلهي عام ٧٢٦ للهجرة وكان رجلا واسع الطموح ومخططا ممتازا انشا علاقات نشطة مع سائر بلدان العالم الاسلامى ، وبخاصة مملكة المماليك البحرية فى مصر التى كانت تحت حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقد مد هذا الرجل نفوذ الاسلام فى سائر شبه القارة الهندية ، وقد قيل ان ذلك التوسع فى الجنوب هو الذى أدى الى إضعاف دولته تماما كما فعل اورنجزيت سلطان المغول العظيم الآخر بعد ثلاثة قرون . وأيما كان الحال فالمهم ان هذا الرجل انشا علاقات نشطة جداً مع مصر ، خصوصا وانه حصل من الخليفة العباسى المستكفى بالله الذى كان ملتجئا لمصر بعد سقوط بغداد بأيدى التتار تفويضا بشرعية حكمه للهند ، وهو تفويض افاد منه فائدة كبرى .

علاقات خاصـــة بين الهند ومصر

لما كان مغول الهند فى خصام متصل مع المغول الذين استولوا على خراسان وفارس فقد كان مغول الهند يطمعون فى صداقة المماليك البحرية اقوى حكام المسلمين العرب فى غربي اسيا . ومع ان المصريين اثروا الابقاء على العلاقات الحسنة مـع جناحى المغول كليهما الا أن الهنود كانوا يطمعون فى انحياز المماليك لهم فى نهاية المطاف ولذلك فلم يتركوا جهدا فى تنشيط التجارة وسائر انواع المبادلات الممكنة مـع القاهرة وحيث كان المغول المغربيون قد اوقفوا نشاط الخط البرى بين الموصل وحلب فقد اتجه النشاط التجارى ناحية موانىء البحر الاحمر عبر باب المندب ، حيث ازدهرت كل من القلزم والطور وعيذاب فضلا عن عدن .

كما اصبحت الاسكندرية تستقبل عدا عن مستوردات البضائع الهندية البضائع الواردة من ثغور البحر المتوسط لنقلها الى البحر الاحمر وباب المندب حتى سميت فى تلك العصر بمخزن العالم ، ويروى ابن بطوطه (٤) فى رحلته طرائف تكشف عن سعة التواصل العربى الهندى وانتشار الجاليات الهندية فى مصر ، والمصرية فى ثغور الهند فى تلك الفترة الزاهرة .

ولاشك فى أن ترسيخ الاسلام جذوره فى الهند على أيدى الغزنويين والمغوليين قد احكم الوحدة الثقافية الهندية العربيـــة وفتح ابواب العلاقات من كل نوع بين العرب والهنود وهى علاقات تنمو وتتطور حتى تحت اسوا ايام الاستعمار بطشا وتفريقا للناس .

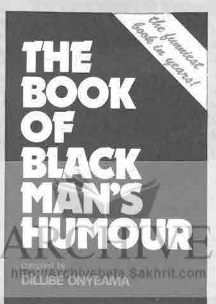
أحمد العنانى

المراجع

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان .
(٢) د . علي ابراهيم حسن ـ تاريخ المماليك البحرية ص ١٦٤ طباعة القاهرة .
(٣) انحلال وسقوط الدولة الاموية .
(٤) ابن بطوطة تحفة النظار ج ١ ص ١٥ طباعة القاهـــرة .

كيف يضحك الرجل الأسود؟





جمع : ديلبي أوينيما
ترجمة وإعداد : النور عثمان أبكر

أصبح الضحك صمام الأمان فى عالم يطغى فيه الصراع ويتصاعد كل يوم . وفى السنوات الأخيرة صارت الدعابة النابعة من واقع التفرقة والتحيز العنصريين مطلوبة لا لذاتها ، وإنما لتخفيف حدة التوتر الذى يفصل بين الأجناس ، واخذ يستمتع بها المغلوبون على أمرهم .

وربما كان الانسان الأسود اللون اكثر حظاً من التعاسة والامتلاء بالغبن عن غيره . ولذا فان الضحك هو تعليقه ورد فعله على معاملة يفرضها عالم يقسو عليه ، ويحرمه من حقه فى العيش كما ينبغى للانسان أن يعيش . فالفسحة الوحيدة التى افرج عنها العالم الغربى الحر ، كما فى أمريكا وانجلترا مثلا ، لينعم فيها الاسود ببعض حرية هى حياة الأحياء الفقيرة : «الجيتو» . ولكن حياة البؤس والمكابدات اليومية لم تمنع الأسود من الضحك أو استخدام السلاح الوحيد الذى يملكه : وهو حس الدعابة الواعية . وكلما اشتدت معاناته وجه ضربات اشد الى جلاديه .. بدعابته . وفى احلك المواقف وأكثرها ماساوية ، ظل الأسود يضحك على العالم وعلى نفسه .

وهذا ما نحسه فى الكتاب الذى جمع فيه الصحافى والمؤلف النيجيرى ديلبى اونيما ما قاله عدد من مشاهير السود فى مجال السياسة والآداب والفنون والرياضة فى امريكا ، وانجلترا ، وافريقيا . وحاولنا اقتطاف ما يحتمل الترجمة والنقل الى العربية منه .

وقد اشتهر اونييما بمذكراته التى سجلها خلال فترة دراسته بمدرسة «إيتون» ، حيث ابرز التحيز العنصرى فى تلك المدرسة البريطانية العريقة . واتبع ذلك بكتاب عن الزنوج فى بريطانيا صور فيه أوضاع السود وحالهم الاجتماعى وسلوكهم وما يمكن أن يحمله لهم المستقبل . وكان قد جمع فى كتاب نشر عام ١٩٧٥ كل ما صدر عن الملاكم محمد علي كلاى من قول لاذع .



كيف يضحك الرجل الأسود ؟

ربما كانت نقطة انطلاق معظم الأقوال اللاذعة التي يضمها هذا الكتاب من جملة ما قاله السود بامريكا هي ما يعرف بالانفراق أو التناقض الظاهري . ولذا فان المدخل الى الاستمتاع بالرنين الحقيقي لضحك الأسود الامريكي هو الوقوف على الأرضية التي بنى فوقها البيض علاقتهم بالافريقي الأسود .

لقد بررت اوروبا استرقاق الافريقي الأسود في القرن السادس عشر بقراءة مغرضة لنصوص العهد القديم في الكتاب المقدس ، ثم بررت استعمار افريقيا وجهات أخرى في العالم الثالث بمسئوليتها انسانيا وحضاريا بضرورة انتشال أهالي تلك الأصقاع من براثن الهمجية والبربرية . وحين وجدت اوروبا في العلم الحديث ضالتها المنشودة لتفسير العالم وقوانين الطبيعة ، كشفت عن حقيقة ايمانها بتفوق البيض على بقية شعوب العالم . فاقامت نظريات تسمى علمية تفتي بضمور الذهن الملون وافتقاره الى الذكاء البعيد . وما كان هتلر سوى ثمرة طبيعية لمفكرين عمقوا النعرة العرقية في الوعي الأوروبي ، ومنحوها تدابير اظهار التفوق الآري .

وقد ابتدر جامع هذه الأقوال كتابه بالضحك من محاولة البيض استخدام العهد القديم لوصم الأسود بالدونية . نجد ذلك في كلمات محمد علي ، وشعر كاونتي كالن ، وقولة ماكيل ديكسون ، ونكتة سامي توماس ، وكلمة عراف الزولو كريدو موتوا والأب ابيل موزوريوا ، وبوكر واشنطون .

ويستحق محمد علي كلاي اشارة خاصة لاننا ، إن أسقطنا مسافة من عدم التصديق بيننا وبين اجهزة الاعلام الأمريكي فيما يتعلق بأسطورة هذا البطل ، نكتشف انه فجر ثورة لا في مجال الرياضة فحسب ، وإنما في تاريخ ومسار حركة المطالبة بالحقوق المدنية وفي مفهوم العلاقة بين الفرد والمؤسسة الحاكمة .

تخطي حواجز اللون

لقد خرج محمد علي على الحياة الأمريكية من باب أوسع صناعة بها ، وهي صناعة الاعلام والترفيه وصنع الأبطال ، وذلك حين اصبح بطلا عالميا في الوزن الثقيل . ومن قمته تلك اشهر اسلامه ، فاسقط في يد المؤسسة البيضاء لأن اسلام بطل عالمي واصراره على الطهارة والتسليم لخالقه لا لأرباب تسويق شهرته لم يكن ضمن تصور القدر المرسوم امريكيا لأبطال الملاكمة السود . وهذا ما يشير اليه الدريدرج كليفر في كلمته . فالبطولة للأسود في وحي الحياة الأمريكية هي الفرصة النادرة لانتقاله الاجتماعي ، وتخطي حاجز اللون لدخول دنيا المال والامتيازات الحرة . وكان وقع الصدمة عنيفا على القائمين بامر العلاقات العامة والدعاية للبطل . فقاموا بمحاولة لتطويق هذه الصرعة — كذا ظنوها — وذلك باستغلالها وتقديمها كانها الصورة التي بها يتباهى . لكنه حرص على التوكيد بان اختياره ليس مؤقتا ، وليس من قبيل ما يشاغب به بطل متحديه قبيل التباري . وزاد الأمر حرجا بالنسبة للمؤسسة الأمريكية ان محمد علي لم ينخرط في اية مجموعة مسلمة معينة يمكن ان يتم التأثير عليها لتصفيته ، كما حدث للراحل مالكولم اكس الذي دبرت المخابرات اغتياله على يد جماعة المسلمين السود التي خرج عليها بعد أن اهتدى الى الاسلام الصحيح اثر



ابيض لأسود يحمل صحيفة يهودية :
« ألا يكفي انك أسود ؟ »

الحج الى بيت الله الحرام والاتصال بمصادر اسلامية سليمة .

العودة الى الأصالة الزنجية

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فان مالكولم اكس كان مصدر بث لوعي جديد بين السود . فهو قد اكد على ضرورة العودة الى الأصالة الزنجية ، بمعنى ان صورة «العم طوم» الوادع الطيب هي من صنع المؤسسة البيضاء ، وان ابناءه هم نسل مغسول الدماغ الذي يرى نفسه بمنظار ابيض . كما دعا الى ضرورة العودة الى الجذور والاستقلال الاقتصادي واستخدام صوت الناخب الزنجي استخداما يؤثر على مجرى القرار الأمريكي .

وكان مالكولم إكس خطيبا مؤثرا ومطلوبا ، وثاني اكثر متحدثين مطلوبين في قاعات المحاضرات بامريكا في بداية الستينات . وكان موضوعه الأساسي هو نقده اللاذع للقادة في امريكا ولرؤسائها البيض ، وهو مما لا يمكن السكوت عليه من قبل المؤسسة البيضاء .

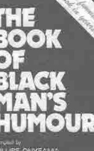
السواد جمال

وفي ذلك الوقت نفسه كان كاتب «ضليع» في اللغة والتاريخ والفن ، هو جيمس بولدوين ، يسجل مذكراته ويكتب رواية مغايرة للرواية البيضاء ، ويساجل في المقابلات والندوات . من ذلك جميعه تمخض شعار : «السواد جمال» ، والذي نشطت به حركة الاحتجاج باللون الأسود احتجاجا ايجابيا اعاد الى الشباب الأسود ثقته في نفسه . كما نشط الاتصال بين الزنوج في امريكا وافريقيا زمان كان نكروما مُعلّما ومُعَلّما ، وكانت غينيا سيكوتوري منافحة عن امور تسكت الآن عنها : فكانت حركة القوة السوداء .

ولذا حين أشهر محمد علي كلاي اسلامه على مشهد ومسمع من ملايين تنظره في قمته كبطل ملاكم ، كانت الظروف الذهنية والنفسية وسط السود مهيأة لتقبل ما تقوله الجذور : وهو ان الدين الطبيعي للسود المسترقين من سواحل غرب افريقيا هو دين ارض الجذور .. لا دين الرجل الأبيض الذي نهب وزيف ودمر تلك الأنفس والسواحل وبذا وجد الأمريكي الأسود دفعة واحدة انه



كيف يضحك الرجل الأسود؟



يملك صورته كما حررتها له الطليعة السوداء المناضلة بشرف وبعيدا عن دهاليز وكواليس حركة الرجل الابيض المسماة تقنين الحقوق الاجتماعية للسود ، والتى تزعمتها قيادات من نسل العم طوم ، حد قول مالكولم إكس .

ولمحمد علي فضل كبير بحكم شعبيته العالمية فى ايقاظ وتفجير هذا الخطر . اما (الشىء المحـــرم) الاخر الذى جرؤ الملاكم الأسود على تعريته فهو الانخراط فى جندية المؤسسة العسكرية البيضاء : لقد رفض التجنيد الاجبارى ابان الحرب الأمريكية الفيتنامية . وكانت تلك صفعة على الخدين : الابيض والاسود على حد سواء ، ما كانت الحرب من حظ الارقاء السابقين . وحتى حرب التحرير الكبرى التى قادها ابراهام لنكولن ، محرر العبيد ، لم يسمح فيها للسود بالقتال . لقد حرموا شرف الجندية . وكان احد المطالب الاساسية فى حركة الحقوق المدنية ان يسمح للسود بحق حمل السلاح دفاعا عن بلادهم - بلاد الرجل الابيض .

وقد شجع رفض محمد علي كثرة من الشباب الامريكى على الهرب من الجندية واللجوء الى دول اسكندنافية ، وعلى رفض التجنيد فى الولايات المتحدة ، مما سارع ونشط حركة المطالبة بايقاف الحرب واعادة الابناء الى الشواطىء الامريكية الدافئة بدلا من الموت فى ادغال بلد اسيوى متخلف عرف بانه مقبرة للغزاة .


محمد علي كلاي

اعتبارات حضارية

ومن المواضيع التى حرص الأدب الزنجى الأمريكى على اظهارها بعد ان امتلك صورته الحقيقية مسالة الحضور الأسود فى تاريخ الولايات المتحدة . لقد كشف جيمس بولدوين فى أكثر من موقع فى كتاباته ان تعامله مع شكسبير ورامبرانت وبيتهوفن واينشتاين إنما يتم باعتبارات حضارية ، وليس لكونهم خلفيته التاريخية فى الانجاز : لأن التاريخ الأوروبى ليس تاريخه الشخصى كما تحاول الكتب المقررة أن توهمه . ويفسر هذا الموقف اندفاع الباحثين السود الى استجلاء تاريخ افريقيا باعتبارها أرض المنبت والأصالة السوداء . فاذا كانت «الجذور» التى


جيمس بولدوين

استجلاها المستر هيللى فى مسلسله المشهور هى ابرز ما عرفه العالم من جهود السود فى التعرف على تاريخهم الشخصى الحقيقى فان المكتبة الافريقية بامريكا حافلة بالدراسات الجادة والمتعمقة لهذا الموضوع .

ولذا فان الأقوال المقتطفة من محمد علي وسامى ديفيز ولويس إكس واوبى ايقبونا والتى تدور حول تزييف الرجل الأبيض للتاريخ الذى يسجله عن السود إنما هى من صميم معاناة السود فى هذه الناحية ، إذ ان الاعلام الأمريكى معتمد على نعرة تبخيس السود اشياءهم يصر على ابراز كل انجاز وابداع باعتبارهما من فعل البيض وحدهم .

هذا ، ولم تكن فرص التعليم والتاهيل متاحة للسود دائما ، كما ان فرص انتقاء الشريك فى العلاقات الشخصية كان دائما وقفا على البيض ، حتى فى حال انتقاء ذلك الشريك من السود . وهذا ما نجده فى الكاركاتير الخاص برجل الفضاء الأسود ، والذى اعتبره من اذكى الايماءات فى هذه المجموعة .

ولا تغفل هذه الأقوال الاشارة الى عدم ثقة الأسود بالبيض وتعلل الأقوال اللاذعة فقدان الثقة هذا بحب الأبيض لنفسه واندفاعه الأعمى لانتهاب اية فرصة لجمع المال ، واستعداده للايقاع بغيره فى اية لحظة . وتعمق الأقوال المنتقاة هذه الفجوة برفضها تقليد البيض فى تفكيرهم أو سلوكهم .

مشكلة نازحين

اما فى بريطانيا ، فان الامر جد مختلف . فالمشكلة الأساسية هى مشكلة نازحين وما يترتب عليها من معضلات الاستيعاب ، سكنا وعملا وتباينا فى العادات الشخصية واللغة الخ . فالملون البريطانى ، اسيويا كان ام من جزر الكاريبى او جزر فوكلاند يشعر بحقه الكامل فى الاقامة ببريطانيا ، مادام يحمل جواز سفر بريطانى صالحا ، ومادام قد عومل فى فترة الاستعمار معاملة الشخص البريطانى . كما نجد ضمن مشكلة الاستيعاب هذه صراعات خفية بين الأقليات نفسها ، وخاصة بين الملونة منها

وبين الأقلية الايرلندية فى بريطانيا . اما اليهود ، فقد صعدوا اقتصاديا واجتماعيا الى مراكز تمنكهم من السيطرة على اقدار الاخرين ، تدعمهم بالطبع الصهيونية العالمية .

ولذا فان الأقوال اللاذعة المختارة على لسان ملونين بريطانيين او افارقة ارتبطوا بالحكم البريطانى هى نكات اكثر منها كلمات ماساوية نابعة عن غبن عميق كما عند الامريكى الاسود الذى اشترك اشتراكا فعليا وتاريخيا فى بناء «العالم الجديد» ، ونفي منه بحرمانه من حقه الطبيعى فى الافصاح عن انسانيته الفعالة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

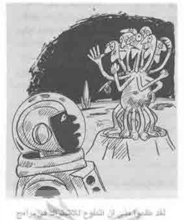
ويجد القارىء فى المناكفات والمناوشات التى تحفل بها الأقوال المختارة عن اوضاع الملونين فى بريطانيا ان المستر اينوك باول السياسى اليمينى المحافظ هو محور معظم الضحكات الملونة . وتقابله فى امريكا جماعة الكلوكلوكس كلان فى الولايات الجنوبية التى تعمل على تصفية السود وكل من يتصل بهم او يساعدهم تصفية جسدية .

فالمستر باول هو الداعية الجهير الصوت بوجوب ترحيل الاسيويين واهالى جزر الهند الغربية الافارقة الى بلادهم ، ومنحهم التعويض اللازم ، لانهم اس كل بلاء اصاب الامبراطورية الشائخة ، ووجـــودهم فى قناعته ، سيؤدى الى فيضان مروج بريطانيا الخضراء بالدم ، وشوارع مدنها الكبرى ستتحول الى ادغال تصطرع فيها وحوش همجية .. وما فساد الشباب وازدياد الجريمة والبطالة وكل قبيح إلا بفضل تسللهم غير المشروع الى بلاد التقاليد العريقة والتسامح الانسانى . كذا !

إن ما تم إغفاله فى هذه المجموعة اخطر مما تم تقديمه : فالمجموعة لم تنتخب اية اقوال نابعة من وضع السود فى جنوب افريقيا ، حيث تمارس حكومات بريتوريا المتعاقبة افظع انواع التفرقة العنصرية .

محمد علي كلاى

● اتدرون ان اللون الاسود هو الاصل ؟ وان الكتاب المقدس هو القائل بان كل شيء كان يغطيه الظلام قبل ان تخلق السموات والارض ؟ وما لون الظلام ؟ اتدرون ان الأرض الخصبة ارض سوداء ؟ وان التوت كلما اسود لونه طاب مذاقه ؟ وان القهوة القوية هى القهوة السوداء ، ولا تفقد قوتها إلا بعد مزجها بالحليب ؟



لقد علمونا [illegible] الفضاء ، [illegible] كوكب المريخ ، [illegible]

●● ما اتعس الاسود : وما اقسى دربه واطوله . ربما بدا كل هذا العذاب حينما جرته امه الى كنيسة البابتيست او الكاثوليك ، ورأى المسيح لأول مرة : وله شعر لم يرزقه اسود ابدا . وعندما رأى العشاء الاخير فيما بعد وجد ان كل الجالسين اليه رجال يشبهون المسيح . لم يكن بينهم صينى او مكسيكى . بيض كلهم . ورأى تصاوير القديسين المسيحيين ، وكانوا بيضا . ولم ير تصاوير لرجال سود يموتون فتصعد ارواحهم الى السماء لتلحق بالملائكة الشقر . وفى كتب القصص ، وجد الاخيار كلهم بيضا ، وملكة جمال امريكا بيضاء ، وملكة جمال العالم بيضاء ، وملكة جمال الكون بيضاء .. والرئيس الأمريكى يسكن فى البيت الابيض .. وكعكة الملائكة بيضاء ، وكعكة الشيطان سوداء . والشيء الأوحد الذى يعرفه هو ان افريقيا سوداء ، واحراشها سوداء . فمن تظنونه وجده ملكا عليها ؟ اووه .. اه .. انه طرزان .. ومعه تاجر جوخ والبسة .

جيمس بولدوين
كاتب

● سئل ذات مرة إن كانت لديه اية فكرة عن مكان اسلافه ، فاجاب « لا ولكنى احمـــل اسما انجلزيا .. والله وحده يعلم اين حصلت عليه»

●● وفى تعليقه على انكماش الأمريكى العادى وكبته نفسه عن ملامسة الآخرين ، قال : «إنه متجمد .. وحتى حين يهز يد شخص اخر فانما يفعل ذلك فى توتر وعصبية» .

●● وقال معلقا على البيض فى جنوب افريقيا :
«انهم اقلية فى جنوب افريقيا ، وهم هناك فى اقصى طرف من الكرة الأرضية وليس وراء ظهرهم سوى البحر . فلذا ، او بالاحرى ، عندما تدور عليهم الدائرة لن يجدوا احدا ينقذهم .

الدريدج كليفر
كاتب

● يقض مضجع العنصريين البيض ان الناس فى كل انحاء العالم يحبون الامريكى الأسود ويجدون استحالة فى إسباغ اى دفء عاطفى مماثل على الأمريكى الأبيض . وعندما يهتفون : «الى دياركم ايها اليانكى» فانما يعنون بذلك الرجل الأبيض لا الأسود الذى نال مؤخرا حريته من بعد عبودية .

فالأبيض العنصرى يعى انه هو «الامريكى القبيح» ويريد للأمريكى الأسود ان يكون قبيحا ايضا فى نظر العالم : ان التعيس يانس بالصحبة .

● لقد ظل كل بطل اسود فى الملاكمة العوبة يحركها البيض ، ويتحكمون فى حياته الخاصة وصورته العامة .. حتى جاء محمد علي . وبمجيئه اصبحت اليد المحركة للدمية ممسكة بقبضة من الخيوط . غير ان الدمية الراقصة لم تعد مشدودة اليها .

لويس اكس
واعظ مسلم أسود

● اغنية :
«كنا نلبس اردية حريرية واحذية من ذهب ، وكنا ارقى الناس على الأرض قاطبة ، كما قيل لي



كيف يضحك الرجل الأسود؟




مارتن لوثر كنج


اينوك باول

ولكننا الآن افقر الفقراء
وليس ثمة من يريدنا أمام بابه
ولذا يا صحابى من السهل ان نعى-
ان جنة الرجل الأبيض هى جحيم الأسود
وباستخدام نسائه البيض وماله الحارق
وألاعيبه واكاذيبه استطاع ان يسرق امريكا
والمالك الحقيقى لهذه الامة
رهين المعسكرات الخاصة .
ولذا يا صحابى
من السهل ان نرى ان جنة الرجل الابيض
هى جحيمنا نحن السود .

كاونتى كالن
شاعر

● من قصيدة : «سيدة اعرفها» :
وحتى فى الجنة
تعتقد ان طبقتها تنام وتشخر الى وقت متأخر
بينما يصحو السود فى السابعة
لأداء التراتيم السماوية

سامي ديفيز
ممثل فكاهي

بعد ان صرت نجما اتاح لي ذلك فرصة تلقى إهانات فى أماكن لا يمكن للأسود العادى ان يحلم ان يدخلها ليهان .
● إن العالم لا يكره المهزومين ، ولكنه ببساطة لا وقت له لهم .
● لقد اتفق ان كان مؤلفو كتب التاريخ من البيض وبصدفة اخرى عجيبة استطاعوا ان يتجاهلوا كل شيء انجزه اى أسود فى امريكا ولامريكا ، ما عدا سحب البوارج فى نهر المسيسيبى اللعين .
● الى مشاغب :
يسرنى سيدى ان استضيفك فى كاليفورنيا ان وجدت نفسك ذات يوم بها : ارجو ان تزورنى وتستخدم حوض السباحة الخاص بى ، ويسرنى ان اعطيك بعض الدروس فى الغرق .
● وقد سئل مرة عما يعيقه ، فقال :
(اننى رجل ملون اعور ، فما حاجتى لمزيد من المعوقات ؟) .

وليم دوبوا
(١٨٦٨ ــ ١٩٦٣)
كاتب

● هنا ترقد مأساة العصور . وهى ليست ان الناس فقراء ــ فقد عرف كل الناس ضربا او آخر من ضروب الفقر ، ولا هى ان الناس اشرار ، فمن هو الفاضل ؟ ولا هى ان بالناس جهلا ــ فما هى الحقيقة ؟ لا : إن المأساة هى ان الناس لا تعرف سوى النذر القليل عن الانسان .

راى دوريم
كاتب

● اسمعنى ، اسمع استجدائى ايها الطبيب : أريد رجلا صناعية سوداء .
● ان بعضا من افضل اصدقائى هم من البيض . وعندما اقابلهم اعاملهم وكأنهم بشر .

نيكى جيوفانى
كاتبة

● ما هو الشيء الأوحد الذى تعرفه بشكل مطلق وحاسم عن اى رجل ابيض فى العالم ؟ انه يعبد المال . ومن فرط افتتانه به يراه فى كل شيء اخضر . وهذا ما يفسر وجود تلك اللافتات اللعينة : ابتعد عن العشب ! لا تطأ العشب ! وهو لم يضعها لانه يهتم ويعنى بالعشب وإنما لان العشب اخضر .
● ما هى افضل السبل لابعاد الرجل الأبيض .. وبسرعة ؟ اطلب منه مالا .
● انه ظريف لأقصى حد يستطيعه عندما يعتقد انه سيحصل على مالك ، ولكن حين تطلب منه مالا ، فكأنك تطلب من الهيبى ان يتخلى لك عن الشيء الذى يخدره ، او من الزنجى ان يسلمك خنجره .
● ادخل اى مصرف تريد وتشاء واودع به خمسة دولارات ، ثم عد اليه بعد أسبوع لسحبها . وانت تودع الدولارات الخمسة يهش لك الجميع ، ويكلف المدير خاطره ليخرج لمصافحتك والترحيب بك عضوا فى العائلة . انا لا اتحدث عن اكثر من خمسة دولارات . وعندما تذهب لاستردادها ، يبادرك الصراف قائلا : (اتدرك انك بذا ستغلق حسابك ، وكانك تجهل انك إن اودعت خمسة دولارات وسحبت خمسة فان حسابك لا محالة سيقفل . تبسم له وتقول : طبعا يتجهم وجهه ويقول : (سيكلفك هذا دولارا) . فتقول: (حسنا . اعطنى الاربعة الباقية) . فيقول : (أمهلنا دقيقة) . هنا تنظره شذرا وتقول : (ارجو لك حقا !) عندئذ يخبط مالك ويصيح : (بعدم) او ربما حول المعاملات الى الصراف الآخر ، ليدير لك ظهره .

ديك جريجورى
كوميدى

● أتدرى اننى تجاوزت الثانية والعشرين من عمرى قبل ان اعرف ان ابراهام لنكولن هو الذى حرر العبيد ؟ كنت دائما اعتقد ان جفرسون ديفيس هو الذى اخرجنا من الأسر تحت المراقبة ؟

● يبدو اننا بدانا نحرز نصيبا من النجاح لقضيتنا : لقد طرحت شركة الهاتف اجهزة ملونة .

● اريد ان اقدم لكم مفاجأة : انكم ترون صور الكلوكلوكس كلان وهم يلبسون اغطية راس مدببة . ان الاغطية نفسها مسطحة ، لكن الرؤوس هى المدببة

● يوفر لى الصيف متعة نادرة : فحين يصفعنى احدهم مربتا على ظهرى ، اصيح : (انتبه ، فان ظهرى يؤلمنى بسبب صفعة الشمس) وما اكثر الذين يعتذرون لى .

● لقد نجح قومى فى كرة القدم الامريكية ، وتفوقوا وبرزوا . وهى توفر لنا الفرصة الوحيدة لرفع هراوة فى وجه الرجل الابيض دون ان يكون ذلك فاتحة للشغب العنصرى .

● قال فى احد نوادى «بلاى بوى» وقد اكتظ باهل الجنوب :

(طاب مساؤكم . يسرنى ان ارى نخبة ممتازة من اهل الجنوب تؤم نادينا الليلة ، ومن محاسن الصدف اننى اعرف الكثير عن الجنوب ، فقد قضيت عشرين عاما به ذات ليلة .

● تلك الاغنية المخربة : ان كل محلات بيع الاسطوانات تعزفها (اننى احلم بعيد ميلاد ابيض) . ومن المحزن ان ابنتى الصغيرة لا تؤمن بسانتا كلاوس وحتى فى سن الثانية تعلم جيدا انه ما من رجل ابيض ياتى الى حينا بعد منتصف الليل . فلنكن امناء : كم منكم راى سانتا كلاوس اسود ؟ انه ابيض حتى ان يخرج من الدخنة .

وكان ينبغى ان يسود من اثر الهباب .

● عن امريكا :

اليست هى اروع بلاد الارض ؟ اين كنت ساضطر الى الركوب فى مؤخرة الباص ؟ واخير فى دخول اسوا المدارس ، واتناول وجباتى فى اردا المطاعم ، واسكن فى اسوا الاحياء ، وذلك اتقاضى ٥٠٠ دولار فى الاسبوع لاحكى لكم كل هذا .

● وفقا لعقد عملى فاننى احصل على خمسين دولارا من الادارة فى كل مرة يعيرنى احد الناس بسوادى . ارجوكم ان تكرروا ذلك ليقف جميع الحاضرين ويقذفونى بكلمة «اسود» .. لأتقاعد غدا عن العمل !

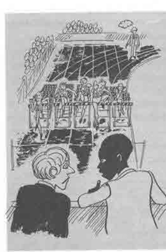
● إن مارتن لوثر كينج هو الشخصية المشهورة الوحيدة التى اعطت بصمات اكثر مما اعطت اوتجرافات .

لانجستون هيوز
(١٩٠٢ ـ ١٩٦٧)
شاعر

● ما أقوى الدم الأسود . إن مجرد نقطة واحدة منه تجعل المرء ملونا . نقطة واحدة وتصبح زنجيا . يا لقوة اللون الأسود !

● اقسم بالله العظيم اننى لا افهم لماذا تشمل الديمقراطية كل شخص إلا انا .

● إن من اشق ما يتكبده المرء لكونه من اقلية عرقية هو ان كثيرين من طيبي القلوب وحسني النية يتجمعون حولك لمساعدتك . وعادة ما لا يستطيعون تقديم اى عون غير رفقتهم التى غالبا ما تكون مملة بشكل مميت .



«والآن وبعد ان كسروا حاجز الاربع دقائق فى سباق الميل ، وحاجز السبعة عشر قدما فى القفز بالعمود .. سيكسرون حاجز اللون » !

جورج جاكسون
(١٩٤٢ ـ ١٩٧١)

● من خطاب الى صديق :

(فى السبعينات من القرن الثامن عشر شاء الأوروبيون الموجودون فى امريكا الاستقلال عن الأوروبيين فى انجلترا . فاسموا ذلك حرب التحرير . والآن نحاول نحن السود فى الولايات المتحدة ان نتخلص من هؤلاء الأوروبيين .. وقد اسموا ذلك تخريبا وعدم مسئولية .

● من خطاب الى محرر :

(فى الصباح الذى كان مقررا ان يطلق سراح هذا الأسود ذهبت اليه فى زنزانته ومعى بعض الملايات ، وطلبت منه ان يساعدنى على الهرب ، فصرفنى بواحدة من تلك النظرات وبهزة من يده . فاخذت امزق الملاءات ، وعندما فرغت من ذلك سالنى عما سافعله بها فاجبته : (امزقها لاصنع منها حبلا) وسالنى مرة اخرى : وماذا تنوى ان تفعل بالحبل ؟) فقلت : (اقيدك به) وفعلت . وعندما نادوا عليه ليطلقوا سراحه ذهبت بدلا عنه . لقد تعلمت حقيقة مهمة للغاية بالنسبة لنضالنا هنا فى الولايات المتحدة :

إن السود كلهم فى نظر نوع معين من البيض سواء .

مارتن لوثر كينج
(١٩٢٩ ـ ١٩٦٨)

● اريد ان اكون اخا للرجل الابيض .. لا اخا لزوجته .

● إن الظلم فى اى مكان هو تهديد للعدالة فى كل مكان .

● إننى أرفض الفكرة الجهنمية التى تقول باننا امة بعد امة يجب ان نتهاوى اسفل السلم الحلزونى العسكرى الذى يفضى الى جحيم الدمار النووى .

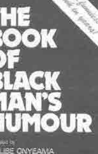
جوليوس ليستر
مؤلف

● قال منتقدا الرئيس الامريكى جونسون على دوره وموقفه تجاه احداث الشغب الزنجى عام ١٩٦٧ :

(لقد كان رد فعل الرئيس جونسون مطابقا



كيف يضحك الرجل الأسود؟




ابراهام لنكولن



عيدى امين

لكونه رجلا ابيض ، فقد كون لجنة لتقصى الانتفاضات ، وانفق فى ذلك مالا كثيرا للوقوف على حقيقة كان يمكنه ان يعرفها بسؤال اى اسود نائم فوق كنبة امام البيت الابيض » .

● عن حوادث الشغب فى صيف ١٩٦٧ :

(لئن نجح شيء فى إيقاظ الرجل الابيض فهو صيف ١٩٦٧ . استيقظ الرجل الأبيض .. يقظة لم يستفد منها . فقد كرر صراخه عن النهب والعنف مما جعل السود يدركون انه يهتم بممتلكاته اكثر من اهتمامه بهم » .

مالكوم اكس
(١٩٢٥ ـ ١٩٦٥)

● لقد ظل الاسود فى هذه البلاد يجلس فوق مقعد ساخن قرابة ٤٠٠ عام . ومهما حاول غاسلو الادمغة ومغسولو الادمغة ان يعينوه على النهوض والتقدم ، فان ذلك سيظل ابدا غاية فى البطء بالنسبة لرجل ظلت مؤخرته تحترق بذلك الموقد .

● ذات مرة وانا اقوم بعملي ، انتصب امامي جندي ابيض غليظ الوجه ، احمره لا يكاد يقوى على الوقوف من فرط سكره . كان يترنح ويصرخ : سالاكمك ايها العبد الاسود . وضحكت واجبته : مالطبع الاكمك . ولكنك مثقل بالملابس . كان يرتدي معطفا عسكريا ثقيلا . فخلعه . واصلت ضحكي وكررت ما قلت . وهكذا استمر المعتوه فى خلع ملابسه حتى لم يبق منها إلا ما يستر عورته فاتى جند اخرون اخذوه بعيدا عن الطريق وضحك المتفرجون .

ادم كليتون باول
عضو مجلس الشيوخ
وقس

● حذار من اغريقي (يوناني) يحمل هدايا ، وملون يبحث عن سلفة ، ومن البيض الذين يفهمون الزنوج .

جون تشيكاى
موسيقي جاز

● سمعت زنوجا يتحدثون عن موسيقى سوداء . ليس للموسيقى اى لون ، ولا يمكن لاحد ان يراها . فكيف يمكننا ان نطلق عليها اى لون ؟

بوكر واشنطون
(١٨٥٦ ـ ١٩١٥)
مؤلف

● إن مجرد الصلة بمن عرفوا بانهم الجنس الاكثر تفوقا لا يمكن ان يقدم الفرد الى الأبد الم يكن له قيمة فى حد ذاته .

● عن العبودية :

لا يمكن لاى جنس ان يتقدم ويرقى اذا لم يتعلم ان فلاحة الأرض لها نفس كرامة كتابة القصيد .

ملاحظات من بعض البيض

ابراهام لنكولن
(١٨٠٩ ـ ١٨٦٥)

● (رئيس الولايات المتحدة إبان الحرب الاهلية)

● كلما سمعت شخصا يجادل فى مسالة الرق طغى بى شعور عارم لان اراه هو نفسه مسترقا كيما يجرب الامر بنفسه .

ماكنيل ديكسون
(١٨٦٤ ـ ١٩٤٦)
روائي ومسرحي امريكي

(روائى ومسرحى امريكى)

● كان انجح تجار الرقيق المتمركزين فى ليفربول هو السير جون هوكنز ، وقد اختطف ٧٥ الف افريقي من اوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التى نقل بها الرقيق هو «المسيح» !

هنرى لويس منكين
(١٨٨٠ ـ ١٩٥٦)

(كاتب امريكي) .

● « انني ضد الرق لانني ، ببساطة ، لا احب الرقيق .

برنارد شو
(١٨٥٦ ـ ١٩٥٠)
(مسرحي ايرلندى)

● « لا تنسوا ان اسودين لا يكونان ابيضا .

● زار امريكي اسود مدينة لندن ، فدهش كثيرا حينما ساله احد الانجليز إن كان محافظا . فاجابه : « كيف للسود فى امريكا ان يكونوا محافظين ؟ وماذا لديهم ليحافظوا عليه على اية حال ؟ » .

السود فى بريطانيا يضحكون

سامى توماس
هزلي انجليزى

● كنت اعمل في مناجم الفحم ، فطردوني من العمل لانهم فشلوا فى البحث عني داخل المنجم .

● توفى زنجى ، ولقيه القديس بيتر قائلا : « اننا لا نسمح فى العادة بدخول الملونين الا إذا قاموا بعمل خارق فى حياتهم » فاجابه الأسود : « اننى أشجع من مشى على الأرض : فقد تزوجت امراة بيضاء فى كنيسة للبيض فى آلاباما بجنوب الولايات المتحدة ، حيث كان بين المصلين خمسون من اعضاء جمعية الكلوكلوكس كلان ، فانفجر بيتر قائلا : « عظيم ! مذهل ! ومتى كان ذلك ؟ » فاجابه الأســود : « قبــل دقيقتين » .

جوس وايت
كوميدى من ليفربول

● المستر اينوك باول (الســياسى اليمينى المحافظ الذى يريد طرد السود من بريطانيا) لا يرغب فى دخـول الجنة عندما يموت .. خوفا من أن يضطر إلى ترتيل اغانى الزنوج الروحية .

● اننى احب ان اســعد الملونين : فانتم معشر البيض لكم شعر اشقر وعيون زرقاء وخدود وردية ، ومع ذلك تقولون عنــا ملونين .

● شوهد اينوك باول وهو ينوح فى قمــة صخرة . فساله بعضهم : « لم تبكى ؟ » فاجاب « رأيت حافلة محملة بباكستانيين تهوى أسفل الهضبة » فقال الآخر : « ولذلك تبكى ؟ » فقال السيد باول : « لأن مقعدين بها كانا شاغرين » .

شارلى وليامز
ممثل هزلى

● سعى اينوك باول « البريطانى المحافظ الذى ينادى بطرد السود من بريطانيا » إلى مقابلة رئيس الحكومة البريطانية . وفى المقابلة قال : « لى طلب واحد .. وهو ان تحضر ٣٠٠ باكستانى لتسوية قبرى بارجلهم عندما اموت » فاستغرب رئيس الوزراء ذلك وساله : انت واثق مما تقول ؟ » فقال السيد باول : « جد واثق . وفى الواقع اريد ٤٠٠ باكستانى إن تمكنت من جمع ذلك العدد » وقال آخر : « لك ما تريد . ولكن اين تريد ان تدفن ؟ » فقال باول : « فى قــاع البحر » .

● ذهب باكستانى قليل الحجم يبحث عن عمل فى شركة للبناء . ولكن احد رفاقه اخبره انهم لايستخدمون سوى الايرلنديين ، وعندما ساله رئيس العمال عن اسمه اجاب « باتريك فينيغان يا سيدى » . فطلب منه ان يباشر عمله يوم الاثنين . شكره الباكستانى ومضى مزهوا بما انجز. لحظتها صاح به



هو يكره إلا أن يرى السود من عل

رئيس العمال : « ولكن قبل ان تبدأ العمل معنا ، اغسل ذلك الوجه » .

● مثل باكستانى امام المستر اينوك باول (اليمينى المحافظ الذى يريد طرد الملونين من بريطانيا) . وكان ذلك فى إحدى المحاكم . فقال اينوك : « انت متهم بركوب دراجة بلا انوار ، وقد وجدتك مذنبا ، وعليك دفع غرامة قدرها ٧٠ جنيها » . فقال الباكستانى : « سبعون جنيها لركوب دراجة بلا انوار ؟ » فزجره اينوك باول قائلا : « بلى . ولو كان الوقت ليلا لحكمت عليك بغرامة قدرها ٢٠٠ جنيه » .

● قام فريق للمسح التليفزيونى بزيارات منزلية لمعرفة احب القنوات والبرامج البريطانية لدى المشاهدين . وعندما وصلوا بيت احد الآسيويين ، شرحوا له مرادهم ، ورجوه ان يتفضل بمساعدتهم بالمعلومات المطلوبة . وبعد تامل قال : « حوالى عشرة اشخاص فى هذه الحجرة يشاهدون القناة الأولى ، وعشرون فى تلك يشاهدون التليفزيون التجارى ولكننى لا أدرى ما شاهده ساكنو الطابق الأعلى من البيت » .

● صعق دبلوماسى صينى وارتعب عندما بلغ منزل صديقه الانجليزى تلبية لدعوة للغداء وذلك عندما كشر كلب ضخم عن انيابه واخذ ينبحه . وتراجع مسرعا عن البيت . فخرج إليه صديقه الانجليزى واعتذر عن تصرف كلبه ، وقال يمازحه : عندنا مثل انجليزى قديم يقول : كلب يكثر النباح لا يعض » فاغضب ذلك الصينى ، فانفجر قائلا : « انا اعرف ذلك المثل ، وانت تعرفه ، ولكن هل يعرف الكلب مثلكم ؟ » .

● شب حريق فى احد الفنادق . فلاذ شاب اسود بالشرفة ، تنوشه السنة اللهيب وظلت فرقة الانقاذ تستجديه ان يقفز ، وهو على رفضه ثابت ، قائلا : « لا اثق بكم ايها البيض . انكم ستسحبون الشبكة وقتما اقفز » . وبعد ان طمانوه ان ذلك لن يحدث اجاب : « لن تخدعونى . ضعوا الشبكة ارضا اولا .. وبعدها ساقفز » .

● قال ابيض لأسود من القوة السوداء : « لم لا نصبح اصدقاء ؟ إننى متعاطف مع قضيتكم » فقاده الأسود الى النافذة وطلب منه ان يخبره بما يرى . فقال الابيض « أرى جمعاً من الناس » ثم قاده الأسود الى مراة وطلب منه ان يخبره ماذا يرى . فقال الابيض : « أرى نفسى » . فقال الأســود : « وذلك ما يجعل صداقتنا فى حــكم المستحيل » .

والأفارقة أيضاً يضحكون

عيــدى أمين

قال معلقا على الحــرب فى الشرق الأوسط :

● ان انتصار العرب فى الحرب ضــــد اسرائيل امر حتمى . ولم يبق امام رئيسة وزراء اسرائيل سوى ان تربط سراويلها وتفر باتجاه نيويورك وواشنطون .

● عندما اعلن ان الاسيويين اليوغنديين المطرودين من يوغندا قد خربوا اقتصاد بلاده :

لقد ظل الاسيويون على الدوام يريدون تحصيل اكبر قدر ممكن من الارباح بادنى استثمار ممكن . لقد حلبوا البقرة ، ولكنهم لم يطعموها لتدر المزيد من اللبن (الحليب) .

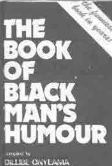
● عن عدوه الرئيس التنزانى نيريرى الذى رفض ان يعترف به ، وانتقد سياسته الخاصة بالآسيويين :

اود ان أؤكد لك اننى احبك كثيراً ، ولو كنت امراة لفكرت فى الاقتران بك ، بالرغم من امتلاء راسك بالشيب .

● وعن السياسيين قال :



كيف يضحك الرجل الأسود؟




ابيل موزريوا


كوامي نكروما

يجدر بك الا تكون مثل بعض السياسيين الأغبياء الذين يحدثون اضرارا مادية جسيمة وخسائر فى أرواح الناس ، ولكن عندما يحين وقت معالجة المشكلة لمعرفة حقيقة الامور يدعون المرض ويغطون انفسهم بعشرين بطانية .

● وعن تقديم تعويضات لبريطانيا :

لن ابحث الأمر مع اى ضابط بريطاني صغير الرتبة لانني الرجل الاول فى يوغندا فان ارادت بريطانيا ان تمنح اية تعويضات لشركاتها التى اممت على اثر الحرب الاقتصادية ، فان على رئيس وزراء بريطانيا او ملكة بريطانيا الحضور شخصيا الى يوغندا ، لأن الحرب الاقتصادية قد اعلنت فى يوغندا لا فى بريطانيا .

● وعن صندوق انقاذ بريطانيا :

« ان الهدف من هذا الصندوق هو انقاذ ومعونة سادتنا الاستعماريين السابقين من الكارثة الاقتصادية » .

سالامي كوكر

ممثل سيراليوني

ما اطيب السواد ، انك تستطيع الاعتماد على البشرة السوداء . انظرني : يهطل الجليد واظل اسود البشرة ، تشرق الشمس فلا يتغير لوني ، وعندما احس بالذنب لشىء جنته يداى ، يثبت لوني ، واموت اسود . ولكن انظر البيض ـ لونهم يصبح ورديا بفعل الثلج ، وتحرقه الشمس فيتقلب بنيا ، وعندما يشعر احدهم بالذنب يحمر وجهه ، ويتحول لونهم الى الازرق عندما يموتون .

أوبي ايقبونا

كاتب من نيجيريا

● إسمي المسجل فى جواز السفر هو اوبي ايقبونا ، ولكن ذلك مجرد تزوير : لأن اسمي الحقيقى فى جنوب افريقيا هو « بانتو » ، وفى استراليا « ابورجيني » وفى أمريكا « زنجى » وفى نيكسونفيل « وسخ » وفى بريطانيا « بيكانيني الضاحك » .

● يقال لكل طفل يولد فى افريقيا انه لا يقوى على التفكير حتى يدخل المدرسة الابتدائية ، فيتخرج منها بشهادة ليقال له مرة اخرى انه لا يحسن التفكير حتى يدخل الثانوية ، وبعدها يخبر بانه لن يفكر حتى يكمل الجامعة ويحصل على شهادة اوروبية . ولكن ما ان يستلم شهادته الجامعية ويعود الى افريقيا حتى يجد نفسه مشغولا بجمع المال ، فلا يجد وقتا للتفكير . والنتيجة هى انه يضيع حياته دون ان يفكر مرة واحدة فقد تعود ان يفكر له الآخرون حتى جهل كيف يستخدم فكره ، واصبح عقله بمرور الزمان منكمشا بفضل عدم الاستخدام . فان قابله افريقى اخر يقوم باى عملية تفكير فانه يتهمه بالجنون !

● أهيب بقومى ان يكبروا ويقلعوا عن تقليد اوروبا كالقردة . ان ارتداء القبعة البريطانية الرسمية السوداء فى احراش افريقيا وحرارة طقسها لا يعكس خيرا فى عقليتنا او اقتصادنا .

سامي أوقن

من خطباء هايدبارك

● انتم معشر الانجليز دهاة . نبيعكم كاكاو بلادنا فتحضرونه الى انجلترا ، وتضعونه فى علبة وتكتبون عليه : صنع فى انجلترا .

● عندما تنافس السود والبيض فى اراضي المكسيك العالية الارتفاع فى اولمبياد مكسيكو ، كان السود حين يبلغون خط النهاية يبتسمون ويرفعون ايديهم .. فتقدم لهم الميداليات الذهبية . أما البيض فكانوا يتهاوون ويغمى عليهم . وماذا قدم لهم ؟ الاوكسجين !

● لمشاغب ايرلندى ساله عن المكان الذى جاء منه ، قال : « من الأشجار . وقد هبطت هذا الصباح » .

* * *

● فاز أفريقى من الادغال بجائزة هى عبارة عن رحلة مجانية الى انجلترا ، بصحبة زوجته . وفى احد الفنادق الفاخرة بلندن استيقظ الرجل عند منتصف الليل عطشا فطلب الى زوجته ان تسقيه . وبعد ساعة أخرى اشتد به الظما فايقظه . واحضرت له زوجه المطيعة ماء . وفى المرة الثالثة تاخرت الزوجة فى احضار الماء . وكانت مضطربة قلقة فارغة اليدين حين اتت . فسالها زوجها «ماذا جرى ؟ اين الماء ؟» فاجابته : «وجدت رجلا ابيض جالسا فوق البئر» .

* * *

● فتح افريقى من اكلة لحوم البشر مطعما فى قلب الادغال ، ووضع قائمة الأسعار التالية :

اسكوتلندي مشوى ٥٠ بنسا .
انجليزى مشوى ٥٠ بنسا .
ايرلندى مشوى ٥٠ بنسا .
هيبي مشوى واحد جنيه (١٠٠ بنس) .
فساله زبون قرا القائمة : « ولماذا رفعت

سعر الهيبي هكذا ؟ » فاجابه صاحب المطعم هل حاولت ان تنظف واحدا منهم من قبل ؟ » إن جهد التنظيف يرفع السعر .

● قال شاب افريقي لصديقه الأبيض : « سأذهب لمشاهدة برنامجي المفضل – القرود » . فقال صديقه : « وما الداعي لمشاهدة التليفزيون ؟ لم لا تشاهده في المرآة ؟ » .

* * *

حاول انجليزي مغتر بنفسه ان يترك انطباعا باهمية اسلافه في خلد نظيره الافريقي ، فقال : « كان ابن عم ابي لوقا » فقال الافريقي في هدوء : « كان ابي ملكا في قبيلته » . فاغتاظ الانجليزي وصمم على اقناع الافريقي بتفوقه عليه فقال : « كان جدي تاجرا للرقيق ، وقد باع الاف الافارقة لجزر الهند الغربية » . فقال الافريقي بطريقة عابرة : « يا للصدف . لقد باع جدي الاكبر الاف الارقاء الى الانجليز » .

* * *

● في احدى القرى الافريقية جلس افريقي يحادث قريبا له تلقى تعليما انجليزيا . وكان هذا يحدثه عن التحيز العنصري لدى البيض ضد الملونين . فقال الآخر غير مصدق : « ولكن كيف يزعمون انهم يكرهون اللون الاسود وقد رايتهم بام عيني يستلقون على طول شواطئنا يحاولون اكتساب اشد سمرة ممكنة لجلودهم ؟ » .

* * *

● سأل ايرلندي احد الافارقة من اكلة لحوم البشر : « لماذا تستبعد الايرلنديين من قائمتك » فرد الافريقي : « لانه حين حاولنا اخر مرة ان نطبخه في القدر ، إلتهم كل البطاطا » .

* * *

● سأل امريكي اسود زميلا له : « ماذا تفعل ان استلمت خطابا من الكوكلوكسلان يطلب منك فيه مغادرة المدينة ؟ » فقال الآخر : « سأقرأه في القطار » .

● طلب احد السود من الجرسون ان يحضر له فنجانا من القهوة . فساله الجرسون : « سوداء أم بيضاء يا سيدي ؟ » فقال الأسود : « اادخلتم تحيزكم العرقي في القهوة ايضا ؟ » .

* * *

● سأل المدرس طفلا ابيض عن مكان وموقع افريقيا ، فقال الطفل : « لا ادري ، ولكنها لا يمكن ان تكون بعيدة من هنا ، لان سامبو يذهب لتناول وجباته في بيتهم » .

الزعيم القبلي لوبنقولا

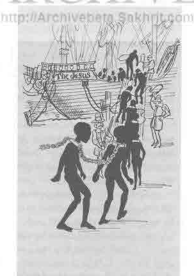
كان « لوبنقولا » حاكما قبليا في الكونغو إبان الاستعمار ، والاوربيون وقتها يتدافعون لاقتسام افريقيا ويحاصرون قبائلها .. ويجردونهم من سلطاتهم . وقد اسر الزعيم لوبنقولا بشعوره لاحد المبشرين اللندنيين قائلا :

● « هل ابدا رايت حرباء تصطاد ذبابة ؟ ان الحرباء تظل ساكنة وراء الذبابة ، ثم تتقدم في بطء ونعومة ، واضعة قدما .. ثم اخرى . وعندما تدنو بما يكفي لاصطياد الذبابة ، تقذف لسانها ، فتختفي الذبابة . والحرباء هي انجلترا ، وانا تلك الذبابة » .

اونيا نجو كيرا

مواطن كيني

قال معلقا على قدرات العراف الافريقي المعروف لدى البيض بالطبيب الدجال :
(حتى اكاذيب العراف الافريقي نفسها تدخل الراحة والسكينة في نفوس المرضى) .



كان انجح تجار الرقيق في ليفربول هو السير جون هاكنز . وقد إختطف ٧٥ الف افريقي من اوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التي تقلهم بها هو « المسيح » .

فيكتور كويسي

طالب غاني

● الله هو واهب العافية ، لكننا نحمد الطبيب الدجال .

كريدو موتوا

عراف من قبيلة الزولو

● يزعمون ان ديانة البانتو وثنية . ولكن من هو الأقرب الى الله ؟ انسان يعيش في مدينة كبرى ولا شاغل له سوى جمع المزيد من المال ؟ ام ذلك الذي يحيا قريبا من الارض التي خلق الله ، وان كان فقيرا وجاهلا ؟ .

● منذ اكثر من اربعين عاما وانا احتفظ بكتاب عن افريقيا بعنوان : « بلادنا » الفه كاتب إنجليزي يدعى هيو براين ، ومن الفقرات المميزة فيه هذا المقطع :

« سميت افريقيا قارة لاننا لا نعرف سوى النذر اليسير عنها . وتوجد في روديسيا ابنية ضخمة متهدمة لا يمكن ان تكون من صنع الناس السود ، ولكن ما من احد يعرف الناس البيض الذين بنوها » .

وهذا المؤلف لم يبر افريقيا في حياته .. ومع ذلك يسمى كتابه « بلادنا » .

الأب أبيل موزوريوا

رئيس المجلس الوطني الافريقي

● قال رداً على هجوم وزير العدل والامن الروديسي الأبيض الموجه إلى رجال الدين الذين يمارسون السياسة :

« ان المسيح نفسه لو جاء الى روديسيا ليعلم الناس كيف يكون الحب مخلصا لله ولجيرتهم لوصمه السياسيون بانه يتدخل في المسائل السياسية » .

كوامي نكروما

(١٩٠٤ – ١٩٧٢)

(الرئيس الغاني الراحل)

● كان رده كلما تلقى دعوة لحضور حفل كوكتيل في غانا إبان رئاسته :

« لا غرابة في عدم استطاعتنا توحيد افريقيا ، انكم جميعا تعتبرون الاستقلال مجرد حفل كوكتيل واحد مستمر » .

قصة بقلم : عباس خضر

المضروب

اسمي محمود . كنت موظفا في مصلحة السكك الحديدية وأحلت على التقاعد لبلوغ السن القانونية (٦٠ سنة) وأسكن فى هذا الحى من القاهرة مع زوجتى وابنتى الطالبة بالجامعة .

لست سعيداً ، انا مسكين .. نحيف قصير القامة ، اتوكا على عصا اتمنى ان اضرب زوجتى .. ولكنى لا استطيع .. اخشى باسها ، قوية البنيان ، سليطة اللسان ، بل هى التى تضربنى ! وقد تعلمت منها البنت ،هل سمعت ان ابنة تضرب اباها.الزوجة نعم تفعل ، وكثير من الزوجات يضربن أزواجهن ، ولكن البنت التى تكون عادة حنونة رقيقة ومؤدبة ، وخاصة اذا كانت مثل ابنتى طالبة فى الجامعة ـ لكن هذه البنت تضربنى مثل امها ، وإن كانت الأم شرسة تضربنى بالنعل ـ ولا مؤاخذة ـ والابنة تكرمنى فلا تضربنى به ، بل تمد يدها على .. واعفنى من التفصيل ، فهو شىء مخجل وفظيع ، وان كنت قد تعودته .. إنها تستعمل معى أخف حركات (الكاراتيه) تلك اللعبة التى تعلمتها ، وشجعتها عليها فى أول الامر ، فجاءت على دماغى ..

ولابد انك تسال : لماذا تضربانني .؟ انهما تتهماننى بالبخل ، وما انا إلا حريص على النقود ، لا احب أن تضيع فيما لا فائدة فيه او ما يمكن الاستغناء عنه ، اليس التدبير نصف المعيشة .؟

ـ ولكن ليس معنى التدبير البخل ، إن معناه حسن التصرف .

هكذا يقول لى صديقى مصطفى الذى يجالسنى فى القهوة ، فاقول له :

ـ اليس حفظ المال والابقاء عليه من حسن التصرف .؟

إن طلبات ابنتى شىء فوق العقل ، فهذا مطلوب لكتب المراجعة ، وهذا لرحلة وهذا للشاى والمشروبات الاخرى فى مقصف الكلية ، غير الفساتين وما إليها .. أليست الكتب موجودة فى مكتبة الجامعة ؟ والرحلة ما لزومها .؟ ومقصف الكلية ومشروباته لماذا .؟ انت ابنتى ، لماذا لم تأخذى عنى .؟ فأنا أقعد فى القهوة ، أفطر وأشرب الشاى بطلب واحد .. اشترى رغيفا بخمسة مليمات وأطلب (واحد شاى) وأكل هذا بهذا .. والصحف اقرؤها مجانا .. فالأستاذ مصطفى يشترى كل يوم واحدة ، وبعد ان يقراها يضعها على المنضدة ، فاقول له وانا اتناولها : عن إذنك .. لم تكن لي طاقة على شرائها وهى بقرش فما بالك وقد اصبحت بثلاثة قروش .؟ ولا ارى سببا يبرر رفع سعرها فهى كبيرة الحجم تبلغ نحو ست عشرة صفحة وربما اكثر يشغلها كلام كثير لا يقرا ، فلو انهم خفضوا عدد الورق لكان ذلك احسن ، ففيه اقتصاد جزء من ثمن الورق واستغناء عن بعض المحررين ، الذين يحررون ، تلك الصفحات ويبحثون لهم عن عمل اخر .. وبذلك تنخفض تكاليفها فينخفض سعرها .

اليس ذلك ، اى عدم شراء الصحيفة وقراءتها بالمجان ، من حسن التصرف.؟ اذا سمى هذا بخلا فياحبذا البخل !

البنت تعلمت لعبة « الكراتيه » فى الجامعة ، وهى تجرب فى ما تتعلمه لكى تحصل منى على ما تطلب من نقود .. مثل امها التى تجيد لعبة قديمة هى لعبة « الشبشب ! » وكل ذلك يقع فوق راسى .. وينتزع النقود من جيبى !

عندما احكى ذلك لجليسى فى القهوة الأستاذ مصطفى الذى صار صديقى ، يستغرب ويقول :

ـ إبنتك تضربك .. وطالبة فى الجامعة !

ثم يقول بعد التعجب :

ـ الم تكن تضربها وهى صغيرة .؟

ـ انا يا أستاذ لم أضربها قط ، وكيف افعل فافقدها شخصيتها !

وقال وهو يخفض صوته كانه يحدث نفسه :

ـ آثرت إذن أن تفقدك هى شخصيتك !

نظرت اليه وسكت .. كان فى نظرى وسكوتى معنى العتاب ، كيف يقول هذا.؟

● ● ●

اليوم خرجت من المنزل ، فشعرت بالارتياح ، وانتعشت نفسى وانا اشم هواء الشارع ، كسجين افرج عنه .. كانى كنت سجينا فى الشقة ، لا اسمع فيها إلا صوت زوجتى كفحيح الافعى .. على عكس ما كان فى زمن مضى ، كم رققت صوتها وهى تخاطبنى ، ثم هى الآن تغلظه وهى تخاشننى ، لا تجد عندى ما كانت تحبه وهى ترقق لى صوتها ..

جعلت أدب فى الشارع مستعينا بعصاى التى اتوكا عليها ، حتى بلغت القهوة ، ليس امامى فى الحى ما اقضى فيه الوقت غير هذه القهوة برغم « قلة ذوق » العاملين فيها ، رحم الله اياما كان النادل فيها « خواجة » ينتزع « البقشيش » من الواحد بحسن ذوقه وخدمته وجميل كلامه وإن كان مكسرا .. ولكن هؤلاء لهم ميزة ، هى انهم لا يستحقون « بقشيشا » فلا ادفع



لهم إلا اربعة قروش المقررة على كوب الشاى ، وكان من قبل بثلاثة قروش فرفعه صاحب القهوة الاستغلالى الى اربعة قروش ، وهو لا يتكلف اكثر من قرش ، فالحكومة تصرف لهم « حصة » من شاى التموين بثمن زهيد ، منهم لله !

ها هو ذا صاحبى محمود جالس على الرصيف أمام القهوة ، إنه مثلى دائما هنا وإن كنا نشكو من القهوة والعاملين فيها ومن يجلسون بها ، وهم أخلاط من الناس ، فيهم عمال وباعة و « سماسرة » بيوت وغير بيوت .. وهؤلاء ينفقون عن سعة مما لا يتاتى للموظفين وأمثالهم من محدودى الدخل ..

• • •

ساله الصديق مصطفى عن الحال فقال انه « زفت ! » .

– لماذا يا سيد محمود ؟

– الواحد لا يعرف من اين تاتيه المصائب ومن اين ؟ زوجتى وابنتى أو من موظفى المعاشات ؟

وحكى له قضيته فى « المعاشات » التى حكاها له قبل ذلك عشرات المرات .. وهى تتلخص فى انه يستحق فرقا بين ما يصرف له وبين ما يستحق ، وقد رفع هذه القضية الى المحكمة يطالب بهذا الفرق ، فحكمت المحكمة فى صالحه ، ولكن الموظفين يتلكاون فى تنفيذ الحكم . ويعلل هذا التلكؤ بانهم يريدون « شيئا » وهو لن يعطيهم شيئا ، اليس ذلك حقه ؟ فلابد ان يؤدوه برغم انوفهم .

– قلت لهم : يا عالم .. انا كنت موظفا مثلكم ، وانتم ستكبرون وتتقاعدون مثلى .. اتقوا الله .

قال ذلك ، ثم ازدرد اخر لقمة من الرغيف مع إخر جرعة من الشاى ومسح فمه بمنديله ، وطوى المنديل بعناية ووضعه فى جيبه .

وتناول الصحيفة اليومية من على المنضدة وهو يقول لصاحبه : عن اذنك . واخذ يقرا ، وما لبث ان قال :

– انظر .. إنهم سيزيدون المرتبات ولا تكن للمعاشات .. كان صاحب المعاش لا يشترى الاشياء غالية كما يشتريها الاخرون . ما ينوبنا إلا الغلاء الذى سيترتب على رفع المرتبات ..

قال ذلك وهو يحمد الله فى سره على انه لايشترى الاشياء الغالية إلا إذا اضطر لذلك اضطرارا ، فغلاء الفاكهة مثلا يوفر عليه ثمنها .. ويقول فى نفسه :

انا والحمد لله لا اشتهى ما غلا ثمنه ، ويقولون اننى احرم نفسى .. وكيف يكون حرمانا ان امتنع عما لا اشتهيه . مادمت املك ثمن الشىء فانى لا اشتهيه ، وربما اشتهيه إن لم يكن معى ثمنه ..

اللحم مثلا .. هل مات النباتيون ؟ لماذا اذهب إلى الجزار واتحمل جشعه ، وادفع له الثمن الفاحش كما يفعل المغفلون .. فنعينه على بناء عمارة جديدة .. ؟ لا اكلت لحما ، ولا بنى هو عمارة .. اليس فى البقول ما يغنى عن اللحم ؟ ليت الحكومة تدعم الفول المدمس كما تدعم رغيف الخبز إذن لما غلا هو ايضا كبقية الاشياء .

لولا زوجتى وابنتى لكنت من الاغنياء إنهما تبذران تبذيراً . هذه البنت المسرفة تطالبنى بثمن مشروباتها فى مقصف الكلية وتقول ان زجاجة المياه الغازية صارت بخمسة عشر قرشا .. ولماذا تشربها وشربة الماء العادية المجانيةتغنى عنها ؟ بالله ماذا تتكلف هذه الزجاجة حتى تباع بهذا الثمن ؟ إن كثيرا من المنتجين والتجار يثرون ثراء فاحشا على حساب المشترين المغفلين ..

• • •

لم يعد فى طاقتى احتمال هذه الحياة .. يمكن ان احتمل الضرب ، فقد تعودت عليه .. اما الذى لا يمكن احتماله فهو المطالبة بالنقود وتبذيرها فيما يساوى وما لا يساوى .. هل انا قاعد على بنك .. حتى البي كل هذه الطلبات التى لا تنتهي ؟ امس بات عندنا ضيوف من قريتها : قرية زوجتى ، وهم يستاجرون ارضا زراعية لها هناك ، ويربون بعض الماشية لحسابها . فى الصباح المبكر غادرت المنزل قبل أن يستيقظوا ويستعدوا للافطار ، خرجت مبكرا قبل ان تقول لى زوجتى : انزل هات لنا كذا وكذا : فلتتصرف هى ولتدفع من مالها الذى يحملونه اليها . كفانى « البراغيث » التى حملوها معهم فى ثيابهم وامتعتهم والتى لم تدعنى انام الليل ..

الا يمكن ان اعيش بنقودى موفورة بعيدا عنها ؟ إننى شخصيا لا اتكلف شيئا يذكر ، وعما قليل اخذ المبلغ المتجمد لي كما وعدنى الموظف المختص بالمعاشات ، وقد تمتد يدها الى جيبى فتاخذه منى او تاخذ بعضه وتقول لى : كفاك هذا ..

ولكن الى اين اذهب وأين تقيم يا واد

المضروب

يا محمود ..؟ اظن انى قلت لك إن اسمى محمود .. فندق المشهد الحسينى المجاور لمسجد سيدنا الحسين رخيص ولا باس به وهناك تكون يا واد يا محمود فى رحـــاب الحسين رضى الله عنه ، وكل شيء رخيص فى حى الحسين بالنسبة للأحياء الأخرى ، وكوب الشاى فى اية قهوة هناك بثلاثة قروش فقط ..

لن يصعب علي إلا فراق ابنتى ، مهما كان الأمر فهى ابنتى ، وضربها إياى قد يكون له مسوغ .. من حيث هو وسيلة للحصول على ما تطلب . وإنى لاعجب من سخرية الأستاذ مصطفى إذ يقول لي : ابنتك تضربك .؟ وطالبة فى الجامعة .؟ وأنت لم تضربها حتى لا تفقد شخصيتها وهى التى افقدتك شخصيتك ! وماذا فى هذا يا سيد مصطفى .؟!

أما الأستاذ مصطفى فانه يفضـــل ان يصلى الجمعة فى مسجد سيدنا الحسين ، وسنلتقى هناك ، ولابد ان أعزمــه على الشاى فى إحدى القهوات ، وهذا اصعب ما فى الموضوع ! وقد تزيد الصعوبة حتى تبلغ الكارثة .. إن طلب قهوة كما اراه يفعل احيانا .. ففنجان القهوة ثمنه مضاعف لغلاء البن الذى يقال إنه عالمى ، وما لنا نحن وهذا العالمى .؟ وعلى اى حال لن يكون ذلك إلا اول مرة فقط ، وبعدها يدفع هو إن شايا او قهوة او غير ذلك .. هو حر !

• • •

بينما كان الأستاذ مصطفى جالسا على رصيف القهوة كالمعتاد إذ اقبلت عليه فتاة تقول :

– صباح الخير يا عم مصطفى ..

ونظر اليها مدهوشا .. من تكون .؟!

وتابعت هى قائلة :

– الم تر والدى .؟ والدى محمــــود صاحبك . كان يكلمنا عنك .

– آه .. أنت ابنته . اليس كذلك .؟

– بلى ، إنه لم يعد الى البيت منذ ثلاثة ايام ، ولم يترك اى خبر ..

كانت البنية ملهوفة على والدها ، حزينة لاختفائه . نظر اليها مصطفى فراى ملامح صاحبه محمود تبدو عليها ، ولحظ اللهفة فى صوتها وعينيها ، فرق قلبه وقال لها :

– اطمئنى ، اعرف مكانه .

– حقا يا عمى .؟ اين .؟

– هل يمكنك ان تمرى بى غدا فى مثل هذا الوقت .؟

– نعم .

– ساكون فى انتظارك لنذهب اليه .

• • •

قضى محمود ثلاثة ايام فى فندق المشهد الحسينى مؤرقا حزينا ، لم يجد الراحـــة التى توهمها ، فكر فى أمره وأمر ابنتـــه وأسرته التى غادرها ليعيش بعيدا عنها فى راحة كما زعم لنفسه ، وتبين الوهم الكبير الذى دفعه الى هذه الفعلة وندم على ما فعل . ابنته مخطوبة على نية ان يعقد قرانها عقب التخرج ، وهى الآن فى السنة النهائية بالكلية . وكان مما حمله على هجر الأسرة رغبته ان يكون بمنجى من الانفاق على تجهيزها وما يلزم لعرسها .. ولكنه الآن يتمنى أن يكون فى المعمعة ابا العروس . وماذا سيصنع بهذه النقود إن عاش ! وإن مات فما مصيرها .؟

لو مات الآن لم يدر به أحد من اهله ، اين يذهب ماله : نقوده فى البنك والمتجمد له فى المعاشات .؟ كيف تهتدى ابنته الى هذا المال .؟ اليست اولى به .؟ اليست فى حاجة اليه .؟ لو مات الآن لمات كاى كلب .. اى كلب !

إذا كان عجيبا ان تضرب بنت اباها فان الاعجب ان يهرب الأب من ابنته ومما يلزم لهـــا ..

كان يتوهم انه سيعيش على الافطار بالرغيف والشاى ، والغذاء برغيف آخر ، ولا عشاء كما اعتاد .. ولكنه الآن يشتهى طبقا من الخضار واللحم ولا يستطيع ان يجازف بالدخول الى مطعم ويتناول فيه ما يشتهى .. كيف يهون عليه ان يخرج مبلغا لا يعلم قدره إلا الله .. ويدفعه ثمنـــا لذلك ..؟

غفا فهاجمه الكابوس الذى يعاوده ولا يدعه يهنا بنوم ، فيستيقظ فزعا ويجلس حتى لا يعود الى النوم فيعود اليه الكابوس : ماتت ابنته وهو يمشى فى جنازتها حافيا لا يدرى اين ذهب الحذاء .. يصحو ويمسح دموعه .. إذا مات الآن فسيموت كاى كلب .. اى كلب !

ماذا يفعل .؟ يعــــود الى البيت برجليه .. فيعلن بهذا فشل خطته ...؟ ولكن اية خطة هذه .؟ ولم اختطها .؟ لينجو من الضرب أو من الدفع .؟!

لمح ابنته وصديقه مصطفى قادمين عليه فبكى .. واسرع بتجفيف دموعه ومحاولة التجلد .. ولكن ابنته تلقى بنفسها عليه ، وبتلقائية ياخذها بين احضانه وهى تنشج قائلة :

– يا حبيبى يا بابا !

– يا حبيبتى يا ابنتى !

– تعال يا ابى ، عد الينا لن نمد اليك يـدا ..

– لا ، بل مـــدى يا ابنتى ، ولك ما تطلبين ..

دهشت الابنة .. ورات اباها يكفكف دمعة ففتحت حقيبة يدها واخرجت منها منديلا صغيرا جففت به ما على خديها من دموع .

عباس خضر

رحيل العصافير

إلى روح صديقي الشاعر السوداني الراحل محمد المهدي المجذوب

شعر: م . كجراي


الشاعر محمد المهدي المجذوب

تمد على ربوات المدينة انغامنا
غير ان المدينة غانية تتعلم كيف تمد على شرفة القصر
حبل الغسيل

ونسأل كيف ترف البشاشة فوق الصخور
ليورق وجه الزمان البخيل
يزلزلنا السام الدائري
ويقتلنا الزمن الشاعرى
نحب الحياة ولكننا فى كتاب الحياة
زنابق حقل يفاجؤها الموت ،
لا يتذكرها الناس إلا مساء الفجيعة بعد الرحيل
فكل احاسيسنا تتهاوى وتسقط
بخرسها الموت عند احتراق الأصيل
وان الحياة مع الألم الدائري صدى
مثل لون الفجيعة ، مثل اختناق العويل
نموت كموت العصافير فى اول العمر
ميلادنا ومضة البرق ... ثم حضور الفجيعة فى لحظة الاحتراق
نجيء ونمضي كأننا خيول على الأرض تركض
فى حلبات السباق
تغيب المحطات لا يتبقى سوى غسق
يتكثف بين ركام الفصول
تمزق احشاءنا يا لبكر إذا ما تناسى
الفرات خيول المغول
فكيف يرق على ارضنا الحلم والزمن الدائري ظلام وغول
زمان البراءة ولى
وجاء زمان الفجاءة فى بعده العنكبوت يصول
فيا هداة العمر إن الخلود نداء
يجيش باعماقنا ، ظل رؤيا من الساحل القمرى الطويل

دعينا نعانق غانية الحلم
حين تمر على افق المستحيل
دعينا نحلق فوق الفضاء
نجرب قبل مجيء القضاء
حروف انفعالاتنا فى كتاب الرثاء

بقايا نشيج
ترسل من صوت قمرية فوق غاب النخيل

« الكردالة » او « المرتعشة » .. قلادة من الذهب تلتصق بالرقبة وتتدلى منها سلاسل واهداب ..



بقلم : نجلاء العزي

ـ لوح السعد ـ نموذج من الحلى التقليدية التى تزين الرأس وتتدلى منها أشكال هلالية على الجبين



عرف الخليج منذ قديم الزمان بانه حلقة وصل بين الشرق والغرب . فهو نافذة تطل على المحيط الهندى ، وموقعه هذا ادى الى ازدهار التجارة والتبادل الاقتصادى والثقافى بينه وبين البلدان المجاورة ، كما ادى الى نشوء حرف وصناعات مرتبطة بموقع وبيئة بلدان الخليج العربى مما جعل من هذه المنطقة حقلا خصباً لنشوء مختلف الفنون الممتزجة بحضارات مجاورة فكانت النتيجة ان صارت له حضارة ذات ثقافة فريدة مميزة خاصة به أوجدتها البيئة والموقع الذى تشغله .

ولما كانت شبه جزيرة قطر من ضمن بلدان الخليج العربى ، فقد كان المورد الاقتصادى الكبير فيها هو صيد اللؤلؤ وتجارته طوال القرنين الماضيين ونشات فيه حرف وصناعات متعلقة به مثل صناعة السفن وصياغة الذهب والفضة وتجارة اللؤلؤ وصياغته وهى حرف وصناعات كانت موجودة فى هذا البلد منذ القدم لكنها مرت بفترة ركود طويلة نشطت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى بسبب وقوعها على الطريق المؤدى الى الهند اغنى مستعمرات بريطانيا فى ذلك الوقت ، فلكى تؤمن بريطانيا اتصالها بالهند اوجدت وسائط نقل منظمة وسريعة تجوب المياه وتقف على الموانىء فى تلك المنطقة مما ادى الى ازدهار المدن الساحلية فى الخليج العربى . وقد شهدت هذه المنطقة ايضا نشاطا تجاريا ادى الى ازدهار حرف وصناعات معينة مرتبطة بها . كما تطورت فيها بعض الحرف الفنية كصياغة الحلى الذهبية فى المدن الساحلية وانحسرت صياغة الحلى الفضية الى المدن الداخلية واقتصرت على البدو .

الحلي الذهبية القطرية

المجموعات النادرة

هذا وتعتبر الحلي التى يعرضها متحف قطر الوطنى اليوم نموذجاً لكل الحلي الذهبية والفضية ليس فى قطر وحدها وانما فى معظم بلدان الخليج العربى ، وهى منوعة ما بين حلي نسائية ذهبية وفضية وزينة رجالية مكونة من خناجر وسيوف واحزمة ومناطق مطعمة بالذهب والفضة وكذلك هدايا قيمة نفيسة واحجار كريمة ولآلىء طبيعية منوعة مستخرجة من مياه الخليج العربى من مغاصات قطر خاصة وهى قديمة واصيلة اقتناها المتحف بواسطة الشراء أو بالاهداء .

هذا ومن الجدير بالذكر ان المجموعة المعروضة فى متحف قطر الوطنى ليست المجموعة الكاملة لكل انواع الحلي الذهبية والفضية التى كانت سائدة فى المجتمع ، وذلك لتعذر الحصول على الحلي القطرية التقليدية القديمة كلها ، لذلك تعتبر الحلي المعروضة ما هى الا نماذج فقط لكل نوع منها ، ومازال متحف قطر الوطنى جاداً فى الحصول على بقية أنواع الحلي لأنها قطع تراثية قطرية أصيلة ذات علاقة مباشرة بتاريخ وتراث قطر ، كما كان الحصول عليها من الصعوبة بمكان كبير حيث ان معظم هذه القطع القديمة إما بيعت واعيد صهرها وتشكيلها وفق الأشكال الحديثة وبطرق صناعية ، أو لأن أرباب هذه الحرفة قد اندثروا او فى طريقهم الى الزوال بسبب طغيان الميكنة على مختلف اوجه الصناعة والحرف فى شبه جزيرة قطر وذلك لانتاج اسرع يلبى مطالب الحياة ذات الدعائم الاقتصادية الجديدة وبذلك حلت الحلي المستوردة من الدول الأوروبية والحلي المصنعة محليا على غرارها محل الحلي التقليدية القديمة المصنوعة يدويا ، كما حل اللؤلؤ اليابانى الصناعى محل اللؤلؤ الخليجى الطبيعى المستخرج بالغوص .

إن مجموعة الحلي الذهبية المعروضة فى المتحف تعتبر مجموعة نادرة عالية القيمة لجودتها وأصالتها ، نقلها الينا أرباب حرفة صياغة الذهب خلال القرنين الماضيين عن الأصول القديمة المتوارثة من العرب والمسلمين من مختلف الحواضر الاسلامية عبر العصور الأموية والعباسية والفاطمية والأندلسية والعثمانية والصفوية من مشرق العالم الاسلامى الى مغربه فقد جمعت فيها كل مميزات الحلي الاسلامية مع التطور الذى طرا عليها .

أعلى أنواع الذهب

تمتاز الحلي القطرية الذهبية فى انها مصنوعة بآلات وادوات يدوية خاصة بصائغ الذهب القطرى ، وبالرغم من ان الميكنة قد دخلت مختلف أنواع الحرف ، الا انها فى الصياغة لم تؤثر على الحلي الذهبية ولا الفضية من ناحية القيمة الفنية ولو ان القطع المنجزة بواسطة المكائن هى قطع تراثية تقليدية لكنها صارت جامدة تفتقد الى روحية العمل اليدوى كما ان الاشكال والقطع المستوردة غزت السوق مما قلل من انتاج وتداول الحلي الذهبية والفضية المصنوعة بالطرق اليدوية .

ولما كانت الحلي المستوردة المنتجة بواسطة المكائن ذات انتاج اسرع وتسويق افضل لذلك فقد انتشرت وانحسرت الحلي التقليدية ولكن مع ذلك ظلت لها مميزات خاصة وهى كالآتى :

- غنى مادتها
- اصالتها
- المهارة الفنية فى صياغتها يدويا .
- تنوعها . (كثرة اعدادها) .

اما غنى مادتها فانه يعود الى استخدام الذهب فيها وهو ذهب عيار ٢٢ حبة المستخلص من الجنيهات الانجليزية والليرات العثمانية التى كانت العملة المتداولة فى هذه المنطقة كلها ، مما جعل الحصول على المادة الأولية لصياغة الذهب متيسرة وهو اعلى انواع الذهب نسبة فى الحلي العالمية .

هذا وكما ذكرنا فان اصالتها تعود الى ان حرفة الصياغة فى قطر هى حرفة قطرية اصيلة توارثها الابناء عن الآباء فى هذه المنطقة ، وهى فى اصولها تعود الى جذور عربية اسلامية متطورة لاسباب تاريخية واقتصادية وجغرافية مجتمعة فى هذه المنطقة ، مرت بفترة ازدهار هنا بينما انحسرت واندثرت فى معظم ارجاء العالم العربى والاسلامى وبذلك تكون الحلي الذهبية القطرية قد حافظت عليها وطورتها واوصلتها الينا فى يومنا هذا مما جعلها نموذجا حيا للحلي العربية الاسلامية القديمة عامة وللحلي الخليجية بصورة خاصة .

هذا وقد نفذت الحلي بالطرق والآلات اليدوية حيث مر الذهب اولا بمراحل اعداده بواسطة طرقه وتحويله الى صفائح وأسلاك رفيعة تعد للعمل عليها ، ثم بعد ذلك تعد الاقسام الرئيسية من الحلية الواحدة كبطانة السوار مثلا التى بشكل قيد عريض تنفذ عملية الزخارف بالاضافة أو البرم او اللحم ، أو ان تعد وحدات زخرفية مؤطرة كل وحدة قائمة بذاتها تشكل مع بعضها البعض مكونة حلية واحدة كالقلادة او الأسورة او الحزام الخ

والزخارف تنفذ بعدة طرق ووسائل منها ما هو على شكل طبعات بواسطة القوالب ومنها بشكل برم الاسلاك المختلفة الأحجام مكونة اشكالا نجمية او وريدات الخ ، أو عمل السلاسل أو الحلقات التى توصل ببعضها وكذلك تزخرف بالتلوين بالمينا او بالترصيع باللآلىء وبالياقوت او الفيروز وغيرها من الاحجار الكريمة .

هذا وتمتاز ايضا بتنوعها ووفرتها وكثرة اعدادها ولكل نوع منها اسم ، ففى القلائد مثلا توجد اكثر من خمسة انواع مختلفة وكذلك الاقراط والأسورة وحلي الرأس والشعر ايضا والخواتم كما تلبس كلها احيانا مرة واحدة ، هذا ولها تسمياتها الخاصة بها ، وهذه التسميات اطلقت عليها اما لطريقة لبسها او لمعناها او لزخرفة معينة تحملها ومنها ما هو مصطلح مستورد اما هندى او فارسى ، ولكن اغلب المصطلحات شيوعا هى المصطلحات التى تدل على طريقة لبسها وزخرفتها .

أنواع الحلى

ومن انواع الحلي الذهبية فى قطر :

● حلى الأذن :

وهى الاقراط وتسمى « الشغاب » او « التراجي » ، ولها اشكال مختلفة واحجام منها ما هو صغير بقدر رأس الدبوس او بشكل حلقة صغيرة او اكبر او بشكل سلسلة تنتهى بدلاية من فص لؤلؤ او ياقوت او اكبر بشكل معين او كمثرى مخرم ومحزز وانواعها ، اشغاب كسر . اشغاب رملية . الكواشى والفتور .

● حلى الأنف :

ويزين الأنف بطريقة ان تثقب الفتحة اليسرى للانف ويدخل فيها نوع من



• العمايل (وهي من حلي الثياب) وهي تعلق من العباءات النسائية وتتكون من سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل

الدبابيس او مشبك يسمى (ازميم) ومنه « زميم ابو جلاب » او « براقي » او بشكل نجمة ذهبية يتوسطها فص من ياقوت ابيض او لؤلؤة صغيرة .

● حلي العنق والجيد :

وهي القلائد وتسمى (الكردالة) ، منها ما هو قصير ملتصق بالرقبة تتدلى منه سلاسل واهداب تسمى (المرتشعة) ، او منها ما هو مكون من حبات او خرزات ذهبية تشبه المسبحة كبيرة ومتوسطة الحجم خالية من الدلاية اى (الطبلة) تسمى (مرية) ، او بشكل سلسلة تتدلى منها دلاية في الوسط تسمى (الهلالي) او (المجلد) او (المعرى) ، كما هناك القلائد الكبيرة الحجم التي تغطي الصدر كله وتصل الى الخصر وتسمى « التكلس » وتلبس احيانا ثلاثة انواع منها مع بعضها كالمرتعشة والمرية والتكلس .

● حلي المعصم والذراع :

وهي الأسورة وتسمى (المضاعد) ، وهي انواع منها ما هو رفيع رقيق ومنها ما هو بشكل سلكين مبرومين يسمى الملتفت ومنها ما هو بشكل حبات من المرجان الاحمر او الأسود تتناوب مع حبات من الذهب وتسمى « الخصور » ، ومنها ما هو بشكل قيد تحيط به وحدات زخرفية بارزة هرمية الشكل او بشكل تجمعات من اشكال زهرية مرصعة تسمى « حب الهيل » و « البناجري » و « السويرات » ، وكلها لها مفاتيح تسهل لبسها وخلعها ما عدا المضاعد .

● حلي الوسط :

وهي الأحزمة والمناطق ويسمى (المحزم) ويتكون من قطع ووحدات زخرفية مستطيلة الشكل او مربعة الشكل متصلة مع بعضها يتوسطها شكل زخرفي كبير يشد بواسطة مفتاح من الخلف وقد نفذت الزخارف عليه بالتخريم والترصيع . ملاحظة : لا يوجد في متحف قطر نموذج له .

● حلي الراس والشعر :

وتزين قمة الراس والغرة والهامة بحلي ذهبية تلتصق بالراس اما بشكل غطاء يسمى الطاسة وتلبس على الراس تتدلى منها سلاسل واهداب تصل الى الكتفين او حتى الى الصدر احيانا وتسمى (طاسة بسراريح) ، او يتدلى من مقدمتها وعلى الجبين اشكال هلالية تسمى (لوح السعد) او « كصة السعد » ومنها ما يشبك بالشعر تسمى (الريشة) ، ومنها ما يجدل مع الشعر (غفيرة) وتسمى (الجتوب) او (الكراميل) والمشموم .

● حلي القدم :

وهي بشكل اسورة تطوق القدم وهي الحجول وتسمى (حيول) ومنها ما هو غليظ وضخم ومنها ما هو رفيع تنزل منه سلاسل واجراس وهي الخلاخيل التي يلبسها الاطفال ، وليس لدى متحف قطر نموذج منها .

هذا ومن حلي القدم ايضا ، (الفتاخ) وهي خاتم يلبس في الأصبع الكبير من القدم .

● حلي الأصابع :

وهي تلبس في اصابع اليد خواتم وحبابس ولكل اصبع خاتم خاص به له تسمية معينة وهي الشواهد والمرامي والختم والخنصر يضاف لها المحابس والمراود واحيانا يلبس الكف وهو بشكل خواتم اربعة تتصل مع سوار في المعصم بواسطة سلاسل او شبكة مخرمة مرصعة بحيث تغطي ظاهر الكف .

● حلي الثياب :

وهي الحلي التي تعلق بالعباءات (الدفة) وتسمى (العمايل) التي بشكل سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل تنتهي عند الكتف بسلسلة من اللآلىء الناعمة ، او تشبك على صدر الثوب بمشبك كبير له دبوس يمسكه او يزخرف صدر الثوب بالتطريز بالخيوط الذهبية وتسمى (الثريا) ، كما تشبك العباءة (الملفح) بمشبك يسمى (مشبك



- الجتوب - مجموعة من الحلى التى تزين الشعر وتشد فى نهاية الجدائل

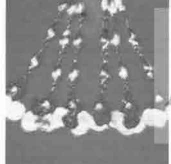
الحُلي الذهبية القطرية

الملفع) صغير ، او يشبك الخمار عند الراس في مشبك يسمى (حلاق البطولة) . كما ان الخمار المعروف بالبطولة كان يزين القسم العلوى منه باقراص ذهبية منقوشة تحيط بالجبين وتنزل الى الجانبين ويسمى الخمار المذهب بـ (البطولة) ـ باسم « برقع رياسى » .

المراة والحلي

وتحرص المراة الشرقية عامة والمراة العربية خاصة على اقتناء الحلي الذهبية ، وهذه خاصية تميز المراة الشرقية في يومنا هذا ، وقد انحسرت هذه الميزة تدريجيا بمرور الزمن وصارت تميز فئة معينة من السيدات العربيات ، والمراة القطرية من السيدات العربيات اللاتي لازلن يحرصن على اقتناء الحلي الذهبية ولبسها .. ويلاحظ في السنين الاخيرة ظاهرة انحسار هذه العادة حيث طغى عليها الميل إلى اقتناء الحلى الأوروبية الحديثة المستوردة وانزواء الحلي الذهبية التقليدية القطرية ولكن وبالرغم من ذلك فلا تخلو فتاة ولا سيدة قطرية اليوم من العديد من الحلي الذهبية التقليدية فمنهن من لديها بضع منها ومنهن من لديها العديد الكبير منها وذلك حسب امكاناتها المادية .

- المريه - حبات او خرزات ذهبية تشبه المسبحة منها الكبير الحجم والمتوسط وهي من حلي تزيين العنق



- المشومة - حلية صغيرة تشد في نهاية الجديلة

- النكلس - قلادة ذهبية كبيرة الحجم تغطي الصدر كله وتصل الى الخصر

والمراة القطرية متعودة على لبس الحلي منذ نعومة اظفارها (شانها في ذلك شان اخواتها العربيات في مختلف البلاد العربية وكذلك الشرقيات) فبعد ولادتها مباشرة تثقب اذنها ويوضع فيها حلق ذهبي ثم وعندما تحبو او تمشي في السنة الاولى من عمرها ، تلبس الخلاخيل (الحجول) ذات الاجراس التي تصدر رنينها عند المشي فتستانس الطفلة بها ، وبعد ذلك تلبس الاسورة والخواتم ، وترى حولها اخواتها وامها واقاربها كلهن يلبسن الحلي الذهبية ولما كان عند الفتيات الصغيرات ميل طبيعي لتقليد الكبار خاصة في التزين والتحلي ،فقد حرصت على اقتناء انواع الحلي من قطع بسيطة إلى قطع كبيرة متعددة وكانت في السابق تحرص على التزين ولو بابسط انواع الحلي كالخرز المنظومة او القواقع ثم تطورت إلى اقتناء الحلي ذات مادة اغلى كالحلي الفضية والتي انتشرت بين نساء البادية وقد تفنن الصاغة فيها ، ثم وبعد مرور الزمن تطورت وصارت تقتني الحلي الذهبية من البسيطة إلى الانواع المتعددة منها .

اما طرق حصول المراة القطرية على الحلي الذهبية فقد كان تجار قطر في السابق يذهبون إلى الهند لبيع ما في حوزتهم من اللؤلؤ وفي المقابل كانوا يجلبون معهم عند عودتهم بعض الكماليات والهدايا التي يفتقد وجودها هنا ومنها كانت المصوغات الذهبية التي كانت اغلى هدية واخف حملات يمكن للتاجر ان يحملها إلى اهله .

واضافة إلى التجارة فهناك طريق الحج حيث كان الناس يذهبون إلى الحجاز (مكة والمدينة) لغرض الحج او العمرة ويجلبون معهم عند عودتهم هدايا ثمينة اهمها هي الحلي الذهبية هذا ومازالت هدية المسافر تسمى « الصوغة » إلى يومنا هذا وهي محرفة من « الصيغة » بلغة اهل الحجاز وتعني مجموع الحلي الذهبية والفضية . و « الصوغة » عادة لا تقتصر على الحلي بل تتضمن الاقمشة والحلويات والمكسرات

الحليّ الذهبية القطريـــة

... الخ لكن طغت عليها لفظة « الصيغة » لانها كانت اغلى الهدايا التي يحملها المسافر . وهذه العادة مازالت جارية إلى يومنا هذا ولا تقتصر على الاغنياء بل حتى البسطاء من الناس يجلبون معهم الهدايا او اشياء ارخص ثمنا على قدر استطاعتهم.

وبالنسبة إلى المراة القطرية فان مفهوم اقتناء الحلي الذهبية يعني «زينه وخزينه وذخر » لانها تعتبره مادة ثمينة يمكن تصريفها عند الحاجة مما يكفل لها ضمانا ماديا يقيها شر العوز في المستقبل . حيث لم يكن لديها مورد مادي ثابت كما هي اليوم وانما تعيش عالة على والديها او اخواتها إذا كانت فتاة وعلى زوجها او اولادها إذا كانت متزوجة ونظرا لعدم اطمئنانها ماديا وخوفها من غدر الزمن فقد لجات إلى اقتناء الحلي الذهبية لكي توفر لنفسها ادخارا ماديا يقيها شر العوز مستقبلا .

مصادر الحلي

هذا وان مصادر حصول المراة القطرية على الحلى الذهبية عديدة . اولها ما كان عن طريق الاهداء ، فالرجل القطري سواء كان تاجرا غنيا موسرا او متوسط الحال يحرص على اهداء زوجته وبناته حليا ذهبية في مختلف المناسبات ، اما لدواعي السفر للتجارة او للحج او شرائها من بعض الصاغة من البلد وإهدائها في بعض المناسبات كالاعياد والافراح ، وتتراوح كميات الصيغة التي يهديها الوالد في كمياتها ونوعياتها حسب امكاناته من قلائد وعقود إلى خواتم واسورة رقيقة .

وثانيا فان المراة بطبيعتها تميل إلى التقليد وخاصة في امور الزينة والتحلي ان شاهدت قطعة حلي عند احدى قريباتها او صاحباتها تحرص على اقتناء مثلها فتطلب من الصائغ ان يصوغ لها مثلها وإذا كانت موجودة تشتريها مباشرة اما لنفسها او لبناتها وهذه ايضا تختلف في كميتها حسب امكاناتها ..

وثالثا هناك طريقة اخرى للحصول على الحلي الا وهي الاعراس فان المراة وبمناسبة الزواج تطلب ام العروس من العريس « ان يكون مهر ابنتها مقدار كذا وكذا من الريالات ، ومقدار كذا وكذا من الذهب » . وذلك « مثلها مثل بنت عمها » . فيرسلها العريس مع « الدزه » الحلي الذهبية الخاصة بالعروس كالقـــلائد والخواتم والاحزمة حسب امكانياته المادية او حسب شروط اهل العروس . ولا يقتصر الامر على العروس فقط وانما تحصل اخواتها بعضا من هذه الحلي « كهدايا بسيطة » من العريس إلى اهل العروس كما تاتيها في هذه المناسبة هدايا صيغة بمناسبة عرسها من اقاربها واصدقائها ... وتتباهى المراة القطرية عادة بالحلي التي تاتيها في مناسبة العرس وهي مناسبة هامة ومصدر كبير لاقتناء الحلي بالنسبة لها .

وشراء الحلي الذهبية من الصاغة عادة وعرفا جاريا ليس في قطر وانما في كافة المجتمعات العربية والاسلامية ولو انها في السنوات الاخيرة قد انحسرت واقتصرت على دول الخليج لكن ما تزال اسواق الذهب تكون قسما كبيرا من محلات المدن العربية والاسلامية وهي ما يجلب نظر السائح ويميز هذه المدن ، وتزخر هذه الاسواق بدكاكين الصاغة التي تمتلىء بمختلف انواع الحلي الذهبية والمجوهرات القديمة والحديثة كل حسب اختصاصه وهي عادة معروفة منذ العصور الاسلامية ظلت سارية في المدن العربية والاسلامية إلى يومنا هذا ولكثرة ما تجلبه من سواح وزائرين اجانب عمدت بعض الدول التي تعتمد على السواح في مواردها الاقتصادية كمدن شمال افريقيا وتركيا إلى تشجيع هذه الاسواق بفتح محلات ودكاكين للصاغة بالاشكال التقليدية المتوارثة عن الطرز القديمة باعتبارها تراثا قوميا اصيلا .

هذا وان استمرار المراة القطرية في الحرص على اقتناء الحلي الذهبية قد حفظت لنا هذه الحلي العربية الاسلامية إلى اليوم بنفس الطرق والتقاليد في صناعتها ولبسها . فصارت صورة حية من الماضي تعيش بيننا يمكن من خلالها معرفة الحلي العربية الاسلامية من العصور الاولى وذلك لندرة النماذج التي وصلتنا من مختلف العصور الاسلامية لاسباب قد تعرضنا لشرحها في فصول سابقة .

وليس الصائغ وحده هو الذي تشتري منه المراة حليها ولكن هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي .

هذا وان تداول الحلي الذهبية لم يقتصر على شرائها من الصائغ او الحصول عليها بواسطة الشراء ، بل كانت هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي ، وهن عادة من الارامل معظمهن من الخوجات في الشارقة ودبي والبحرين ، ومازالت إلى يومنا هذا في قطر بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي الذهبية وسبب ذلك هو ان المراة القطرية كانت ولا تزال لا تنزل إلى الاسواق ولا تسافر ، لذلك فقد تخصصت بعض النساء في شراء الحاجيات من اسواق الخليج وادخالها إلى بعض البيوت الكبيرة لبيعها ، وهي عادة اما ان يكن من العاملات في البيت نفسه او بائعات معروفات يدخلن إلى البيت ويعرضن ما لديهن من حلي ومصوغات وحاجيات اخرى لبيعها ... وفيما عدا ذلك فان بعض المسنات يذهبن إلى السوق بحرية ويشترين ما يلزمهن من حلي ومصوغات وحاجيات ايضا . وعادة المتاجرة بين النساء عادة قديمة كانت معروفة وسارية منذ العصور الاسلامية (الاموية والعباسية والتركية ... الخ) وكانت تقوم بها الجواري والخادمات في تلك المجتمعات المحافظة جدا وقد انحسرت هذه العادة بمرور الزمن

صائغ وبائع حلى قطرى





صائغ قطري تقليدي يقوم بتنفيذ عمليات الصياغة اليدوية

وانقرضت في معظم المدن العربية الاسلامية وظلت إلى عهد قريب في بعض مدن الخليج العربي ، وقطرخاصة .

العادات والتقاليد

وللمراة القطرية عادات وتقاليد فى لبس واقتناء الحلى ، توارثتها وتحافظ عليها من امها واخواتها واقاربها وصاحباتها فهى مثلا تحرص على اقتناء الحلى المختلفة الانواع والشائعة المعروفة فى محيطها ولديها من الحلى انواع منها : « الحلى اليومية البسيطة » ، التى تلبسها كل يوم ولا تخلعها وتنام فيها وتتكون من قلادة بسيطة (سلسلة بها قران او حجر او دلاية) ، مع خاتم واقراط صغيرة ملتصقة بالاذن وبعض الاساور البسيطة الرفيعة (المضاعد) .

ومنها ما هو مخصص للمناسبات البسيطة كزيارة الاقارب او الاصدقاء فتضيف الى ما تلبسه يوميا قلادة اكبر (مريه) وسوارا ثقيلا كالبناجرى او حب الهيل .

اما فى المناسبات الكبيرة كالاعراس والاعياد فانها تزين بالحلى الثقيلة كالقلادة الفخمة المعروفة (بالتكلس) ، او المرتعشة والاقراط الطويلة (اشغاب) ، وتغطي راسها بشفة او قطعة تتدلى منها سلاسل واهداب تسمى (دينار لوح السعد) . وتلبس حزاما ذهبيا وخلخالا فى قدميها (بالرغم من ان الخلخال ما عاد يلبس كالسابق كثيرا) ، اضافة الى الخواتم والمحابس .

اما لبس العروس نفسها فانها تلبس من الحلى مما لا تستطيع المشي من ثقلها : فهى تلبس على راسها « الهامة » التى تشبه التاج ، او تلبس دينار لوح السعد . وتلبس فى رقبتها « المرتعشة » وهى القلاد المختنقة وتلبس معها «التكلس» وهى القلادة الفخمة الطويلة ، كما تلبس فى يديها « الكف » وهى حلية مكونة من قفاز من الذهب بشكل خمسة خواتم فى كل اصبع خاتم يتصل بسوار عريض بواسطة خمسة سلاسل تغطى ظاهر الكف وكله مرصع بالاحجار الكريمة ، وتلبس حزاما من الذهب ، وتلبس قناعا على وجهها (البطولة) غير عادية تسمى (البرقع الرياسى) محلى باقراص من الذهب ، اضافة الى الاقراط الطويلة (الشغاب) والاسورة (حب الهيل ، الشميلات ... الخ) .

اما اخواتها ورفيقاتها فيلبسن مالديهن من حلى مثل لوح السعد والهلالى والمرتعشة وبعض الاسورة ، وبعضهن يلبسن الحزام الذهبى . وكذلك السيدات يلبسن مالديهن من حلى ولو انها اقل من حلى العروس .. اما بنات بعض العوائل الغير موسرات فانهن يلجان الى استعارة الحلى من اقاربهن او صديقاتهن او من بعض العوائل المعروفة التى تملك مجموعات من الحلى الذهبية لكى يظهرن بالمظهر اللائق فى العرس . وعادة الاستعارة شائعة وجاريه ولا عيب فيها .

وللمراة القطرية ايضا انواع من الحلى منها ما هو خاص للاطفال منذ الطفولة ومنها ما هو خاص للبنات كالهلالى والقراميل التى يظفر بها الشعر ويشبك بها الراس ومنها ما هو خاص بالفتيات كدينار لوح السعد ، ومنها ما هو خاص بالسيدات المتوسطات بالعمر والمسنات كالقبع والطاسه والحزام .. الخ ، وهى بصورة عامة وفى مختلف مراحل حياتها تهتم بالحلى وتقدرها وتتباهى بها وقد اصبحت جزءا من التراث القطرى ، وهناك اغان وامثال تذكر فى الحلى مثلما يقلن بوصف جمال ودلال البنات :

شيخه تفوح الدله
والعطر بالفتيال
فى رقبتها مرتعشة
وبتغاها الدلال
دلالها خمسة خمسة
وحيولها اربعين

ومنها ما يقال فى وصف دلال البنت :

قومى ياحصة والبسي الريشلة
يا شيخه البنات يا الغريسه
طير السعد غنى على الليوان

وهنالك اغنية فى الافراح :

حمد يا ذا الطويل يهتز من طوله
سبعه محابس ذهب بالكف منطوله

وفى العيد يقولون :

لا اتسير علينا يا العليمي على ويش
راعي الجوزتين والعبل والعكاريش

وفى غلاء المهور يقال :

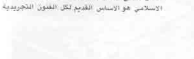
بنت خالك جوانيها باثنعش
ومينا وكرداله وقلادة ومرتعش

هذا ما استطعت الحصول عليه من الاغانى التراثية التى تتغنى بالحلى . وقد اعتمدت فى هذا القسم من الدراسة فى الغالب على المقابلة الشخصية لسيدات قطريات من مختلف الاعمار ومختلف العوائل ودونت معظم الملاحظات شفاهة .

نجلاء العزى

صلاح طاهر

بدأ بالملاكمة وانتهى بالتمرّد على الفن الكلاسيكي



الفنان صلاح طاهر .. اعلن اكثر من مرة ان الفن الاسلامي هو الاساس القديم لكل الفنون التجريدية

بقلم: صبحي الشاروني

واحد من بضعة فنانين يفتخر بهم الوطن العربى .. عالمه التشكيلى شديد الثراء والغنى ، سواء من زاوية غزارة الانتاج او تنوعه .. يقف اليوم على قمة الفنانين «التجريديين» و غير التشخيصيين العرب .. فقد حقق لاسمه شهرة تقارب شهرة نجوم السينما وابطال كرة القدم .. عمره الفنى الذى يبلغ اكثر من ٥٠ عاما ، قد قضاه فى تنمية مواهبه وتوسيع ثقافته ونشر فكره وفنه .

من الملاكمة الى الفن

كان ملاكما ، وخاض عدة مباريات فى شبابه وفاز فيها ببطولات متتالية ، فقد كان يتمتع بقوة جسدية واضحة .. ورغم هذا فقد اتجه الى الفن بكل كيانه ، والتحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، واندفع نحو الموسيقى مفضلا اياها على كل الفنون

وتفوق فى دراسته لفن التصوير الزيتى ، كما انغمس فى القراءة من اجل تثقيف نفسه ، مهتما بالفلسفة وعلم النفس والادب .. وقد كان فيلسوفه المفضل هو «نيتشه» الذى يؤمن بالقوة ، فوجدت فلسفته قبولا عند الرياضى الملاكم الذى لم يهزم .

اهتم بدراسة الاديان ، واتجه الى القراءة والاطلاع متجولا بين مختلف فروع الثقافة ، وكان على علاقة وثيقة بالمفكر المصرى «عباس محمود العقاد» منذ بداية الثلاثينات ، وقد دفعته هذه العلاقة ـ التى بدأت فى سن مبكرة ـ الى تنمية ثقافته فى اتجاه الافكار التى كان يدعو اليها «العقاد» لأن مناقشاتهما ذات اثر عميق فى نفسه .

وفى ممارسته لفن التصوير الزيتى تفوق على اقرانه فى نقل الطبيعة وتصوير الوجوه الانسانية .. وبعد اكثر من عشرين عاما من النجاح المتصل فى هذا الاتجاه اعلن تمرده على الاسلوب الاكاديمى ، وانتقل بغير مقدمات الى التجريدية ...

هذا هو الفنان صلاح طاهر ..

ولعله ايضا اول فنان يملك الجرأة على اعلان ممارسته لأسلوبين متباينين فى فن التصوير الزيتى خلال مرحلة واحدة ، فلوحاته غير التشخيصية تحقق اضافة جديدة لأعمال الرسامين «الموسيقيين» ، وهو فى نفس الوقت يرسم وجوه اصدقائه ونجوم عصره بطريقة مدرسية كالتى كان يتبعها فى شبابه المبكر ، وهو عندما يفعل ذلك لا يعبأ باعتراضات نقاد الفن ولا يخفى

غرفة الانتظار .. لوحة زيتية رسمها الفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

هذا الجانب من انتاجه .. لانه يملك من الشجاعة ذلك القدر الكافي لكى ينتزع بنفسه حقه فى ممارسة الرسم بالطريقة التى يحبها .

ومما يستلفت النظر فى نشاط الفنان صلاح طاهر هو حرصه على تقديم انتاجه المتصل فى معارض سنوية منتظمة ، حتى يتيح للاجيال الجديدة من الفنانين والمتذوقين ان يتعرفوا على تطوره الفنى عاما بعد عام ، وهو بذلك جعل لأسلوبه تاثيره الواضح على شباب الفنانين من طلاب كلية الفنون الجميلة الذين يستقبلهم خلال فترة اقامة معارضه ويدير معهم حوارا يستمر ساعات .. وهكذا يصل تاثير اسلوبه فى الرسم وطريقته فى التفكير الى الاجيال الجديدة .

حياة الفنان

ولد الفنان صــلاح طاهر بالقاهرة فى ١٢ مايو سنة ١٩١٢ ، وبعد ان اتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٢٩ ..

فى ذلك الوقت كان الفنانون الأوربيون هم الذين يوجهون الحركة الفنية فى مصر ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة قبل عام واحد من التحاقه بها ، مدرسة اهلية ينفق عليها الامير يوسف كمال – احد امراء الأسرة المالكة ولكن هذه المدرسة اصبحت فى عام ١٩٢٨ تابعة للدولة ، وكان الفنانون الرواد الأوائل الذين تخرجوا فيها عقب تاسيسها قد سافروا فى بعثات لأول مرة على نفقة الدولة للدراسة فى اوربا عام ١٩٢٥ ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة لاتزال تنتظر عودتهم .

ومن هنا كان صلاح طاهر من ابناء الجيل الثانى الذى حمل مشعل الابداع بعد جيل الرواد مباشرة .. انه من الجيل المخضرم الذى بدا دراسته على ايدى الاساتذة الأوربيين ثم استكملها على ايدى الاساتذة المصريين عقب عودتهم من بعثاتهم الفنية بالخارج .

فى البداية درس على ايدى المصورين «اينوشنتى» و «بريفال» ، ثم على يدى الفنان الرائد «احمد صبرى» ، الذى كان من المع اقطاب الجيل الاول ، فقد عرف باجادته للاسلوب الاكاديمى الرصين ، وتفوقه فى تصوير الوجوه الشخصية بالاسلوب الكلاسيكى الجديد .. وعلى ايدى هؤلاء الاساتذة استوعب صلاح طاهر القيم الجمالية الكلاسيكية الغربية ، وعرف كتلميذ متفوق ومخلص لتعاليم استاذه «احمد صبرى» ، وقد مارس التصوير الزيتى بمهارة واضحة فى هذا الاتجاه ، متفوقا على اقرانه بسبب تفانيه فى حب الفن وموهبته وثقافته .



«واو» لوحة تعبر عن المرحلة التى تحول فيها الفنان الى التجريدية

تخرج فناننا فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤ ، واتجه الى تصوير الريف المصرى والمناظر الطبيعية بالاضافة الى اعماله فى فن «البورتريه» ، واخذ يطبق فى اعماله اكتشافات المذهب التاثيرى الذى يحتفل بالاضواء ويهتم بتكامل الألوان المتقابلة ، خاصة فى مشاهد الطبيعة الريفية .

وعقب تخرجه عمل مدرسا للرسم بمدرسة «المنيا الابتدائية» لمدة عامين ، حيث اقام معرضه الاول فى مدينة «المنيا» سنة ١٩٣٥ ، ثم انتقل الى الاسكندرية ليعمل بمدرسة «العباسية الثانوية» ، وهناك اقام معرضه الثانى عام ١٩٣٩ .. وفى عام ١٩٤١ انتقل الى القاهرة مدرسا للرسم بمدرسة «فاروق الاول الثانوية» .. ولكنه لم يستمر فى هذه المدرسة سوى عام واحد ، لانه فى عام ١٩٤٢ عين مدرسا



لوحة .. من ضمن مجموعة اللوحات الخاصة للفنان

صلاح طاهر

للتصوير الزيتى فى «كلية الفنون الجميلة بالقاهرة» – وهذا هو الاسم الاخير للاكاديمية التى تخرج فيها صلاح طاهر – وهكذا اتيح له ان يشارك فى الحركة الفنية مشاركة ايجابية فى بؤرة اهم تجمع للفن التشكيلى بمصر فى ذلك التاريخ .

وابتداء من سنة ١٩٤٣ تولى مهمة الأستاذ المشرف على «مرسم كلية الفنون الجميلة» ، وهو يعتبر اول شكل من اشكال «الدراسات العليا» او «التفرغ للانتاج الفنى» فى مصر .. وكان يحظى بعضوية المرسم المتفوقون من خريجى اقسام الفنون بالكلية لمدة عامين او ثلاثة يقضونها فى تفرغ تام للعمل الفنى ، شتاء بالاقصر بين تراث «طيبه» الفرعونية والحياة الريفية بالصعيد ، وصيفا بحى الغورية فى القاهرة القديمة حيث التراث المعمارى الاسلامى والحياة الشعبية فى المدينة .

لقد قضى صلاح طاهر عشر سنوات متتالية فى هذا العمل الذى وفر له فرصة نادرة للانتاج والاطلاع .. فخلال تلك السنوات العشر عرف كمصور غزير الانتاج إذ كان العمل الفنى هو شغله الشاغل .. يستيقظ فى الخامسة صباحا كل يوم ، ويخرج الى الهواء الطلق ليمارس رياضته الصباحية ويرسم لوحاته للمناظر الطبيعية والآثار قبل ان تشتد حرارة الجو .. وفى الأماسى كان يتجول مع اعضاء المرسم بين الآثار .. ومع هبوط الظلام كانت تبدأ أحاديث النقد والمحاضرات وغيرها ، ثم يقوم بالرسم عن النماذج الحية والوجوه الشخصية حتى يحين موعد النوم .

وكان معرضه الثالث بالنادى الثقافى بالقاهرة عام ١٩٥٣ بمثابة «كشف حساب» عن منجزات تلك الفترة المشحونة بالمشاهدة والانتاج . وقد استطاع بهذا المعرض ان يثبت اقدامه فى الحركة الفنية ويبدأ مسيرته بين أقطاب فن التصوير الزيتى فى مصر بعد ان اكمل نضجه الفنى .

الانطلاقة الفنية

وفى عام ١٩٥٤ ترك العمل بكلية الفنون الجميلة ليتولى منصب مدير متحف الفن الحديث بالقاهرة ، فحوله الى خلية من النشاط الفكرى والثقافى .. ثم ارتقى الى منصب مدير المتاحف الفنية عام ١٩٥٨ .. ولم يستمر فى هذا المنصب سوى عام واحد اصبح بعده مديرا لمكتب وزير الثقافة والارشاد القومى للشئون الفنية .. وفى عام ١٩٦١ اصبح مديرا لادارة الفنون الجميلة بوزارة الثقافة ، وبعد ذلك تولى ادارة دار الأوبرا من عام ١٩٦٢ حتى تركها عام ١٩٦٦ ليعمل كمستشار فنى لمؤسسة الاهرام حتى اليوم .. وهو منصب يتيح له الاستغراق فى الانتاج الفنى ، ولا يشغل من وقته إلا القليل .

وقد قام الفنان بالتدريس كاستاذ غير متفرغ بمعهد السينما من عام ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ ، فحول محاضرات «تاريخ الفن» الى مادة ثقافية شاملة تضم «فلسفة الفن» و «سيكولوجية الابداع» و «التذوق الفنى» بالاضافة الى التاريخ .. كما قام بتدريس نفس المادة المطلوبة لطلبة كلية الاعلام واقسام الدراسات العليا بكلية الآثار بالقاهرة لمدة اربع سنوات متتالية من عام ١٩٧٢ ...

لقد عرف صلاح طاهر على المستوى الجماهيرى من خلال محاضراته العامة عن الفن والتذوق الجمالى ، وفى برامج التليفزيون التى شارك فيها .. كما عرف فى الوسط الفنى بنشاطه المتصل ومعارضه المتوالية ومشاركته الدائمة فى المعارض المحلية والدولية .. شارك فى بينالى فينيسيا الدولى ثلاث مرات متفرقة .. كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى التصوير الزيتى عام ١٩٥٩ ، وحصل على جائزة جوجنهايم كافضل المشتركين المصريين فى هذه المسابقة عام ١٩٦٠ ، ونال جائزة التصوير على الجناح المصرى فى بينالى الاسكندرية لدول حوض البحر الابيض المتوسط عام ١٩٦١ .

وقد سافر الفنان الى معظم دول اوربا فى زيارات متتالية ، بعضها لمشاهدة المتاحف والاطلاع على النشاط الفنى ، وبعضها الاخر فى مهام رسمية . وعلى سبيل المثال فقد سافر الى ايطاليا عام ١٩٥٢ فى رحلة قصيرة ، ثم زارها بعد ذلك اربع مرات .

وفى عام ١٩٥٦ اقام معرضا شاملا لاعماله فى قاعة المعارض الكبرى لجمعية محبى الفنون الجميلة ، ثم سافر مع معروضاته الى الولايات المتحدة حيث قضى هناك ثلاثة اشهر عرض خلالها لوحاته فى واشنطن ونيويورك وسان فرانسيسكو ، وقد كان لهذه الزيارة اثرها الكبير فى تطوره الفنى .. وقد زار سويسرا وقضى فى الاتحاد السوفيتى شهرا عام ١٩٦٠ .

وفى عام ١٩٦٤ اقام معرضا شاملا اخر فى قاعة الفنون الجميلة بمبنى الغرفة التجارية بالقاهرة ، ومن ذلك التاريخ يحرص الفنان على اقامة معرض سنوى لاعماله .

وفى عام ١٩٦٥ اقام معرضه السنوى فى قاعة اخناتون بالقاهرة . وقد سافرت معروضاته لتقدم للجمهور فى مطار كيندى استمر هذا المعرض ثلاثة اشهر شاهده خلالها – طبقا للاحصائيات – ٤٢٠ الف راكب ، وقد طبع كتالوج هذا المعرض ٥٠ الف نسخة وزعت كلها على المشاهدين .

وفى نفس العام استضافته هيئة اليونسكو فى منحة لتبادل الرؤية ووجهات النظر ، دعى اليها قادة الحركة الفنية والنقدية فى العالم ، وكانت مدة المنحة ستة اشهر زار خلالها انجلترا وفرنسا وايطاليا ، واقام معرضا لاعماله فى كل عاصمة من عواصم هذه البلاد .

وخلال هذه الرحلة التقى الفنان بقادة الفن ومفكريه فى الدول الغربية امثال «سولاج» و «شنايدر» و «زاودكى» و «ميشيل راجون» و «هارتونج» و «لاسين» و «بلان راديرا» والاخير كان رئيس الاتحاد الدولى للفنانين التشكيليين فى ذلك الوقت .. وكذلك زار المثال «هنرى مور» فى محترفه ، والتقى مع «جون راسل» الناقد الفنى لمجلة التايمز .

وقد اقام الفنان فى السنوات الأخيرة معرضين فى بيروت واخر فى مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر.

لقد بلغ عدد المعارض التى اقامها صلاح طاهر فى الدول الغربية ثمانية معارض ، معظمها اقيمت بغير اعداد سابق

اما فى مصر فقد عرض اعماله عام ١٩٦٦ فى اسيوط ، وفى العام التالى اقام معرضا متجولا فى طنطا وبورسعيد والاسكندرية ودمنهور ، وفى سنة ١٩٦٨ أقام معرضه فى بيته بالجيزة . وكان اول فنان يتبع هذا التقليد فى مصر .

وفى سنة ١٩٦٩ اقام معرضا شاملا بمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، بينما عرض اعماله عام ١٩٧١ فى قاعة المعارض بالجامعة الامريكية بالقاهرة . ومنذ عام ١٩٧٢ يقيم الفنان معرضه السنوى فى المركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى بالزمالك ، وفى حى الزمالك تقع كلية الفنون الجميلة ، وكلية التربية الفنية التى تؤهل طلابها للعمل فى تدريس التربية الفنية بالمدارس .

اما المعارض العامة المحليةفهو يشارك فيها بانتظام منذ عام ١٩٣٢ . كما اشترك فى عدد من المعارض العامة بالخارج : فى الصين والاتحاد السوفيتى وامريكا وايطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا .

وقد انجز لمبنى مؤسسة الاهرام مجموعة كبيرة من اللوحات يبلغ عددها



المرأة فى الريف .. من وحى اعمال الفنان صلاح طاهر اثناء جولاته فى الريف المصرى

٦٥ قطعة تصل مساحة بعضها الى ٣ر٥ مترا فى ٦ر١ مترا ...

وقد قام بوضع الرسوم التوضيحية لكتابى «النبى» و «حديقة النبى» تاليف جبران خليل جبران وترجمة الدكتور ثروت عكاشة ، وكذلك رسوم كتاب الدكتور عكاشة «اعصار من الشرق» . وكتاب «جبهة الغيب» للدكتور «بشر فارس» ... وغيرها .

وتستخدم صور لوحاته فى كثير من المناسبات بطبعها على اغلفة الكتب وعلى التقاويم السنوية (النتائج) وعلى البطاقات البريدية وبطاقات التهانى بالمناسبات والمطبوعات الاخرى .

ومن نشاط صلاح طاهر يذكر له انه قام بترجمة كتاب «فى ظلال الفن» بالاشتراك مع «احمد يوسف» كما قام بمراجعة ترجمة كتاب «حول الفن الحديث» الذى قام بترجمته كمال الملاخ .

انه يهتم بنشر الثقافة الفنية بكل الوسائل الاعلامية المتاحة ، وينادى دائما بوحدة كل الفنون ، وحرية الفنان فى التعبير ، وضرورة التجديد المستمر فى الفن .

وقد كرمته مصر عن مجموع هذا النشاط الفنى والثقافى عندما اهدته جائزة الدولة التقديرية فى الفنون لعام ١٩٧٤ مع وسام العلوم والفنون .

انتاجه الفنى

● المرحلة الأكاديمية : (١٩٣٤ ـ ١٩٥٦)

فى المرحلة الأولى من فن صلاح طاهر رسم الفنان اكثر من ٥٠٠ لوحة للمناظر الطبيعية بالاضافة الى ما يقرب من ٤٠٠ لوحة للوجوه الشخصية (البورتريهات) ، من بينها صور لاقطاب هذا الجيل ورواد الفكر امثال الدكتور زكى مبارك ، احمد شوقى ، الدكتور طه حسين ، توفيق الحكيم ، خليل مطران ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، رفاعة رافع الطهطاوى ... وغيرهم . وكان الفنان فى رسمه لهذه الشخصيات يحاول ان يتجاوز الشكل الفوتوغرافى والمظهر الخارجى محاولا التعبير عن الأعماق النفسية والدلالات التى تعبر عنها السيرة الشخصية لصاحب الوجه ولايزال الفنان حتى اليوم يرسم الوجوه الشخصية بنفس هذا الأسلوب القديم ..

ان اهتمام الفنان برسم البورتريهات ينبع من شغفه بفرعين من فروع المعرفة ، الأول هو ولعه بالسير الشخصية ، والثانى هو تعمقه فى علم النفس .. وفى رسمه لوجوه الأشخاص يحقق الفنان درجة من الاشباع لهذين الاهتمامين اللذين يلازمانه

ونستطيع ان نطلق على اسلوبه فى السنوات العشرين الأولى من عمره الفنى (الذى بدا من تاريخ تخرجه فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤) اسم «الأسلوب الوصفى» ، وهو الاسلوب الذى استخدمه فى رسم الوجوه الشخصية والمناظر الريفية ، وقد تطور خلال تلك السنوات بتطعيمه بمكتشفات «الاسلوب التاثرى» كما تميزت لوحات تلك المرحلة بمميزات تعبيرية خاصة .

وبالاضافة الى المهارة والاتقان فى تلك الأعمال ، فاننا نلاحظ ميله الدائم الى ابراز الجمال والحلاوة فى الأشكال والمناظر بل وتجميلها ، فجميع فلاحاته جميلات فاتنات موفورات الصحة وليس بينهن واحدة قبيحة .. والشمس دائما مشرقة ساطعة تجعل للنخيل والمروج ظلالا وانعكاسات جميلة اخاذة ، فقد لازمه من البداية اتجاه الى تحقيق نوع من التوهج اللونى ولايزال يشيع فى لوحاته حتى الآن .. وكان يركز على الجوانب الجميلة فى الحياة ، مصورا الريف والناس بصورة متفائلة مبهجة .

ولم يكن صلاح طاهر ينفرد بهذا الاتجاه بين ابناء جيله ، وإنما كان تصوير المناظر والأشخاص مع ابراز الحلاوة الشكلية هو هدف معظم المصورين فى مصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ...

كانت تلك السنوات العشرين بمثابة فترة التكوين الضرورية للفنان .. فهو لم يبدا «باللاتشخيصية» ولا «بالتجريدية» ، وانما ظل يمارس الرسم بالاسلوب الوصفى سنوات وسنوات ، وفى نفس الوقت لم تنقطع صلته الفكرية بالتيارات الفنية المعاصرة ، من خلال ثقافته النظرية .

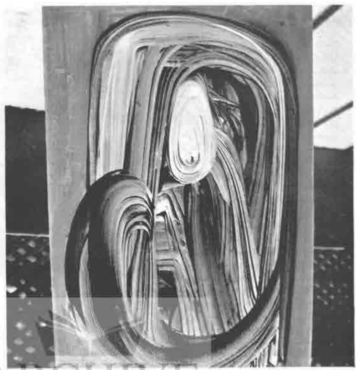
وقد اعلن صلاح طاهر فى أكثر من مناسبة أنه لم يكن يحس بالرضى عن نفسه خلال تلك المرحلة .. قال : «كنت كلما اقمت معرضا فى تلك المرحلة السابقة «الكلاسيكية» ، وشاهدت الناس مسرورين مهنئين .. احسست بالمرارة .. ذلك لانه كان يتملكنى الاعتقاد باننى لم احقق شيئا يذكر .. لاننى لم أصل الى اسلوب خاص متميز .. وكنت ابحث عن اسلوبى وشخصيتى الفنية المحددة حريصا على الا افتعل هذا الأسلوب الخاص ...» .

وقد جرب الفنان عدة اساليب حديثة خلال تلك المرحلة ، ولكن فى لوحات متفرقة لا تمثل مرحلة من مراحل فنه .. مارس التاثرية فى رسومه للمناظر الطبيعية .. كما جرب التكعيبية من زاوية البحث والدراسة .. وهكذا . ولكنه لم يتوصل من خلالها الى التعبير الفنى المستقل المتميز الذى كان ينشده . ولكن هذه التجارب افادته اعظم فائدة ، فهو يعترف انه تعلم البناء .. وهندسة اللوحة .. وتماسك الشكل .. والتكوين المحكم فى العمل الفنى خلال تلك المرحلة . وهكذا استفاد الفنان من كل المدارس التى مارسها او درسها سواء عمليا او نظريا .

التغيير الحاسم

● الطفرة : (١٩٥٦ ـ ١٩٦٠)

ظهر التناقض فى حياة الفنان مع بداية الخمسينات وظهور تحولات اجتماعية عميقة فى المجتمع المصرى



ترابط .. من الأعمال الزيتية للفنان عام ١٩٧٨

صلاح طاهر

وهكذا تكاتفت العوامل الذاتية مع العوامل الاجتماعية مع العوامل الاقتصادية ، لتدفع صلاح طاهر الى اجراء تغيير حاسم فى اسلوبه الفنى ، فتحول الى التجريدية وهو فى الرابعة والأربعين من عمره . وكان التحول مفاجئا بالنسبة لمتابعيه ، خاصة وانه اتخذ شكلا مسرحيا عندما وقف بين عدد من الفنانين وقال باسلوب التحدى .. : ((ما حكاية هؤلاء التجريديين ؟ أيحسبون انهم يفعلون شيئا خارقة ؟ انني أستطيع ان أتفوق عليهم)) .
ويومها أقسم أن يرسم لوحاته بالأسلوب التجريدى ...

وقد كانت رحلة الفنان الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ ، والتى استغرقت ثلاثة أشهر ، هى نقطة التحول او «الطفرة» فى فن صلاح طاهر . فقد شاهد طغيان الاتجاه اللاتشخيصي الى درجة الشطط والغرابة والتطرف . وكان اثر هذه الرحلة على الفنان هو رد فعل عنيف ضد التجريدية لمجرد التجريد ... وقد عاد الى مصر ليهاجم هذا الشطط بعنف فى جلساته ومناقشاته .. ثم يقسم ان يفعل مثلهم .. وانتقل الى التجريدية .

وهكذا لم يكن التحول فى فن صلاح طاهر تدريجيا وإنما فجائيا .. لكنه لم يكن مجرد موقف عنيد فرضته اللحظة التى تحدى فيها شطط التجريدية

ولكن هناك عدة عوامل يمكن اعتبارها السبب الفعال فى هذه الطفرة ، او بمعنى ادق : كانت سبب استمراره فى هذا الطريق ثم اجادته له حتى اصبح اشهر التجريديين فى العالم العربى .

على راس هذه العوامل تغير الجمهور الذى يقبل على مشاهدة اعمال الفنان .. هذا بالاضافة الى الصدمة التى تلقاها خلال زيارته للولايات المتحدة حيث لم يقتنع بما ينتجه الفنانون هناك ولم يستطع اى فنان تجريدى امريكى ان يقترب بانتاجه من الصورة الذهنية التى كونها صلاح طاهر فى خياله عن الأعمال الفنية فى اغنى بلاد العالم . وهناك عامل ثالث هو رغبة الفنان الملحة فى تحقيق شخصيته المستقلة وكان من العسير أن يتحقق هذا التفرد والتميز دون اضافة شىء جديد الى اخر ما وصل اليه فن التصوير المعاصر .. ولما كانت التجريدية هى اخر مرحلة معروفة فى هذا الميدان ، كان لابد له أن يمارسها لتكون اضافته ذات دلالة حقيقية لم يسبقه اليها احد ...

وهكذا سار تفكير الفنان ، وهو يؤكد هذا المعنى فى قوله : ((كان عام ١٩٦٠ هو عام الرسوخ والعثور على نفسى تماما)) .. وهذا يعنى انه ظل يبحث عن التفرد والتميز أربع سنوات كاملة بعد ممارسة التجريدية قدم خلالها مجموعة من التكوينات اللونية تحت اسم «تكوينات تجريدية تعبيرية» .. تميزت بمحاولة الابتعاد تماما عن اى دلالة تشخيصية ..

وقد جذبته الى التجريدية تلك الحرية الكاملة التى يتيحها هذا المذهب للفنان عندما يخلق ويبتكر على هواه .. وتلك المتعة التى يحسها وهو يعبر عن ذاته ورؤاه دون الالتزام بالشكل الواقعى .. وهكذا وجد الفنان نفسه وقد اكتشف عالما من المتعة الخالصة التى تولد الاحساس بالرضى وتحقيق الذات .. واغراؤها كان أقوى من اى اغراء اخر .. فاسلم نفسه لها .

وقد انشغل الفنان لزمن طويل قبل هذه الطفرة بقضية حيرة الفنان بين البيئة المحلية والانطلاق الواسع نحو افاق الفن العالمى .. وكان الاسلوب التجريدى هو طريقه لتخطى حدود المحلية .

التفكير بلغة التشكيل

● بين « التجريد » و « اللاتشخيص » : (١٩٦٠ ـ حتى الآن) .

اعمال صلاح طاهر منذ عام ١٩٦٠ بل ومنذ ترك الاتجاه الوصفى ، تندرج كلها تحت هذين النوعين من الفن التصويرى ..

ويقول الفنان : « ان الاتجاه الكلاسيكى قد استنفد اغراضه وانتهى قبل مطلع هذا القرن .. والتمسك به حتى الآن يعتبر ظاهرة لا تتمشى مع روح العصر الحديث الذى تنفجر فيه الحياة كل يوم بجديد » ويعرف التجريدية بانها : « رسم اشكال مكونة من خطوط ذات قيمة بلاستيكية ـ اى تشكيلية ـ بحته » .. ويضيف : « انا اقصد بالتجريدية ذلك البحث عن القيم الموسيقية والألحان الموجودة فى الواقع .. لأن الفنان كثيرا ما يشعر بالسعادة والشاعرية اذا عاش فترة من الوقت فى جو معين ، او بعد سماعه قطعة موسيقية او موال شعبى ، او بعد قراءته عمل ادبى



القبيلة .. لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

مؤثر . ولا يمكنه ترجمة هذا الاحساس بالكلمات أو التعبير عنه بموضوع .. ولكن الخطوط والالوان هى التى تقوم بهذا التعبير الذى قد لا يفهمه الانسان العادى ، ولكنه غالبا ما يكون للشخص المثقف ثقافة فنية عالية » ..

وهو يقول ايضا : « أن مصور القرن العشرين حين يؤلف لوحته ويرسمها .. فانما يفكر بمفردات لغة التشكيل ، ومنها الخط وخصائصه ، واللون وما يتطلبه ، ثم الايقاع اللونى والخطى ، والتمسك بين العناصر ، والعلاقات التشكيلية وهندستها وبناؤها وتكوينها .. » .

هذه الكلمات كلها تنطبق على الأسلوب اللاتشخيصي الذى يمارسه فى عدد من اعماله ، لكنه من حين لآخر يعود الى تطعيم لوحاته باشكال مستمدة من الواقع بعد تحويرها وتحريفها ، واخضاعها لأسلوبه المميز وضربات فرشاته التى أصبحت علما على اعماله .. ومثال ذلك رسومه للتجمعات الانسانية والمبانى الاسلامية الطراز ، وتلك التى يصور فيها احد العناصر المشخصة مثل نبات البامبو او القضبان الحديدية او الآلات والاوراق .. ثم يكرر العنصر الواحد فى اللوحة بتنويعات مختلفة ، مطبقا قواعد التشكيل الفنى التى برع فيها .

فى مثل هذه الاعمال ينتمى الفنان الى التجريدية ، بينما فى اعماله اللاتشخيصية نجده يواصل الطريق الذى بدأه المصورون الذين يطلق عليهم اسم « الموسيقيون » .

ولا تقتصر حركة الفنان على الانتقال من « التجريد » الى « اللاتشخيص » وانما هو ينتقل أيضا خلال ذلك بين الخامات والأصباغ . فنجده يزهد فجأة فى الالوان ويستمر لعام كامل (١٩٦٠) فى رسم لوحات باللون الأسود ودرجاته مستخرجا كل الامكانيات الشكلية للرماديات فيما بين الابيض والاسود .. ثم يعود الى الألوان المائية فى العام التالى ، ليتركها مرة أخرى ليشكل لوحاته من الابيض والاسود وحدهما ، ثم لا يلبث ان يرجع الى الالوان ولكنه يستخدم هذه المرة « الجواش » .. ثم ينتقل الى استخدام الألوان الزيتية .. وبعدها الالوان البلاستيك .. ثم الاكليريك ...وهكذا .

انه يقوم بتغيير اداة الرسم متنقلا بين الخامات والأصباغ المختلفة بحثا عن الامكانيات الشكلية والمذاق الخاص لكل نوع ، وذلك ليحقق لمساره الفنى الحيوية والتطور الدائمين .

الوجوه الشخصية

من اهم المميزات التى ينفرد بها صلاح طاهر ذلك الوفاق الذى يعيشه حتى الآن مع عالمه التشخيصى الوصفى القديم .. هذا الوفاق الذى يتمثل فى الأسلوب التقليدى الذى يرسم به الوجوه الشخصية (البورتريهات) .

ان هذا الميدان من ميادين الرسم هو الذى يحفظ للفنان خيط الاتصال العملى بالواقع وبالطبيعة .. هى من غير جدال المعلم الاول لجميع الفنانين ، سواء بما تتضمنه من ثراء فى الاشكال والألوان ، أو بما تقدمه من نماذج للعلاقات الشكلية والقوانين الجمالية التى يترجمها الفنان



تعاون .. احدى لوحات الفنان صلاح طاهر

صلاح طاهر

الى سطح لوحته بلغة التصوير بعد تصفيتها وتنقيتها واختيار النموذجى منها .

الاستمتاع

ان السر الكامن وراء هذه الظاهرة فى فن صلاح طاهر هو وجود ثلاثة انواع من الاستمتاع بالخلق الفنى ، او بمعنى ادق « الاحساس بالرضى » فى كل حالة ، يختلف عن الاحساس الذى يكتنفه عندما يمارس الاسلوبين الاخرين .

ففى الحالة الاولى ، عندما يرسم الوجوه الشخصية (البورتريهات) يحس بامتلاكه للطبيعة وسيطرته عليها ، هذا بالاضافة الى اقترابه من الانسان الذى يرسمه متعمقا فى اغواره ، مشبعا شغفه بعلم النفس وبالسبر الشخصية

وفى الحالة الثانية عندما يستخرج الاشكال الريفية والتجمعات الانسانية والتكوينات المعمارية وغيرها من اعماق ذاكرته .. ثم يخضعها لاسلوبه فى التشكيل ، فانه يخلق بها عالما مثاليا ، ويحقق فى كل لوحة حلما تشكيليا ، فهو يعيد تنظيم الواقع وفق اسلوبه ، ويخرجه من الفوضى والتناثر الى النظام والتماسك .. انها متعة من نوع اخر .

ويجد الفنان فى رسم الاشكال اللاشخصية التى يبتكرها نوعا ثالثا من الاحساس بالرضى والاستمتاع يشبه ذلك الفرح الذى يشيع فى نفوسنا عندما نتوصل الى حل مسالة هندسية او نكتشف قانونا رياضيا .

الجانب الانسانى

اما الفنان فهو يعبر عن حالات استمتاعه بالخلق الفنى مشبها اياها بممارسة العاب رياضية مختلفة .. انه لم ينس انه كان ملاكما فى شبابه .. فهو يمارس الرسم كما لو كان يتسابق فى السباحة او يتبارى فى التنس فيقول :

« ان الانسان يبدو اصدق ما يكون مع نفسه حين يلعب ، والالعاب فى تنوعها ثم ابتكارها ثم التفوق فيها ، هى ظاهرة تلازم كل حضارة ظهرت فى التاريخ . والفن ايضا – انه اول الظواهر الحضارية – والفنان الحقيقى هو لاعب ممتاز من الدرجة الاولى .. اما الفنان غير الحقيقى فهو ليس بلاعب على الاطلاق ، بل صانع مقلد ممعن فى ارهاق نفسه .. واللعب غير العبث ، فالعبث فوضى وتبديد للعمر والطاقة .. اما اللعب فانت تؤديه والمتعة تصاحبك اذا كنت على دراية وخبرة بقوانين اللعبة ، اذ ان كل لعبة على حدة لها قيودها واصولها » .

ولقد وصل صلاح طاهر الى درجة عالية من الخبرة فى التشكيل حتى اصبح الاسلوب طيعا بين يديه ، ووسيلة لتحقيق افكار اعمق من مجرد استعراض المهارة فى التشكيل ، فالاسلوب لم يعد هدفه اليوم بعد ان كان محور اهتمامه فى سنوات الطفرة ..

ولا تخلو اعمال الفنان من التعبير عن الجوانب الانسانية وتناول الموضوعات التى تمجد العمل والبناء .. واوضح النماذج هى تلك التى بداها عام ١٩٦٣ عندما قام برحلته الى اسوان اثناء بناء السد العالى ، فقد اختارته وزارة الثقافة ضمن مجموعة من الفنانين التشكيليين تجولوا فى النوبة قبل ان تغطيها مياه السد واقاموا فى مواقع العمل باسوان حيث شاهدوا وسجلوا الاعمال الانشائية الضخمة وابطالها من العمال والفنيين ..

ومن ذلك التاريخ نجده يتناول من حين لاخر الانسان فى تالفه عندما يعمل ، لوحة تصور الحمالين وعلى اكتافهم كتلة خشبية ضخمة يتعاونون على نقلها فى همة ونشاط واخرى تصور فلاحتين منحنيتين فى حقل متسع تجمعان ثمار الارض .

كما يستخدم الفنان الالوان الباردة كالاخضر والازرق فى مواجهة الالوان الساخنة كالاحمر والاصفر ومشتقاتهما فتحقق الديناميكية من خلال التفاعل بين هاتين المجموعتين اللونيتين المتقابلتين .. كما يضع الالوان الصريحة المنفردة بطريقة مبهرة مضيئة فى مواجهة الالوان الممتزجة المتداخلة الكابية .

ونحن نستشف فى اعماله تلك العلاقة الجدلية بين الاشكال التى تتهدم وتلك التى تتولد فى نفس اللحظة .. كما انه فى كثير من الاحيان يتعمد اعطاء الاحساس بان الخطوط قد وضعت بسرعة وعشوائية ليضاعف احساس المشاهد بالحركة والآلية وهذا الاسلوب يجعل لوحات صلاح طاهر تحتفظ بقيمة حية دائمة كالتى تتميز بها الرسوم الخطيه السريعة (الاسكتشات) .

هذا بالاضافة الى استلهامه للتراث الاسلامى وتكوينات الارابسك بالذات ، باعتبارها تكوينات بنائية محكمة التركيب .. وهو قد اعلن اكثر من مرة ان الفن الاسلامى هو الاساس القديم للفنون التجريدية الاوربية .

صبحى الشارونى

التحدي

شعر: د. أنس داود

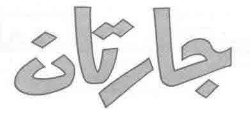
فى صمت
أجلس مؤتزراً بالحكمة
مشتعل الحس
تقتلني الوحدة .. تنغاني عيناك إلى نفسي
حين ترودين الآفاق بعيداً عن نبضة قلب
أبدى الهمس
عن جرح ينزف طول الليل ،
ويقطر فى وضح الشمس

• • •



الطفلة تعدو فى الغابات
وتتركني وحدي
جذعاً ملقي فوق هشيم التذكارات ،
أنا دم فى ملل صمتى .
تضحك للشمس وللأزهار ، وللنبع الرقراق الرغد
وتفيض على العشب حياة ، تمنحه أفراح الأبد
حين تفىء إلى ظل الدوحة .. تخطر ، أو تتمدد.
هل أبصرت ربيعاً يتفجر فى جسد
يمتزج العشب بأزهار الفل ،
ويلتف على مشتل ورد
أى تحد
للنور المصلوب على حافات الأفق الممتد
للبحر الراكض فى نزق خلف المد
لي ، وأنا أجلس وحدي
فى صمت .. أجلس وحدي ،

بقلم: حافظ أحمد أمين



كانت فرحتنا عظيمة عندما عثرنا اخر الأمر على شقة مناسبة . وكنت كلما ترددت عليها مع كمال ، لنباشر التشطيبات النهائية ، نشم رائحة البخور تنبعث قوية نفاذة من الشقة التى تواجه شقتنا ، كما كنا نسمع فى بعض الاحيان اصواتا غريبة لنساء ورجال يصدرون معا شيئا كالتراتيل مختلطة باصوات اخرى كصياح الدجاج ، فكنا نتساءل عما يجرى داخل تلك الشقة ، دون أن نجد اجابة شافية . ذهب زوجى مرة وقرا البطاقة على بابها ، ثم جاءنى يقول انها شقة طبيب اسمه انيس مختار ، ولكن هذا لم يساعدنا على العثور على تفسير لما كنا نسمعه ونشمه .

ومضى نحو شهر ، وانتقلنا إلى شقتنا الجديدة فى صباح باكـر ، وقبل أن يخرج كمال إلى عمله ، طلب منى ان اخرج بعض الحاجيات من الحقائب ، وتثبيت بعض الصور والأرفف ، وترتيب ما اقدر على ترتيبه من ادوات خفيفة ، قال لى :

ــ « لا تنهكى نفسك كثيرا يا حبيبتى ، وانتظرينى بعد الظهر حتى نعمل معا ، وساحضر لك معى شيئا تحبينه » .

سالته : « كتاب ..؟ » قال : « لا » ... « اسطوانة ..؟ » ... « لا » ، « فماذا اذن ..؟ » ... قال وهو يغادر الشقة : « ستكون مفاجاة سارة » . وخرج .

لم تمض عشر دقائق على مغادرة كمال للشقة حتى دق جرس الباب ، فلما فتحته شاهدت امامى سيدة بدينة بيضاء ، فى حوالى الثلاثين من عمرها ، انيقة الملبس ، فخمة المظهر ، تضع على وجهها الوانا لاحصر لها من الاصباغ والمساحيق ، وعلى صدرها وفى ذراعيها حليا وجواهر تبهر الأنظار .

ما ان فتحت الباب للسيدة حتى رسمت على شفتها ابتسامة عريضة ، وقالت بصوت لين ناعم :

ــ « انا جارتك علية ، حرم الدكتور انيس مختار ، جئت لاهنئك على شقتكم الجديدة جعلها الله مصدر الهناءة والسعادة لكم طول العمر » .

قالت هذا ثم خطت إلى داخل شقتنا بتثاقل وبطء دون أن ادعوها الى ذلك ، واخذت تتمتم بكلمات غريبة لم اسمعهـا جيدا ، ولكنى فهمت من حركات ذراعيهـا انها تبارك الشقة الجديدة ، وتطرد منها « الاسياد » و « العفاريت » .

وما ان انتهت من هذه التمتمة حتى اخرجت من جيبها ملحا وارزا نثرتهما فى انحاء الصالة وهى تقول لى :

ــ « هذه امور ضرورية لجلب السعادة ، وافساد عمل الحاسدين ، وكيد الحاقدين ، ولتكون الشقة مبروكة عليكم ان شـــاء الله » .

قلت وأنا احاول مجاراتها بقـــدر ما يمكننى :

ــ « ستكون مبروكة باذن الله بفضـــل جيرتكم لنا ، لقد اخترناها أنا وزوجى بعناية شديدة ، وبعد جهد كبير ، وسنعمل بكل طاقتنا على استكمال ما تحتاج إليه من اثاث ، وترتيبه حتى تكون مريحـــة وجميلة » .

قالت : « هذا لا يكفى يا حبيبتى ، ولابد انك سمعت عما يفعله الجان ببنى ادم ، خاصة بالنسبة للأعتاب الجديدة » .

قلت : « نعم ... ســمعت الكثير عن هذا » .

قالت : « طبعا يا اختى طبعا ... صحيح ان هناك اناسا لا يؤمنون بمثل هذه الأمور ، ولكنهم سيندمون كثيرا على ذلك ، ولعل جارتنا احسان مثل صادق لمثل هؤلاء » .

ــ « إحسان ..؟ » .

ــ « نعم ، تلك التى تســكن فى نفس الطابق ، انها لا تثق فى أعمال السحر وفى التعاويذ ، وتقول انها متعلمة ومثقفة ، كان العلم والثقافة كافيان لجلب الســعادة للانسان » .

قلت وأنا احاول ان اجد اجابة لا تجرحها :

ــ « لا ابدا يا عليه هانم ابدا ، العـلم والثقافة ليسا كل شىء » .

قالت وهى تجلس ... دون أن أدعوها إلى ذلك :

ــ « نعم نعم ، يبدو اننا سنتفاهم جيدا وسنترك جارتنا « إحســان » تبحث عن زبائن لجمعيتها » .

سالتها : « اية جمعية ..؟ » .

قالت : « جمعية تحرير المراة ، ان جارتنا النحيفة ... التى تشبه عود القصب او عمود السرير ... تعمل سكرتيرة لجمعية تدعى انها تحرر المراة ، والمضحك فى الموضوع ان « احسان » هذه تعتقد انها امراة ، وهى لا تفترق عن الرجال فى شىء ، انها تقضى معظم وقتها فى جمعيتها تخطب وتصيح ، كان المراة تحتاج فى تحريرها إلى مثل هذه الجمعيات التى لا تقوم إلا على الكلام والخطابة » .

قلت مؤيدة : « ليس بالخطب تنال المراة حريتها » .

قالت وكانها قد وجدت الشخص الذى سيتفق معها فى كل شىء :

ــ « اليس كذلك يا حبيبتى ..؟ وماذا نفعل بالخطب مع صنف الرجال ، انه جنس خشن انانى ، لا يفكر الا فى نفسه وملذاته ، لا يهذب إلا إذا استعنا عليه بمن هم اقوى منه ... الرجال يا حبيبتى لا يروضهم الا الجان ، اما الصياح والكلام الاجوف فالرجال عليهما اقدر » .

ثم حاولت الست عليه أن تدعونى يوم الاحد التالى الى احدى حفلات الزار التى

تقيمها فى شقتها ، واخذت تلح على الحاحا شديدا وتصف لى ماذا تذبح وماذا يفعل المدعوون ، ولكنى اعتذرت بادب ، قائلة اننى ساذهب فى ذلك اليوم مع زوجى لمشاهدة مسرحية جديدة .

سالتنى بدهشة : « اتذهبين مع زوجك الى المسرح ؟ ... اه ... لابد انك اكثر منى علما بمسالة الاحجبة والتعاويذ ، لاشك انك تحملين حجابا به اسرار لم اتوصل انا اليها . لقد حاولت مرارا ان ازين لزوجى لنيس قضاء امسياتنا معا ، ولكنه يجد دائما المبررات للافلات منى » .

ثم مالت على وسالتنى بصـــــوت منخفض :

ـ « هل تضعين فى صدرك حجابا من نوع خاص ؟ » .

قلت لها وانا اضحك :

ـ « ساخطرك فى المستقبل عما احمل فى صدرى » .

● ●

وهكذا اضاعت منى ست علية النصف الاول من النهار ، اما النصف الثانى فقد اضاعته الست « احسان » . نعم ، فما ان تخلصت من الجارة الاولى ـ بعد صعوبة بالغة ـ حتى بدات فى تنظيف الشقة مما نثرته مع ملح وارز ، وانا العن تلك الزائرة التى اضاعت نصف يومى فيما لا طائل منه ، رغم كثرة الاعمـــال التى كانت تنتظرنى .

نعم ، ما إن تخلصت من جارتى البدينة البيضاء حتى دق جرس الباب من جديد ، فلما فتحته وجدت امامى سيدة نحيفة سمراء ، فى حوالى الثلاثين هى ايضا ، صارمة التعبير ، لا تلبس حليا ولا تضع فى وجهها اصباغا او مساحيق ، تلبس ملابس بسيطة داكنة ، شكلها وملامحها وحركاتها هى النقيض التام لشكل الست علية وملامحها وحركاتها ، وكان الله قـــد خلقهما واسكنهما طابقا واحدا من العمارة ، ليظهر للناس كيف يكون الامر ، عندما يتجاور الشىء ونقيضه .

مدت الى يدا قوية وصافحتنى وهى تقول



بصوت عال به غلظة :

ـ « انا جارتك احسان ، زوجة المهندس عدلى عطية » .

قلت : « اهلا وسهلا ... شرفت وانست » .

خطت الى داخل الشقة ـ دون ان ادعوها الى ذلك ـ وكانت خطواتها سريعة ونشطة ثم قالت :

ـ « كان فى نيتى ان ازورك قبل الآن ، ولكنى علمت ان (سيد قشدة) كانت معك طوال الصباح » .

سالتها : « سيد قشدة ؟ » .

قالت وهى تضحك : « نعم ، نحن نسمى الست علية (السيد قشدة) وبعض السكان يسمونها البرميل » .

وبعد ان جلست على احد الكراسى بالصالة قالت :

ـ « لقد فرحت كثيرا عندما علمت من بعض سكان العمارة انك حاصلة مثلى على شهادة جامعية ، فهذا يعنى انك سيدة ذكية بعيدة النظر ، واننا سنتفاهم جيدا ان شاء الله » .

قلت وانا احاول مجاراتها : « سيكون هذا مدعاة لسرورى وسعادتى » .

مالت على وقالت بصوت منخفض :

ـ « هل تعرفين ان جارتنا البدينة لم تحصل حتى على الشهادة الابتدائية ؟ ، انها تعتقد ان باستطاعتها ان تحصـــل على حقوقها المسلوبة عن طريق السحر واقامة حفلات الزار وزيارة اضرحة الاولياء هل تتصورين ايتها الاخت الكريمة ان مثل هذه الامور ما زالت تحدث فى الربع الاخير من القرن العشرين ؟ » .

قلت مؤيدة : « ليس بالســـــحر والشعوذة تنال المراة حريتها » .

قالت وكانها قد وجدت الشخص الـذى سيتفق معها على كل شىء :

ـ « اليس كذلك ايتها الاخت الكريمة ؟ وماذا تفعل الاحجبة والارواح مع صنف الرجال ؟ هذا الجنس الخائن ... الرجل لا يروض ولا يهزم الا عن طريق الكفـــاح المستمر لزيادة وعى المراة بحقوقها ، وعدم التنازل عنها . ومهما بلغت الاعيب الرجال وتفانينهم فى الدهاء ، فزيادة الوعى عند المراة كفيلة بتحقيق انتصارها » .

ثم حاولت الست احسان ان تدعونى مساء الخميس التالى الى اجتمـــاع من اجتماعات جمعية تحرير المراة ، والاشتراك فى الكتابة فى مجلة الجمعية ـ ان كنت المس فى نفسى قدرة على تحرير المقالات ـ من اجل اشعال حماس المراة ،والمطالبـــة بالتحرر من القيود التى تعانى منها ، ولكنى اعتذرت بادب ، مبررة رفضى بانه ما زالت امامى اعمال كثيرة فى سبيل اعداد الشقة كما ان يوم الخميس هو اليوم الذى نذهب فيه انا وزوجى لزيارة عائلتى .

دهشت احسان دهشة شديدة وسالتنى:

ـ « هل يرافقك زوجك عنـــد زيارتك لعائلتك ؟ » .

قلت : « نعم ... نتناول العشاء مساء كل خميس مع ابى وامى » .

قالت : « لابد انك تستعملين معه لغة عنيفة حاسمة ، اشد قسوة من تلك التى نستعملها فى جمعيتنا . انا شـــخصيا حاولت مع عدلى ان نحدد يوما نزور فيه عائلتى ولكن محاولاتى كلها ذهبت هباء » .

ثم مالت على وسالتنى بصـــــوت منخفض :

ـ « هل تستعملين معه اسلوبا خاصا يجعله خاضعا لارادتك ؟ » .

قلت لها وانا اضحك : « ساخطرك فى المستقبل بالاسلوب الذى استعمله معه » .

بقلم: جمـــال الكنـــاني

هذا الكاتب العبقري هل هو خائن أو عبيط؟

ليس من نقاد الأدب ولا حتى من شيعة صمويل لانجهورن كليمانس (مارك توين) واحد ينكر زعامة كتاب الفكاهة الانجليزية على بى جى وودهاوس ، فالكل قد بايعه دون تردد .

ولعلنا قبل أن نسرد القصة المؤلمة التى نغصت على هذا العبقرى حياته ، واذاقته مرارة المهانة ، وحرمته تكريم حكومته حتى بلغ الثالثة والتسعين من عمره ، حين انعمت عليه الملكة بلقب الفروسية قبل موته بشهرين اثنين ، نقدم موجزاً لسيرته :

ولد بلام جرينفيل وودهاوس فى يوم ١٥ اكتوبر عام ١٨٨١ فى مدينة جلفورد بولاية صرى بانجلترا . وكان ابوه اذ ذاك يشغل وظيفة حكومية فى هونج كونج .. وتعارفت الاسرة اولا على مناداة الصغير باســـم « بلام » ثم اختصر الاسم الى « بلم » ، فكان الاسم الذى عرف به الاديب طول حياته .

وليس غريباً أن يكـــون حب الادب مغروزاً فى هـــــذا الاديب الـــذى كان يتسلى منذ طفولته بكتابة القصة القصيرة .. وكانت اولاها قصة كتبهـــا وهو فى السابعة من عمره :

« حدث منذ حوالى خمس سنوات .. فى غابة من الغابات ، ان كان هناك طير مغرد جميل الصوت ، بنى لنفسه عشا على راس شجرة من اشجار الزيزفون . وكان الطائر يختار لنفسه غصنا يقف عليه ليغنى بصوت رخيم للغابة . فكانت الديدان تخرج من جحورها لتستمع اليه ، وكانت النمل تضع احمالها والصراصير تلوذ بالصمت والفراشات تقف صفا واحداً .. وغرد الطائر وكانه يغنى فى جنة الخلد فكان صوته يعلو ويرتفع تدريجيا ، لحظة بعد لحظة .

وانتهت الاغنية ونزل الطائر عن غصنه وهو يلهث .. وشكرته جميع المخلوقات .. وانتهت قصتى » .

كانت تلك بداية الحصيلة الضخمة – ٩٦ رواية طويلة و ٣٧٠ قصة قصيرة و ١٨ تمثيلية و ٣٢ مسرحية غنائية ومئات من الاغانى – التى اثرى بها الادب الانجليزى واعترف له الجميع بانه افكه كاتب عرفته اللغة الانجليزية .

ولقد اقام هذا العبقرى صرح عظمته على مدى ٧٥ عاماً فى قارتين – اوروبا وامريكا – على أســـاس قـــدرته على الاستعانة بالتكرار،تكرار كلمات او عبارات او جمل – لاضحاك قرائه وتسليتهم .. وكانت مواضيع قصصه ورواياته شرائح من واقع طفولته وخاصة ايام دراسته فى كليـــة (مدرسة) داليتش ، يخلطها بلمسات من الحيـــاة خـــلال العصرين الادوردى والجورجى ، ثم يلف هذه كلها فى رقائق من نسج خياله الخلاق . ولقـــد حـــاول « وودهاوس » الاحتفاظ لكتاباته بواقعية من الانتماء الى حقبة زمنية معينة ، ومن هنا كانت شعبيته على نطاق كونى .

فكاهة وودهاوس تعتمـــد ابـــدا على المبالغة او عكسها – العبارة المكبوحة – وعلى استعمال التعبير الاصطلاحى فى غير موضعه .. ولقد استطاع « وودهاوس » ان يجمع لنفسه حصيلة هائلة من الالفاظ بان خلط العبارات العامية بالعبـــارات الكلاسيكية وابتكار الوان جديدة من الغلو والمبالغة .

ويقول العارفون ان وودهاوس كان رجلا موهوبا جمع بين القدرة والرغبة فى العمل للضنى والرغبات والمطالب المتواضـــعة البسيطة .. كان شغله الشاغل هو عمله وكانت هوايته المفضلة هى عمله ، واكبر اهتمامه كان ظاهرة الحياة نفسها ، ولقد كتب اطرف قصصه عن تلك الحياة .. كان يضحك على كل ما يضحك ويقرا لكل كاتب فكه ويقف من الحياة موقف المتفرج ، يؤثر ملاحظتها والكتابة عما يدور حوله من الحياة بدلا من ان يشترك فيها .. ويتقن تجنب مشاكل الحياة وطرد منغصاتهـــا بعيداً عن واعيته .. ثم ان كتاباته تشـــهد بطيبة قلبه وادميته التى لم يتجرد عنها حتى وافته منيته ، بعد نوبة قلبية ، فى يوم ١٤ فبراير ١٩٧٥ .

والذى كتب عن « وودهاوس » كثير ، يغنينا عن تكراره . زد على ذلك ان ادب « وودهاوس » ليس هو موضوع هذا المقال الذى نهدف الى ان نسرد سرداً محايداً ، قصة اتهام وودهاوس بالخيانة العظمى اثناء الحرب العالمية الثانية .

من البيت الى السجن !

فى شهر يناير ١٩٤٠ كان وودهـــاوس وزوجته « إثيل » فى « لى توكيه » بفرنسا . وفكر فى الرحيل والعودة الى انجلترا لما احس باقتراب الالمان من الاراضى الفرنسية وعرض عليه طيار انجليزى المقعد الوحيد

فى طائرته ولكنه رفض أن يترك زوجته وحدها فى فرنسا . وقرر السفر الى الساحل فى سيارته فركبها مع زوجته إلا انها تعطلت بعد مسيرة ميلين ومر بهما جار كان يقصد الساحل فى عربة نقل ، فركبا معه ولكن اللورى تعطل بدوره .. فلما يئسا من الوصول الى الساحل الفرنسى عادا الى دارهما فى « لى توكيه » .

ودخل الجيش الالمانى باريس وفى يوم ٢١ يوليه ١٩٤٠ استدعى « وودهاوس » لمكتب قائد الحامية وصدرت الأوامر بنقله الى المعتقل .. ودخل السجن فى مدينة « ليل » وقيد فى السجلات خطأ باسم « وودهورس » .. « الجريمة .. انجليزى » وعلى الرغم من انه كان فى سن الثامنة والخمسين الا ان السلطات الالمانية لم تفرج الاعمن بلغوا الستين .

نقل « وودهاوس » بعد ذلك الى سجن بالغ القذارة فى « لييج » فى بلجيكا ثم نقل فى ٣ أغسطس ١٩٤٠ الى قلعة بعيدة ومنها نقل فى ٣ سبتمبر ١٩٤٠ الى قرية توست فى سايليسيا العليا وهى الآن جزء من بولنده . وهناك اودع السجناء مبنى لاحدى المستشفيات العقلية .

فى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٤٠ سمح لمراسل « اسوشييتد برس » ، « انجس ثورمر » بزيارة « وودهاوس » والتحدث معه . وكتب المراسل مقالا شرح فيه رفض « وودهاوس » لأى مجاملة او معاملة خاصة قدمها له الالمان . وعرف الناس عن طريق المقال مقر « وودهاوس » وبدأ كبار الكتاب ورجال المسرح وغيرهم يلحون على السفارة الالمانية فى واشنجطون ويطالبون بالافراج عن « وودهاوس » ولكن دون جدوى !

وقارب « وودهاوس » الستين من عمره فافرج الالمان عنه وفى يوم ٢١ يونيه ١٩٤١ صرحوا له بالاقامة المحددة فى برلين تحت رقابة الشرطة وهناك ادلى « وودهاوس » بتصريح لعدد من المراسلين الصحفيين الامريكيين جاء فيه :

« يالها من تجربة عجيبة ان يحرم الانسان من العالم الخارجى كما حدث لى فى السجن حيث يعيش الانسان على البطاطس والشائعات .. التى يسميها اسرى الحرب « الحمائم الزرقاء » اما نحن فكنا نسميها « قصص الفراش » . ولم يحدث قط ان صدقت شائعة واحدة ، ولكن شائعة واحدة فى اليوم تبعد عنك الهم والانقباض النفسى .. » .

وبعد هذا الافراج المشروط بخمسة ايام اى فى يوم ٢٦ يونيه ١٩٤١ قبل « وودهاوس » ان يقرأ على الراديو - راديو برلين - حديثا أعده مراسل اذاعة كولومبيا الأمريكى .. واستملح « وودهاوس » الفكرة لانه وجد فيها وسيلة لتعريف اكبر عدد من اصدقائه فى امريكا بمكانه فى المانيا .. وكانت نتيجة هذه الاذاعة ان طلبت وزارة الخارجية الالمانية من « وودهاوس » إعداد عدد من الاحاديث ، يكتب فيها ما شاء ليذيعها لأمريكا على الموجة القصيرة . وبدا العرض كريما لانه لم يفرض اى قيد او شرط على « وودهاوس » فكتب خمسة احاديث فكهة عن تجربته كسجين بريطانى مدنى رقم ٧٩٦ ندد فيها بالسجون الالمانية وسمح له الالمان باذاعة احاديثه كما كتبها تماما . ويصعب على الانسان تعليل هذا التصرف من جانب الالمان لأن « وودهاوس » لم يترفق فى وصف ما اصابه فى سجون المانيا .. ولعل الالمان لم يفهموا فكاهة « وودهاوس » ودعاباته ولم يدركوا ما كان بين اسطر الاحاديث .

الصحف البريطانية تهاجمه !

على ان هذه الاذاعات كانت من الناحية الشكلية على الاقل دليلا على حماقة « وودهاوس » وعبطه ، إذا انها اثارت عواصف هوجاء فى الصحف البريطانية التى هاجمته دون ان تعرف فحوى ما اذاع واتهمته بالخيانة العظمى ، بل ومن تلك الصحف ما وضعه فى صف الخائن الذى كان معروفا باسم « اللورد هوهو » . وليس فى موقف الصحف البريطانية اية غرابة .. فانجلترا كانت فى حرب ضروس مع المانيا ، واذا باحد عمد الادب الانجليزى واكثرهم شعبية يقدم إذاعات من محطة برلين فى وقت تنهال فيه قنابل الالمان على رؤوس الانجليز وتمحو من انجلترا مدنا باسرها .. والناس فى انجلترا وغيرها يعرفون ان « وودهاوس » له من الفطنة والذكاء ما يجعله يتنبه لسوء فعلته ويدرك ان الاذاعة من المحطات الالمانية تعتبر فى ذاتها عملا مخزيا مشينا .. وكان ان صدق الانجليز ما كتبته الصحف البريطانية عن « وودهاوس » وكان ان هاجمته الاذاعة البريطانية هجوما عنيفا فى ١٥ يوليه ١٩٤١ . وكان صاحب هذا الهجوم الصحفى المعروف وليام كونر الذى كان يكتب تحت اسم كاساندرا .. قال كونر فى الحديث الذى اذاعه .

« جئت لأقص عليكم هذا المساء قصة رجل من الاثرياء يحاول إتمام اخر واكبر صفقة بيع يعقدها فى حياته .. فهو يبيع بلاده .. ويا لها من قصة كئيبة كريهة .. قصة رجل يرهن شرفه عند الالمان لقاء فراش وثير » وعلى هذا النحو المقذع واصل كاساندرا هجومه .

ولم تشر الصحف او الاذاعة الى نص ما قال « وودهاوس فى إذاعاته من برلين واكتفى الغاضبون بالاشارة الى انه اذاع من برلين ... ومجرد الاذاعة من برلين اعتبر ذلك فى راى الناس جريمة وخيانة لا تغتفر .. ولكن هل يذنب من يقف على منبر عدوه ويهاجمه من فوق ذلك المنبر . ؟ هل يجرم من يندد علنا بعدوه ويذيع على الناس وصف ما لقى من معاناه وهو فى سجنه . ؟

كان راى الناس فى امريكا فى اذاعات « وودهاوس » يناقض راى الناس فى انجلترا فى تلك الاذاعات .. وكانت وزارة الدفاع الامريكى تستعين بتسجيلات هذه الاذاعات فى مدرسة الاستخبارات وتقدمها اثناء التدريب على انها نموذج ممتاز ضد النازية .

ولم يدر « وودهاوس » بما كان يجرى فى انجلترا الا بعد فترة طويلة فلما علم بالخبر كاد ينهار من هول الصدمة لانه كان حسن النية تماما فيما فعل ، بل وانه كان يعتقد انه إنما يقدم للعالم الحر صورة ساخرة لما يجرى فى السجون النازية .

ولما اشتدت الغارات على برلين سمح الالمان لوودهاوس بالعودة الى باريس المحتلة على أن يعيش فيها تحت رقابة الشرطة وتحت عين الجستابو .. فلما تم طرد الالمان من باريس اشترك « وودهاوس » فى الاحتفال بخلاصها من الاحتلال الالمانى فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٤ .. ولكن سحابة قاتمة كانت تخيم على حياته فقرر فى نفسه ان يضع حدا للماساة وان يشرح للناس ما حدث فزار الضابط الامريكى المختص وطلب منه ان يعلم السلطات البريطانية بوجوده فى باريس حتى يمكن اجراء التحقيق توطئة لدحض التهمة الموجهه اليه .

هذا الكاتب العبقري
هل هو خائن أو عبيط؟

كانت نتيجة اتصال « وودهاوس » ان طار الى باريس احد موظفى وزارة الداخلية البريطـــانية وبدأ تحريات استمرت اسبوعين ادلى « وودهاوس » خلالهما باقواله وقدم شرحاً مفصلا وافيا لظروف ما حدث وملابســاته وطلب السماح له بالعودة إلى انجلترا ليتولى الدفاع عن نفسه ولكنه نصح بالبقاء فى فرنسا حتى ينجلى الموقف .

وعاش الرجل حزينا مكروبا وزاد من همه ان علم بموت امه وهو فى المعتقــل . وحدث فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤ ان ايقظه رجال الشرطة الفرنسية ونقلوه هو وزوجته الى « قصر العدالة » واحتجز هناك . فلمـــا تحرى « وودهاوس » عن السبب لم يجبه احد .

والقانون الانجليزى يدينه !

وعلمت السلطات البريطانية بأمر القبض على « وودهاوس » فأسرع احد رجال وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس وأخذ يتحرى عن سبب احتجــاز « وودهاوس » فعلم أن السلطات الفرنسية انما قبضت عليه ظنا منهم بذلك يجاملون بريطانيا . وكان ان افرج عن « إثيل » زوجة « وودهاوس » فوراً وبعد أربعة أيام من ذلك نقل « وودهاوس » إلى احدى المستشفيات وبقى معتقلا بها .

وتساءل الناس فى بريطانيا ودار الهمس حول اعتقال « وودهاوس » وانتهى الأمر بمناقشة الموضوع فى مجلس العموم . وتســـاءل الناس عن مـــدى تجـريم « وودهاوس » وتصدى النائب كوينتن هوج ـ وهو اللورد هيلشام كبير الهيئـــــة القضـــائية حاليـــا ـ للهجوم على « وودهاوس » وقال للمجلس ان الاذاعة من محطة العدو ، سواء باجر او لقـــاء اى ثواب ـ تعتبر ضرباً من الاتجار مع العدو وهو أمر يعاقب عليه القانون .. ولما كان الموضوع يخص مواطنا بريطانيا موجوداً فى خارج بلاده فقد اقترح العضو كوينتن هوج على وزير الخارجية اذ ذاك ـ انطونى ايدن ـ ان يتشاور مع رجال القانون فى أمر تجريم « وودهاوس » ورد وزير الخارجية بقوله « ما دام المستر هوج واثقا بان المسالة تتعلق بناحية قانونية ، فواجبه هو ان يوجه اسئلته لوزير العـــــدل لا لوزير الخارجية » .

فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٤ وقف النائب كوينتن هوج مرة ثانية فى مجلس العموم وقال إنه « علم ان الاذاعة من محطـــــة يملكها العدو لا تعتبر جريمة او جنحة فى نظر القانون البريطانى ولكنـــــه يرى ان الواجب هو ان تعتبر جريمة . ثم قال : « وانى اؤكد للمجلس انى اقف من هذا الموضوع موقف المحايد .. ولا انسى المتعة التى نعمت بها من وراء قراءة مؤلفات هذا الرجل ولست انسى ما اسهم به فى الادب الانجليزى .. ولكم كنت اتمنى ان المتهم كان شخصا غيره .. ولكن القانون يجب ان يقف موقفا محايداً من جميع الناس .. وانا مازلت ارى ان قانون الخيانة العظمى ينطبق على هذه الحالة .. فالخيانة العظمى هى اى عمل يزيد فى قوة العدو ويضعف من قوة الوطن » .

وبعد ان ادلى عدد من الاعضاء بارائهم وقف المدعى العام وقال « لقد بحثنا هذه القضية بحثا دقيقاً وتم الاتفاق على ان الأدلة على ان المتهم كان ينتوى مساعدة العدو ادلة غير كافية ولا تسمح او تكفى لاقامة الدعوى ضده » .

وكان من نتائج مناقشة القضية فى مجلس العموم أن عرف الناس ان الجهات الرسمية فى بريطانيا ترى أن « وودهاوس » لم يرتكب ما يعاقب عليه القانون .. وكان ان افرج البوليس الفرنسى عن «وودهاوس» وانتهت فترة « الحجز الاحتياطى » وخرج من المستشفى يوم ١٧ يناير ١٩٤٥ .

وعلى الرغم من ان عدداً من الادباء من أصدقاء « وودهاوس » ، وعلى رأســـهم جورج أورويل تصدوا للدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة ، الا أن « وودهاوس » ادرك ان وصمة العار التى لحقت به لن تزول بسهولة وأن الصمت الذى نصحه الناشرون بالتزامه لن يجدى كما انه لم ير حكمة فى ترك الدفاع عنه لغيره من الناس وهو القادر على التعبير بلغة يفهمها كل قارىء .. ولعله ذكر المثل العربى الذى يقول « ما حك جلدك مثل ظفرك » ..

وسنحت له الفرصة يوم نشرت مجلة « فرايانى » الامريكية على صفحتها الاولى يوم ٢٤ ابريل ١٩٤٦ خبرا قصيرا تحت عنوان :

فرنسا تبدد السحابة النازية عن بى جى وودهاوس

« تسلم الاديب بى جى وودهاوس من الحكومة الفرنسية إخطاراً بانه قد برىء تماما من تهمة التعاون التى جاءت نتيجة لاذاعاته من محطة برلين عام ١٩٤٠ . وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت من قبل براءته من التهمة نفسها وهو الآن حر فى أن يعود الى انجلترا فى اى وقت شاء »

قرأ « وودهاوس » الخبر فكتب رســـالة الى المحرر نشرتها المجلة يوم ٨ مايو عام ١٩٤٦ ، جاء فيها :

محرر مجلة « فرايانى » .

انا عـــــاجز عن التعبير عن سرورى باستلام رسالتك وامتنانى وعرفانى بجميلك إذ سمحت بنشر قصتى فى مجلتك . فانا كنا تعلم احد المتحمسين لقراءة هذه المجلة التى اقرؤها بانتظام على مدى ثلاثين عاما .. وليس فى العالم كله مجلة او صحيفة احب أن انشر قصتى فيها اكثر مما احب نشرها فى مجلتك لأن جمهور قرائها هو الجمهور الذى أعتز به اكثر من غيره .

عندما خرجت من السجن الفت كتابا عن تجربتى كسجين وتحدثت فى الفصل الثانى من الكتابات عن تلك الاذاعات . وكان أملى أن انشر الكتاب كاول ثمرة من ثمرات إنتاجى بعد الحرب ولكن ناشرى نصح بتاجيل نشره وقدم عليه روايتى « جيفز » التى تنشر فى اوائل الخريف القادم .

وعندى ان المشكلة الاساسية هى ان الناس فى امريكا لم يستمعوا لتلك الاذاعات وان الضجة التى حدثت فى انجلترا تركت فى نفوس الامريكيين انطباعاً بان الاذاعات دعاية المانية او انها تمتدح المانيا . الواقع انها كانت مجرد وصف فكاهى للحياة فى المعتقل وانها كتبت اساسا لتسلية الامريكيين والترفيه عنهم ، ولست ارى ضيرا فى نشرها كما هى فى اى مجلة او صحيفة انجليزية او امريكية .

ويعزز هذا الراى بعض ما ورد فى رسالة وصلتنى هذا الصباح من رجل يعيش فى انجلترا ، غريب عنى تماما ، قال إنه كان اسير حرب لمدة عامين ونصف وانه كان يقرأ كتبى وانها رفعت روحه المعنوية اثناء اسره .. يقول الرجل :

« اود ان اقول لك بعد ان قرات نسخة من اذاعاتك انى لا اتصور كيف يمكن لاى انسان عاقل ان يجد فيها ما هو موال للالمان او معاد لبريطانيا ولكنى لن اعطيك رايى فى الموضوع بل انقل اليك راى المرحوم مارشال الجو « بويد » وكنت مساعده الخاص ، وكنا اسرى حرب معـا فى ايطاليا ..

قرأ « بويد » إذاعاتك ثم اعطانى إياها وقال « لست ادرى كيف سمح الالمان باذاعة كل ذلك .. لست افهم السبب .. إما انهم ينعمون بقسط من روح الدعابة يزيد كثيرا عما كنت انسبه اليهم ، او ان هذه المقالات فاتت على الرقيب الالمانى فلم يدرك مغزاها ومعناها .. والا لكانوا رموا وودهاوس بالرصاص بعد اذاعتها .. » » .

ويقينى ان مارشال الجو بريطانى عرف ما احتوته اذاعاتى وقرا نصها ، وهذا راى يزيد قيمة ووزنا عن اراء جميع الصحفيين البريطانيين الذين لم يستمعوا لاذاعاتى ولم يقرءوا نصوصها .. والمؤلم هو ان الراى الذى وصل الى الجمهور فى بريطانيا كان راى الصحافة ..

وحدث بعد مشاورات فى باريس ان اخطرت السلطات البريطانية بعنوانى فى فرنسا فاوفدوا احد موظفى وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس ، وقدمت له بيانا كاملا مسهبا بكل ما حـدث . ودرست الحكومة البريطانية البيان والتحقيق الذى اجراه مندوب وزارة الداخلية ونوقش موضوع قضيتى فى مجلس العموم البريطانى وكان ان صرح وزير الخارجية انطونى إيدن وكذا المدعى العام بان الحكومة البريطانية لا توجه اليَّ اى تهمة .

من سوء الحظ ان مندوب وزارة الداخلية اخذ معه ـ الى جانب البيان الذى قدمته ـ ما كان عندى من نسخ لاذاعاتى فلم يبق معى الا صورة إضافية للاذاعة الثانية وهى عن سجن « لوس » ـ الذى قضيت فيه اول اسبوع من فترة سجنى ـ ويبدو انه من المستحيل على ان استرد نسـخ الاذاعـات .. ولكنى على استعداد لتسليم نسخة الحديث الثانى لمندوبكم فى باريس بامل ان تنشره مجلتكم ، ويقينى انكم سوف تتفقون فى الراى مع مارشال الجو « بويد » بعد قراءة الحديث .

وهكذا قص « وودهاوس » قصته على عدد ـ وان يكن محدودا ـ من القراء ، فاحس بشىء من راحة البال .. فلما سافر الى نيويورك بعـد ذلك استقبلته الصحافة هناك كما تستقبل اعظم العظماء واقامت المدينة الحفلات تكريما له .. وعادت الطمانينة الى نفسه فعاود الكتابة .. وعاد النقاد يكيلون له المدح ويتغنون بنبوغه وعبقريته فلما حل عيد ميلاده الثمانون لم يقصر اديب او عظيم فى تهنئته وامتلات صفحات الجرائد والمجلات برسائل التهنئة .. واثبت « وودهاوس » وهو فى الثمانين من عمره ان عقله النفاذ احتفظ بشبابه ونضرته وان الشيخوخة لم تنل من قوة تفكيره وقدرته على الخلق والابداع .. كتب « وودهاوس » فى يوم عيد ميلاده هذا يقول :

« تمنيت منذ طفولتى ان اكون كاتبـا لا لانى احمل رسالة معينة للانسانية ولكن لانى اعشق الكتابة ، ومازلت اكد وابذل قصى الجهد دون ان يطوف بخاطرى حتى ولا شبح مثل تلك الرسالة .. واكبر الظن انه اذا لم اعد فجاة الى شبابى وانا فى الثمانينات من عمرى فلن تتسلم الانسانية منى اية رسالة ..

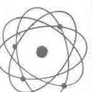
والغريب فى ايامى الاولى هو انى كنت اثق بنفسى ثقة تامة رغم العواصـف الثلجية من خطابات الرفض التى كانت تصحب مقالاتى وقصصى المرفوضة .. كنت اعرف انى كاتب مجيد ولم يداخلنى فى ذلك اى شك الا عندما تقدم بى العمر وانا اليوم فريسة لعدم الثقة بالنفس والقلق على مصير ما اكتب . بل وانى احسد اولئك المؤلفين الذين يرسلون مخطوطاتهم للناشر وهم على يقين من نجاح ما كتبوا ، واولئك الذين يؤمنون عند بدء اى كتاب جديد انه سيكون رائعة من الروائع .. اما انا فانى احس كلما ظهر لى كتاب جديد انى قطفت ليمونة حامضة من بستان الادب ، وهـذا إتجاه محمود لانه يسمح لى بالتواكل او التخاذل او الاهمال ، ويرغمنى ان اعيد كتابة كل جملة عشر مرات او حتى عشرين مرة . وقد لا تساوى كتبى ما يدفع فيها من ثمن ولكنى علم الله ابذل فيها كل جهد ممكن .. فاذا يوماً اجمع النـاس على مهاجمتى فارجو ان يرتفع من بين النقاد صوت واحد يقول :

« إنه كان يبذل غاية جهده » » .

والذى لاشك فيه هو ان « وودهاوس » كان يتقن وضع عقد رواياته ويجيد حبكها وتصوير شخصياتها ... ومن هـذه الشخصيات ما سيكتب له الخلود فى الأدب الانجليزى ، من ذلك شـخصية « جيفز » و « العمة اجاثا » ، و « اللورد إمزورث » و « يوكردج » ، و «اللورد إكنهام» (العم فرد) وهذه كلها شخصيات حية نابضة لا تقل فى قوتها عن « هـاملت » و « عطيل » و « شايلوك » و « ليدى ماكبث » او عن « فاجان » وميكوبر » ..

ويجب ان لا ننسى ان « وودهاوس » اختار ان يكتب ما يضحك الناس والـذى يستطيع من الادباء ان يبرز فى عالم الفكاهة جد قليل .

جمال الكنانى



العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

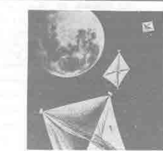
● مضخة موجهة لنقل الدواء

توصل العلماء الى طريقة جديدة لتوصيل الدواء مباشرة الى العضو او الجهاز الذى يحتاجه . وذلك بواسطة مضخة تزرع بالكامل فى جسم الانسان بحيث تقوم بتنقيط الدواء قطرة قطرة وتوجهه للهدف مباشرة . وبدلا من ان يمر الدواء عشوائيا داخل الجسم وينتشر بدون داعى فى اجزاء مختلفة منه تقوم هذه المضخة التى لا يزيد حجمها عن علبة السجائر وهى تثبت فى صدر او بطن المريض بتوجيه الدواء الى العضو المراد علاجه وتحتوى المضخة على سائل مضغوط يسحب المادة الفعالة او العقار خلال انبوبة بلاستيكية الى الهدف . ومن بين الادوية المستخدمة فى هذه المضخة مادة الهيبارين وهى المادة التى تساعد على عدم تجلط الدم داخل الاوعية الدموية ولذلك فهى تستخدم فى علاج اضطرابات الدورة الدموية وتخثر الدم .

وكانت نتائج التجارب التى اجريت مرضية للغاية فلقد سمحت هذه المضخة لـ ٩٢٪ من المرضى باستكمال العلاج خارج المستشفى كما تفادوا عمليات الحقن المتكررة بالهيبارين .

ويجرى حاليا تجربة ادوية اخرى يمكن تزويد المرضى بها بواسطة هذه المضخة .

● سفن فضاء شراعية



يقول الاعلان « رحلة من الارض الى القمر بسفن شراعية» لا تندهش .. انه مشروع فضائى امريكى اوروبى ينتظر تحقيقه فى عام ١٩٨٥ .

فسوف يحمل الصاروخ « اريان » ثلاث سفن فضاء شراعية ليطلقها فى مدار ثابت فوق الارض يبعد عنها حوالى ٣٦ الف كيلومتر . لتبدأ عند ذلك كل سفينة فى العمل منفردة . فكل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تتنافس فى هذا المجال وكل لها سفينتها الخاصة .

ولقد سبق ان تنبأ الفلكى كيلر بذلك منذ حوالى اربعة قرون . اذ افترض ان فيضا من الجسيمات الموجودة فى الفضاء قادرة على دفع اشرعة مثل هذه السفن بحيث تمدها بالطاقة الحركية اللازمة .

فى حين يتولى رواد الفضاء توجيه السفن الشراعية من الارض اخذين فى الاعتبار معطيات غير عادية مثل قوة جذب القمر والارض وسرعة الرياح الشمسية المحملة بالشحنات الخ .

إلا ان شراع هذه السفن الفضائية لم يصنع من الكتان مثل اشرعة السفن الشراعية التى تبحر فى الماء . فلقد صنع من غشاء رقيق من مادة صناعية ويبلغ قطر هذا الشراع حوالى خمسين مترا .

● استمع الى ساعتك



لم تعد الساعة المزودة بشاشة تليفزيونية والتى تظهر فى قصص الخيال العلمى بعيدة التحقيق فالساعة الراديو اصبحت حقيقة واقعة . فسوف تستطيع من الآن فصاعدا الاستماع الى نشرة الاخبار من خلال ساعة معصمك فهى اخر صيحة فى عالم الاجهزة اللاسلكية .

ولكنك سوف تحتاج لسماع اذاعتك المفضلة الى سماعات ولم يكتف المبتكرون بذلك فثبتوا الراديو فى إطار نظارتك ايضا بحيث تضع السماعة فى اذنك مباشرة . اما للبحث عن المحطة المختارة فيكفى تحريك مفتاح صغير خلف زجاج العدسة اليمنى ، إلا ان هذه النماذج المبتكرة من الاجهزة اللاسلكية لا تستقبل الا الموجات القصيرة فقط .

● الكيس السحرى

يقدم مخترع التحميض الفورى طريقة جديدة لتحميض الشرائح الفوتوغرافية فى خمس دقائق وبدون حجرة مظلمة وفى درجة حرارة عادية ، إلا ان هذه الطريقة المبتكرة لن تضطرك الى شراء كاميرا جديدة لان هذا الفيلم ذا الحساسية الخاصة يمكن استعماله مع اى نوع من الكاميرات . فبعد الانتهاء من التقاط الصور يتم وضع الفيلم فى صندوق صغير ويضاف اليه كيس صغير من المواد الكيماوية يباع مع الفيلم .

وعليك بعد ذلك ان تنتظر بهدوء وتعد الثوانى قبل ان تخرج الشرائح من الصندوق جاهزة للعرض .

ومن المتوقع طرح هذه الافلام والكيس السحرى فى غضون الشهور القادمة فى الولايات المتحدة .

مقص الرقيب فى منزلك

سوف يتمكن الكبار قريبا من مراقبة ما يشاهده الصغار من افلام تليفزيونية وافلام فيديو ومنع ما قد يرونه ضارا بابنائهم . فلاول مرة يضم جهاز تليفزيون دوائر الكترونية تتيح للوالدين منع استقبال الجهاز لارسال قناة معينة او اكثر . وبالتالى يستطيع المشاهد الحيلولة دون استقبال جهاز تليفزيونى للبرامج التى لا يريد لاطفاله مشاهدتها وذلك بالضغط على بعض ازرار جهاز للتحكم عن بعد يباع مع التليفزيون .

ويختار المشاهد كود رقمى معين يتكون من اربعة ارقام ويسجله على ازرار جهاز التحكم عن بعد ثم يختار رقم القناة المطلوب الغاء إرسالها . كما تستطيع هذه الدوائر وقف استقبال شاشة التليفزيون لارسال الفيديو . ويستمر هذا الالغاء لمدة ١٢ ساعة وان كان فى امكان من يعرف الكود تشغيل القناة قبل مضي هذه المدة .

وبالتالى يستطيع الاهل مراقبة ما يشاهده اولادهم حتى وان كان الاهل خارج المنزل .

ولكنه فى الوقت نفسه سلاح ذو حدين فاذا وقع فى ايدى الأبناء فبامكانهم فى المقابل الغاء القنوات التى يرغب الكبار فى مشاهدتها .

آلة تحرس صحتك



قد يرجع العديد من امراض العصر الخطيرة الى النظام الغذائى الذى نتبعه . فالاسراف فى تناول ملح الطعام يساعد على ارتفاع ضغط الدم وما يستتبع ذلك من امراض القلب والشرايين . كما ان الاسراف فى تناول السكريات والدهون يؤدى الى السمنة وهى بدورها وراء عدد غير قليل من الامراض .

ولذلك صممت احدى شركات الاجهزة الالكترونية آلة حاسبة صغيرة لحراسة صحتك ومراقبة استهلاكك من الملح او الكولسترول او السعرات .

ولتحديد المراد حساب استهلاكه يضغط على زر معين من ازرار الآلة الحاسبة وباخبارها بكل ما يدخل جوفك خلال اليوم تحسب الآلة عنك كمية السكر او الملح او الكولسترول التى تناولتها بدقة متناهية تصل الى جزء من المليجرام .

واذا زاد الاستهلاك من احدى هذه المواد عن الحد الصحى ترسل الآلة الحاسبة انذارا فى شكل رنين متواصل للتحذير .

الكتب تتكلم ..

قد تتكلم الكتب قبل نهاية العام الحالى فى الولايات المتحدة . لا تندهش فالامريكيون يؤكدون ان تحقيق ذلك امر يسير فهو يعتمد على تكتيك بسيط للغاية . وهو تحويل الكلمات الى كود خطى يتكون من خطوط سوداء واخرى بيضاء بحيث تتضمن هذه الخطوط مجموعة من المعلومات يتم قراءتها بواسطة قلم الكترونى . فعند امرار القلم امام الكود الخطى يتم تسجيل ما يقرا مباشرة فى ذاكرة احدى الوحدات الطرفية للكمبيوتر .

ولقد استخدم نفس التكنيك فى وضع كتب للاطفال ولكن بعد ربط القلم الالكترونى بدائرة لتوليف الصوت بحيث تردد بصوت عذب ما يقراه القلم . ومن ثم يستطيع الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة بعد الاستماع الى قصص الاميرة والاقزام السبعة وذات الرداء الاحمر . الخ

كما يمكن استخدام هذه الكتب المتكلمة فى مكافحة الامية فى البلاد النامية .

هاتف للصم

لن يقتصر استخدام الهاتف على من يتمتعون بحاسة السمع فسوف يتمكن الصم من استخدامه ايضا .

ويتركب الهاتف الجديد من لوحة ازرار يستخدمها الاصم فى كتابة نص المكالمة وشاشة صغيرة يظهر عليها عشرون حرفا دفعة واحدة بالاضافة الى جهاز لتحويل اشارات هذا الهاتف الى اشارات صوتيه تستطيع الانتقال خلال الاسلاك .

فعندما يستقبل جهاز الاصم مكالمة هاتفية يضيء نورا قويا لينبهه الى المكالمة . وعند فتح الخط يدرك الهاتف الأخر ان الاتصال تم ويظهر على الشاشة اسم وعنوان المتحدث وعندئذ يبدا الطرفان فى الحديث عبر شاشة كل جهاز . ولخفض زمن المكالمة واختصار المقدمات التقليدية سوف يوصل مسجل بالجهاز لتسجيل رسالة تتكون من ٨٥٠ حرفا يكون الاصم قد كتبها على الشاشة وتنتقل الى المسجل من خلال وحدة ذاكرة موجودة فى الجهاز . وعند اى اتصال يتم تشغيل جهاز التسجيل .

الا ان نقطة الضعف الوحيدة ان هذا الهاتف لا يستطيع فى المرحلة الحالية الاتصال الا بهاتف مزود بمثل هذه الاجهزة .

تمثيلية يابانية قديمة

بدون عنوان .. لمؤلف مجهول

ترجمها عن الفرنسية
نبيل الألفي

هذه التمثيلية تنتمى الى تمثيليات الأسواق القصيرة فى نهاية القرن السادس عشر ، التى تتميز بالشعبية والحيوية والهزل المجنون ! على أن جذور جنون هذا « الاسكتش » ولا معقوليته قد ترجع الى حياة أول من عاشوا بالجزر اليابانية بغير مفهوم واضح للتفريق بين « روح » و « جسد » او بين « حياة » و « مـوت » !

الشخصيات :

- هاناشيكا :
- تشايجن :
- جمهرة من الناس

مكان الأحداث :

- أولا : بمسكن متهدم فى حى فقير خارج أسوار المدينة .
- ثانيا : فى أحد الممرات المحيطة ببناء معبد قديم .

(هاناشيكا نائم ، يدخل تشايجن)

تشـــايجن : هيه ! ايها الصديق العزيز ! اتستسلم إلى النوم ٠؟ كيف هذا٠٠؟ بان .. بان .. بان !

هانا شيكا : اه ! أهذا انت ٠؟

تشـــايجن : الزم الصمت ، واستمع إلى ! انك احمق، شديد الاهمال ، فاقد البصيرة ، ولا سبيل إلى إنقاذك !

هانا شيكا : ماذا تقول ٠؟

تشـــايجن : ماذا تقول ٠؟ رائعة جدا هذه الـ « ماذا تقول ٠؟ » ... الم تعرف بعد ٠؟

هانا شيكا : تكلم ، ارجوك ، ما الخبر ٠؟

تشـــايجن : يالك من احمق شديد النزق حقا ! بينما كنت اتمشى بين اروقة معبد « ازاكوزا » الكبير وجدت بالمصادفة رجلا ميتــا ممددا على الارض الصلبـــة القاسية ، وقد تجمع حوله حشد من اولئك المتســـكعين الذين يقضـــون كل وقتهم فى التطلع بغباء الى ما يجرى حولهم ، فكان على ان افرقهم ، حتى استطيع ان ارى جيدا ..

هانا شيكا : وبعد ٠؟

تشـــايجن : وبعد ذلك .. اه .. ارجوك لا تصرخ ! تعدنى بان تظـــل هادئا ، اليس كذلك ٠؟

هانا شيكا : حسن ، تكلم ، مـــاذا هناك ٠؟

تشـــايجن : لقد تقدمت ، وبرفق رفعت الغطاء الذى كان يغطى الجثة ونحيته جانبا ، ونظرت ، ثم امعنت النظر ، ... فهـــل تستطيع أن تتصور من وجدت إنه انت .

هانا شيكا : انا ٠؟

تشـــايجن : انت نفسك ، لقد قلت عندئذ لكل اولئك المتسكعين البلهاء إننى ساحضر الشـــخص موضوع الواقعة ، لكى تسلم إلينا الجثة بعد التحقق من الشخصية على مشهد ومسمع

من الجميع ... بالاختصار ، ساقودك الآن إلى ذلك المكان .

هانا شيكا : إلى ذلك المكان .؟

تشايجن :نعم ، إلى ذلك المكان . هنا ، غمغم بصلاتك ثم اتبعني .

هانا شيكا : يضايقنى بعض الشىء ان اظهر نفسى أمام الجمهور وانا ميت !

تشايجن : إنه انت المسئول عن ذلك ! هيا ما عليك إلا أن تتبعنى ، وانا كفيل بالباقى ... ينبغى ان تعجل ، وتنفذ على وجه السرعة ما اقوله لك ، الا يكفى انك ارتكبت مثل هذا العمل المشين ، وتسببت فى مثل هذه الفضيحة .؟! انسان يسقط ميتا فى الطريق ، ويظل جاهلا بالأمر طوال الليل ، نائما حتى الضحى .؟! لم يسمع احد بهذا من قبل !

هانا شيكا : اه .. ما اشد إهمالى وحمقى !

تشايجن : ها انت ذا اخيرا تعترف ! هيا بنا ...

● ●

(انتقالة إلى الممر بين اروقة المعبد)

تشايجن : معذرة ايها السادة ، نحن اصحاب الحق ، هذا هو الرجل موضوع الواقعة ... لقد استجوبته ، فاجابنى بانه لا يذكر انه سقط ميتا اثناء الليل ، مادام هو فى خير صحة وعافية هذا الصباح !

احدهم : (إلى هانا شيكا) ليس هذا مجال المزاح يا سيدى !

تشايجن : استمعوا إلى ايها السادة ! لقد ذكر لى كل ما فعله البارحة وهو على وجه التحديد قد سقط ها هنا .. فى هذا المكان بالذات ، فما عليكم إذن ، إلا ان تنظروا كيف تضاهى الجثة صاحبها الماثل هنا امامكم ، ثم تتفضلوا بتسليمنا الجثمان الذى هو من حقنا ، بما انه لم يظهر حتى الآن احد من ذوى قرباه ...

احدهم : وإذن .؟ فانت تزعم انه انت من مات هنا .؟

هانا شيكا : لست ازعم شيئا !

اخر : انظر الى الجثة .. راجع ودقق ..

هانا شيكا : (إلى تشايجن) لا ، لست اريد لا تحملنى على إظهار جزعى وألمى امام الجمهور ! اننى ادرك هول ما فعلت ، وهذا يكفى .

تشايجن : هيا ، انظر إذن !

هاناشيكا : واسفاه ! بالتعاستى وشقائى !

احدهم : تشجع يا رجل ، لن نفعل بك شيئا ، نريد فقط ان نقنع انفسنا ..

هاناشيكا : (وهو يكشف لنفسه قليلا عن الوجه) حسن ، إنى ارى ... اوه ! الوجه يبدو مع ذلك ، اكثر استطالة .. بعض الشىء .!!

تشايجن : إنها الشمس ، لقد بقيت معروضا تحت وهجها ساعات عديدة ..

هانا شيكا : لكم تبدو العيون غائرة فارغة ! يا لحظى المنكود ! هو حق إذن ، اننى مت ! اهذا صحيح .؟ هكذا سريعا .؟! كان ينبغى لى ان اقضى امسية جميلة رائعة ، وان الهو واستمتع على تمام راحتى فى الليلة الماضية ! إن هذا محزن للغاية .. ماذا افعل .؟ إننا لا نستطيع ان نوقظ الموتى ! لا نستطيع ..

احدهم : (إلى تشايجن) دعه الآن يا سيدى ، ها هو ذا يعانق جثته ... (وبعد لحظة ، إلى هاناشيكا) حسن ، اترى الآن كل شىء بوضوح .؟ هل استوثقت الآن من انه انت .؟

هانا شيكا : نعم .. ولكن ، قولوا لى اولا ، من كان ذلك « الإنسان » الذى اصبح الآن جثتى .؟ من كان ذلك المخلوق الذى ابكى مصيره .؟!

(لا جواب) .

(ينحنى هانا شيكا على الجثمان باكيا ...) .

● ●

ختام اخر

(لا جواب) !

(يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه وهو يبكى ، ويستدير به ـ ومن خلفه الحشد ـ نحو نهاية الممر ، ثم يتجهون جميعا إلى داخل المعبد) .

ختام ثالث

(لا جواب) .

(يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه ، ويتلفت إلى جمهور المتسكعين من حوله ، ثم يطرح سؤالا جديدا) .

هانا شيكا : اما من « عمل » يعيد إلينا الحياة .؟ أو حتى مجرد ظل للحياة .؟

(وينتهى العرض بان يظل السؤال مطروحا حائرا) .

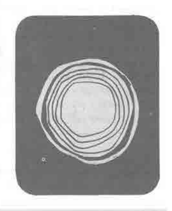
ملاحظات

١ ـ مثل هذه التمثيليات القصيرة التى مثلث قديما باسواق طوكيو ، كانت تستوعب الاضافات والارتجال وتلقائية الاداء ، دون التمسك بنص مكتوب له صفة الثبات .

٢ ـ المعنيون بمسرح « الكابوكى » اهتموا كثيرا بهذه التمثيليات فكانوا يرتادون الأسواق لمشاهدتها واستلهام طابعها الشعبى وتلقائية ادائها وحيويته .

٣ ـ الختامان الثانى والثالث يقترحهما المترجم ليقدم العرض مقرونا بثلاث نهايات مختلفة ، بغرض إفساح المجال امام مناقشة مضمون العرض وامام إشراك المتفرجين فى المناقشة .

(ن . أ . ن)



أصوات نسائية في عالم القصة القصيرة القطريّة

بقلم : عبد الرحمن محسن

ام أكثم – يوميات فى المنفى

«وصاحب المقهى .. نعم يا سيدى انا بحاجة لفنجان قهوة دافىء . ارجوك لا تحملق فى بعينيك الزرقاوين . انهما سماء وطنى – وانا ارغب أن انسى ..هذا المساء .. ارجوك سيدى ابعد لون عينيك عنى . إنه البحر الذى يحتضن مدينتى بصدره الواسع وانا أرغب ان انسى – ارجوك» .

النفى والاغتراب وارصفة المدن البعيدة ومصحاتها النفسية وصقيع الطرقات والوجوه – تلك هى التيمة الأساسية فى اعمال هذه القصاصة الموهوبة المثابرة . ورغم احاديه هذه التجربة التى تتكرر فى معظم اعمالها إلا ان قدرتها على استخراج اللحظات الكثيفة المتجددة منها ، يجعل من هذه التيمة إطارا واسعا يجمع بين أطرافه هموم المراة – واشجانها – .

فالمراة المغتربة هى تلك الفتاة التى سافرت لتتعلم ، فاصطدمت بذلك العالم المرعب من التقدم المادى والتحرر أو الانفلات ووقفت امام مبهورة الانفاس خلفها البحر والسماء الصافية ، وابن العم الذى ينتظرها للزواج – وامامها هذا البحر الذى عليها ان تعبره دون ان تغرق فى لجته .

وهى ايضا تلك المريضة التى سافرت لتستشفى – من علل الروح – فاصابها المنفى بالمزيد من العلل – ولم تجد من تتعاطف معه فى هذا الكون إلا ذلك الغريب المعتل بلا هوية .. رفيق المصحة ، التى تحول حراسها الى جلادين بالهراوات ، والعصى والاوامر . ويستمر هذا الصوت شجيا دائما تتصل نغماته – الحزينة فى «يوميات من المنفى» .

فالغربة دائما شتاء قارس طويل ممتد .. يشبه «شتاء الاسكيمو» والوحدة فيه دائما مع الجدران والاحزان والامال المجهضة .

«ما اقساك ايتها السمراء الطيبة – فى ليلة ماطرة كجراحى جاءنى المخاض على غير موعد .. كنت وحيدة .. هجرنى قبل ان اخبره بحملى هجرنى مطاردا الخمر والقمار والنساء ، التى نبتت فى دمه ولحمه كالطحالب السامة .. ذبلت حياتى .. لكنها ستورق من جديد .. الطفل سيعتقنى وينقذنى .. هذا القادم المنتظر كالشمس الدافئة فى ليلة مثلجة سيعود المطر اهمس فى قلبى سيعود بعد الولادة .. سيعود مع هذا القادم المنتظر وانا اصدق المطر !!

وتعبر الكاتبة تجربة المخاض .. تتصبب لغتها عرقا وهى تروى لنا عن هذه الوحدة وهذا الهجر وذلك الالم العظيم .. ولكن دون جدوى .. فلا القادم الجديد المنتظر اتى ولا عاد من هجر .. مات – مات القادم المنتظر مات .. اسقط على الأرض الباردة – عشرات الأذرع تمتد نحوى – اسقط وتسقط الحياة» .

والنفى والغربة عند «ام اكثم» ليس نفيا مكانيا فحسب – بل هو فى الغالب الأعم نفى اجتماعى يعكس تمزق المراة بين وعيها ووضعها حبيسة الجدران والتقاليد – او ضحية للهجر – والنقد – او نزيلة للمصحات النفسية – فدائرة النفى عندها تكاد ان تكون محكمة الاغلاق . الذهاب نفى والاغتراب والأياب مثله . ولا يبقى للمراة المنسحقة بين شقى الرحى هنا وهناك إلا ان تستسلم – او تغرس اظافرها فى اكتاف من تهوى «بعد ان جففتها السنوات فى «حلم ليلة صيف»» .

«جفاف ثلاثين عاما ياكل شفتى .. احاول التحديق فى وجه امى المتعب – افشل – اجفانى ثقيلة – ثقيلة – كقطع من الحديد تسقط داخل عينى .. اغمضها .. الخريف – الخريف يا امى يجتاح سهولى .. كاسراب الجراد وانا اذوي كحقول الذرة . انا يقتلنى الجفاف صلي .. صلي يا امى صلاة المطر استسقى السماء» .

ولا يبقى امام هذه المراة الخريفية المهجورة إلا ان تستسلم لتفاصيل الكابوس الليلى الذى يطاردها حتى تستطيع ان تنام – تصعد السلم المهجور العتيق الى سطح الدار – حيث تطل على وجه الكابوس – الجار ، وتصرخ صرخة تشبه عطش الأرض التى جففها القيظ شوقا للمطر «ندت منى صرخة . استيقظ النائم .. اضاء المصباح . تقدم بهدوء كسحابة ممطرة .. انغرست يدى فى كتفه كنبتة غرست هناك . انسكبت ضفائرى . ارتجف ثوب نومى الازرق – إنى احترق . احاول الصراخ . احاول الصراخ عجزت لم اصرخ . اغمض المصباح جفنه . لفنا الصمت تنفست بعمق . تملكتنى السكينة غفوت .. كان القمر بدرا والصيف يمطر حرارة وحبات عرق» .

واذا كانت صورة المراة المنسحقة بين الغربة الواسعة وصمت الجدران الصماء ، هى الصورة الغالبة على بطلات «ام اكثم» . فان صورة الرجل من هذه القصص تبدو دائما ضبابية غائمة تماما كالطقس الخريفى والشتاء الذى تجرى احداث معظم قصصها فيه .

الرجل غائب فى الغالب – بالهجر او الموت – او الاستحالة ، ويبدو خليطا من الحلم والكابوس ، ليكمل بذلك إحكام الدائرة المغلقة .

ورغم ان العديد من قصص «ام اكثم» تجرى فى المنافى وبلاد الغربة ، يلفها البرد والمطر والصقيع .. لكن هذا الاغتراب لا يضع ادبا غريبا عن الواقع البعيد .. بل يحمل بين طيات نسيجه المرهف هموما تزداد حدة وكثافة كانها غيوم تلك البلاد التى توشك ان تمطر .

ولاشك ان سبع سنوات من المثابرة والنشر قد تطورت بادوات هذه الاديبة بالرغم من غياب النقد . فالصور الشعرية التى تقطر الشجن تزداد انتشارا فى جنبات قصصها الاخيرة .. واللحظة المنتقاة .. اصبحت اكثر تركيزا .. واثرى بالدلالات والقدرة على العطاء . ولكن هل يمكن لتجربة وحيدة مهما كان تميزها واتساعها – هل يمكن لنظرة ساكنة الاحزان ان تستمر فى العطاء دوما وبنفس هذه العذوبة ؟ ليس هناك ما يجعلنا نقطع بما هو العكس حتى الان على الاقل .

في البداية .. سيعتقد المتتبع والدارس لفن القصة القصيرة في قطر، ان المصادفة وحدها، هي السبب في ان معظم ما يقع في يده من قصص قصيرة موقع باسماء نسائية . ولكن مع المزيد من البحث والتدقيق، سوف يكتشف ان ما بدا له مصادفة، إنما هو ظاهرة واضحة المعالم والعطاء . فمنذ سبع سنوات وتلك الأسماء او غالبيتها، لا تكف عن النبض والتدفق في عالم القصة القصيرة . وعلى الجانب الآخر من الظاهرة للتلفت والانتباه .. تخفت اصوات الرجال ويشح عطاؤهم !

ومن بين تلك الأسماء، سنختار ثلاثة اصوات متميزة، تجمعها التجربة المشتركة، ويفرق بينها الموقف، وجميعها تشترك في الابداع والاستمرارية : ام اكثم .. التي تدفق عطاؤها القصصي وتطورها الملحوظ على مدى سبع سنوات . كلثم جبر .. صاحبة المجموعة القصصية النسائية الوحيدة المنشورة «انت وغابة الصمت والتردد» – ثم نوره ال سعد صاحبة الصوت الفني المتميز، وعدد كبير من القصص القصيرة الناضجة فنيا .

كلثم جبر وغابة الصمت والتردد

منذ اربع سنوات صدرت عن دار العهد للطباعة والنشر في قطر اول مجموعة قصصية تحمل اسم فتاة قطرية . المجموعة بعنوان «انت وغابة الصمت والتردد» والكاتبة القطرية هي كلثم جبر .

ومنذ القصة الأولى – في المجموعة .. «قصة حائرة» تتضح معالم الرؤى الخاصة لهذه الأديبة الـ(الحائرة) بين التقاليد وطموحات الذات .. بين الاقتحام والاحجام – فـ «هي انت اليهم هاربة من الحبيب انت اليهم تنشد السلوى والنسيان بقربهم – تحتمي بهم حتى يحين موعد سفرها . وهم : محمد .. علي فاطمة – وسالم» ابناء عمها .. وهي تنشد النسيان بعد ان «رحل الحبيب عنها ومن حياتها الى الأبد . تاركا لها الألم والفراغ من بعده» .

- وفي هذه القصة وفي بقية المجموعة تظل دائما هذه الحيرة تمسك بتلابيب الكاتبة . فابن العم الذي يبدو في القصص التقليدية رمزا للقهر والتقاليد حين يتحتم الزواج منه يبدو في هذه القصة الملاذ والمنقذ . واما الاب – تجسيد هذه التقاليد وسلطتها المطلقة – يبدو في قصة «الوهم» الضوء الكاشف الذي يعكس صورة اخرى للاب – العم الذي «يتحدث بقوة .. بكبرياء .. يامرني . كلماته قوية امرة وانا لم اتعود الاوامر – ولكني انصاع اليه – واحس بالحرج ينتابني وكانه يحادثني من قمة السماء وانا نملة صغيرة جدا تحت قدميه» !!

«وعدت اطلب الفرار من جديد، والتقت عيناي بنظرات والدي الباحثة عني . تنفست الصعداء .. تواريت بابي متعلقة بذراعه . هاربة من الوهم الذي قيدني» .

ورغم ان هموم العواطف والعلاقات الخاصة بين المراة والرجل هي ما يشغل معظم مساحة هذه المجموعة . ويعكس هذه النظرة التوفيقية بين



التقاليد والرغبة في التحرر .. إلا ان القصص النادرة التي تتعرض للمشاكل الأخرى . تعكس نظرة اكثر نضجا وتحررا . فالعمل في قصة «ليل واسى» يبدو هو القيمة الأساسية التي يمكن ان تهب المراة القوة والتماسك . في مواجهة الظروف والرجل الذي يتحكم في مصيرها .

وصورة الرجل في اعمال هذه المجموعة تعكس دائما – تلك النظرة الرومانسية الباحثة عن الحماية والقيادة – والاستسلام لقدرته كقدر مطلق حتى لو استخدمت تلك القدرة في سحق الروح والأمل والتطلع . استسلام يخلو غالبا حتى من نبرة المرارة او التمرد .. وملامح الرجل الأب – هي السمة الاكثر غلبة على شخصيات وابطال قصص هذه المجموعة – إلا فيما ندر .

ولعل افضل قصص هذه المجموعة هي تلك القصة التي تركت فيها الكاتبة لصدقها العنان في توضيح حقيقة هذا الموقف المتعاطف مع هذه الشخصية . دون فرض إطار ذهني من التناقض .. ففي قصة «زهرة الزنبق» حين تهزم الشيخوخة الأب يظل رغم كل شيء بنظراته ولفتاته من فوق مقعده المتحرك ذلك القدر الذي تاخر قليلا في اكتشاف ماساة ابنته «زهرة الزنبق» وكانه فقط هو القادر على انقاذها من مصيرها المؤلم .

وهذه القصة التي تروى على لسان : الأب – تبدو رغم قصرها انضج قصص المجموعة حيث تلتقط فيها الكاتبة لحظة درامية مكثفة – تمتلىء باللالات وتطلق العنان للغة شاعرية رقيقة بعيدا عن التقريرية والوصفية التي تشيع في معظم قصص المجموعة . واذا كان هذا هو الموقف الذي يسود اعمال الكاتبة القصصية كلثم جبر في مجموعتها الأولى (انت وغابة الصمت والتردد) فان الانتقال الى اخر اعمالها قد يفيد في تتبع مسار هذه الرؤى ففي قصتي (الضياع) و (ميلاد جديد) بعض ما نشر لهذه الكاتبة في السنوات الأخيرة – تظل صورة الأب «القدر» المسيطر هي الغالبة حتى حين يسقط في (الضياع) والادمان، وحتى حين تحمل الابنة همه وهم الابناء والأشقاء – وحين تفقد الحب وفرص الزواج بسببه .. تستسلم لهذا الشقاء وتعطي للاشقاء المزيد من الحنان – علها تعوضهم عن الأب المفقود .

واخيرا .. تشعر هذه الكاتبة باسر هذا الاطار – فتحاول الانفلات والبحث عن «ميلاد جديد»، وان تسافر بلا حقيبة – ان تبحث عن اسم جديد – وهوية جديدة، او لا هوية .. لكن صوت الاب ياتي زاجرا «اين حقيبتك ؟ فتطرق صامتة «خائفة ؟ العياذ بالله وهل مثلي تخاف ؟ ولكن اكن لهذا الصوت احتراما شديدا – يفوق احترامي لنفسي ولذا علي ان اشرح» .

لكنها تنفلت في الصباح من جديد محاولة البحث عن الاسم المفقود وعن اللاهوية، وتزرع بخطواتها التي تبدا واثقة شوارع باريس بلا حقيبة فالحقيبة هوية، ولا نقود، فالنقود هوية – وتنكر اسمها ومنبتها – ولكن لنهار واحد – يمسك الفزع بعدها بالروح والجوع والانهاك فتعدو باحثة عن الطريق الى الملاذ .. الاب، والهوية، والحقيبة .

أصوات نسائية

«الى من يهمه الأمر» : نوره آل سعد و «المرأة القنفذ»

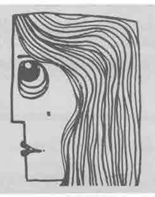
«وأعلنت اننى استقيل من جوارى السلطان ، وأرفض ان اكون محظية القصر العثمانى ، ورحت أبث فى كل اذاعاتى بيانات القوة والتصريحات النافذة الى الصميم واخبار معارك وهمية ، وضحايا بالملايين ، ونسيت الطرف الآخر – لكنه لم ينس كان يعمل فى صمت بسكينة واستراتيجية عريقة وأناقة» .

وهكذا يبدو الصراع دائما حادا وساخنا عند الكاتبة القصصية نورة آل سعد ، الصوت الثالث المتميز بين الأصوات النسائية فى القصة القصيرة القطرية – ومن حدة هذا الصراع تتولد اللحظات الدالة الكثيفة الى الحد الذى تبدو معه بعض قصصها أشبه بصرخة ألم حادة ، لكنها تخلو من الذلة والمسكنة ، مثلما تخلو من تلك المحاولات المضنية للتوفيق بين طرفى الصراع ، وايضا من تقديم الحلول الجاهزة الساذجة .. لتحتفظ بكثافة الألم الناتج من هذا الاحتكاك المضنى ، انها تعرض الواقع كما هو متحيزة بشكل واضح تجاه الطرف المهزوم والاضعف دون ان تحدد زمنا او اسلوبا للنصر .

ولا تقتصر هموم المرأة عند هذه الكاتبة على أشواق الحب والزواج – بل تتخطاها إلى التواصل الانسانى المفقود – الى العجز الانسانى امام الجدار الصلد – عجز الرجل وعجز المرأة – على السواء .

« انتم من جعلتم اسمى مرادفا لمعانى الجهل والتفاهة والجرم والخنوع ، لانكم مازلتم تحاسبوننى على تفاحة ادم فى حناجركم .. لانكم تناسيتم كل أغلاط التاريخ ، وكل همجية الاستعمار ، وكل النكسات والهزائم ، وكل جراح الكرامة ، لانكم تعاقبوننى على القيود التى ترسفون فيها ، وعلى العاهات التى تعانون منها » .

ورغم هذه الحدة والمباشرة التى تشيع فى بعض القصص إلا ان موهبة هذه الكاتبة تتجلى فى دمج هذه الصرخات فى سياق منطقى من الحدث المكثف – وتصل احيانا الى درجة من الشفافية لا تحتاج معها حتى إلى هذه المباشرة بل تكتفى بان تضع المعطيات وتناقضات الواقع فى روح شخصية متميزة الملامح ، تتخبط بين الجدران كاشفة لنا ما يجب ان نراه .. فالمرأة القنفذ تلك الدمية المدللة التى لا تخرج إلا فى صحبة الاهل ، والتى تجاب رغباتها المادية الصغيرة حتى قبل ان تبديها .. تكتشف فجأة



حين تفقد الأهل فى الزحام .. انها لا تعرف حتى عنوان مسكنها ولا اسم الشارع .

« هل اتخذ تاكسيا لكننى لا احمل مالا – كانوا يتكفلون دائما بكل المصاريف للمواصلات ، والطعام والشراب والمسكن وكل شيء اى شيء ، وعلى كل فانا لا اعرف حتى عنوان شقتنا – ليس بالضبط على الأقل .. اعرف اسم الحى واجهل اسم المنطقة والشارع ورقم العمارة وما قربها وما امامها ، وما خلفها .. اجهل جنوبها وشمالها ، شرقها وغربها ، ارضها ، وسماءها ، ولم احتج يوما ان أعرف شيئا من هذه الامور الشديدة التعقيد ، لا احتاج لها لاننى اخرج معهم واعود معهم ، لاننى دائما تحت انظارهم » .

وفى تلك اللحظة الكاشفة – تواجه المرأة القنفذ لأول مرة حقيقتها ، وحقيقة التدليل .. تتخبط .. وتنهار – لا تعرف إلى اين تذهب ، ولا تجرؤ ان تسأل – ولا حتى ان تستغيث وحين يتقدم منها انسان يشعر بحالها ويعرض المساعدة .. يقفز من داخلها كل الرعب والخوف والشوق الغامض الذى غرسته السنوات وحياة الجدران الصماء .

« عيناه نظلتان سوداوان كالخنجرين ينفذان الى اعماقى بعنف ، ويحطمان كل قلاعى الوهمية وجسورى المتعفنة يفتحان صندوق ذاكرتى العتيق لتخرج منه آلاف الأساطير والأقزام والحبال المجدولة والوجوه المجدوره وغابات الصنوبر المسوس والشر الأزلى المتمكن من قلب عجوز تسرق الأطفال المتمردين وتطبخهم حساء لزوجها الضبع الذى يتجول فى ليلى ويمضغ شعرى واسنانى وأمعائى ويسكن فى احداق كل الرجال » .

ويستمر الضياع – يقود المرأة القنفذ بعيدا عن وجه من أراد المساعدة – وبعيدا حتى عن الزحام – يتجمد الخوف – ويسكن – فهى لا تملك إلا الانتظار ومن هذا الانتظار يتولد الوعى .

« دعنى انتظر ان يبحثوا هم عنى حيث اضاعونى منذ زمن بعيد » .

ولكن الذين أضاعوها منذ زمن بعيد لم يصلوا .. يمضى الوقت ولا احد .. إلا المرأة القنفذ وصورتها التى تتردد على واجهه الفترينات الزجاجية – فتبدأ فى التحول الى كرة مشرعة الاشواك إلى قنفذ ساكن يبحث عن جدار يستند إليه – ولا جدار إلا من ينتظرهم .

وحين تقترب من هذا الضباب اكثر – يبدأ الضباب فى الانقشاع وتتكشف حقيقته رويدا رويدا ويشف الرمز ويرق ليصبح شعرا .

« كان قويا أو هكذا ظننته . كان صارما حادا متينا أو هكذا اعتدت رؤيته . كان حائطا كالحصن كسور الصين العظيم كاسطورة ليس فيها خرق إبرة ، لذا ، اسندت إليه راسى وجسدى وكلى – لذا اسلمته قلبى وعقلى ومصيرى ، لذا اتخذته دليلى وقدرى وسبيلى » .

ولأول مرة بدا مشروخا كانه مرمم باهمال وبسرعة لا مبالية لكنه مشروخ حتى النخاع ، حتى العظم ، حتى الدم . كان مريضا مهددا ابدا للسقوط وكان وقوفه الثابت كذبة يخفيها وراء نظارته السوداء ووقفته المهيبة . وهو يشد إلى الداخل عضلات كرشه ، ويتخذ وضع القوى المتماسك نفسه ومصيره وكيانه ، لكنه كان مشروخا منهكا يدارى كل ذلك بالأصباغ الزاهية ، والانفعالات الجامحة والدعايات الملصقة على جدرانه .

وعندما اسندت راسى اقتربت منه ، واقتربت منه اكثر ، ورأيته بأم عينى خائرا موجوعا متهالكا مصطنعا . كان الشرخ واضحا مفزعا ، يدعو للغثيان .. كانت الشقوق والحفر مملوءة بالحشرات والبعوض والافاعى السامة ، والخنافس ، والصراصير ، والجرذان ، والحثالة التى اندست فى داخله وشدها الظلام والأصباغ والخارج البديع سترها . إنه لا احد . اهتم بالاقتراب منها اكثر فاكثر لينظر ما وراء هذا (الحائط) المتين » !!

ويمضى صوت هذه الكاتبة الموهوبة ليقترب من هذا الحائط ، وهذه الصورة ، ليكشف الحقيقة بجرأة وشجاعة وليكتب فى كل يوم نضجا فنيا وتمكنا من أصول فن القصة القصيرة واعدا بعطاء خصب غزير ..

عبد الرحمن محسن

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزي

مقتطفات مما كان يقرؤه
منذ ١٠٠ عام جد أبيك



مدينة دمشق فى القرن الثامن عشر ـ لوحة محفوظة فى متحف التقاليد الشعبية بدمشق

عزيزي القارئ

الحديث عن اعادة كتابة التاريخ القومى للعرب ، هو اكثر الاحاديث شيوعا فى تصريحات المسئولين عن الثقافة ، وتعليقات المهتمين بها وتوصيات المؤتمرات والمهرجانات العربية ، المعنية بالتاريخ .. وحتى غير المعنية به !

وهو حديث يتزايد فى السنوات الاخيرة ، حين بدا اعداؤنا ينازعوننا تاريخنا ، وينسبون لانفسهم ما ليس حقهم ، ويسلبون رصيدنا يضيفونه لرصيدهم !

وبرغم تكرار الحديث عن الموضوع ، فاننا لم نكتشف جوهر ازمة اعادة كتابة التاريخ ، وهو ما اكتشفته مجلة « المقتطف » منذ قرن كامل حين طالبت بالاهتمام بفلسفة التاريخ !

« المحرر »

العدد الثاني عشر ـ أغسطس "آب" ١٨٨٢م

فلسفة التاريخ

لجناب الفاضل مستر هارفى بورتو استاذ التاريخ والعقليات بالمدرسة الكلية السورية

علم التاريخ الحقيقى ، وهو الذى يسمونه فلسفة التاريخ ، حديث الوضع بالنسبة إلى التاريخ بالاجمال ، ولم يبلغ من الكمال حتى الآن مبلغ اكثر العلوم وذلك لأسباب شتى عدا عن حداثة عهده .

وان قيل ما تعريف هذا العلم الواسع نقول بوجه الاجمال انه خلاصة التاريخ وجوهره ، ويسهل إدراك ما هيته من اعمال النظر فى غاياته . ويزعم الاكثرون ان غاية التاريخ سرد الحوادث مع مراعاة الصدق والاستقامة . فيقتصر علم التاريخ فى زعمهم على وصف انتشار الممالك وسقوطها وذكر اسماء ملوكها ونسبهم واهم اعمالهم ولا سيما حروبهم وشىء من اخبار من اشتهر من الخاص والعام . على ان هذا التاريخ ناقص الفائدة ، ولا تتم فائدته الا اذا قرنت الحوادث بما يكشف لنا جوهرها وعلاقاتها واسبابها ونتائجها لنفهم معناها واضحا ، والواجب ان تكون الغاية العظمى من درس تاريخ أمة كالرومانيين معرفة الأسباب التى ادت إلى خيرها وافضت إلى ضيرها حتى نجنى المفيد مما افادها ونجتنب المضر مما اضرها .

اما فلسفة التاريخ ، فغايتها اقصى من كل ذلك ، ودائرتها تشمل الحوادث والفوائد باسرها ، وموضوعها يبحث عن جوهر الأمور . فكما ان الفلسفة الطبيعية لا تقتصر على وصف الظواهر الطبيعية ، بل تكتشف جوهرها ، وكما ان كل فلسفة تبحث عن الوحدانية فى الحوادث العديدة وهكذا فلسفة التاريخ تبحث فى تاريخ كل امة عن المعنى الجوهرى الذى يشمل كل حوادث تاريخها ، ويفسرها ويبين وحدانيتها وغايتها القصوى .

إلا ان فلسفة التاريخ لا تقتصر على الجزئى كمعرفة الجوهر فى تاريخ الانكليز او تاريخ غيرهم من الامم ، بل تتجاوزه إلى الكلى ، فتبحث عن غاية تاريخ العالم كله ، وعن المعنى الجوهرى فى ارتقاء الجنس البشرى اجمع . ولا يخفى ما فى هذا البحث من العظمة والصعوبة لاتساع دائرته حتى اختلف العلماء فيه اختلافا عظيما . فذهب قوم منهم الى انه لا يمكن ان يكون فى تاريخ البشر وحدانية ولا ان يكون فى فروعه العديدة اتحاد .

ويبقى على فيلسوف التاريخ ان يبحث عن كشف هذه الغاية فى تواريخ العالم منذ البدء إلى الآن ، وهذا البحث يقتضى له تعميم دقيق ومقابلة واسعة بين الحوادث وعقل ثاقب ، وادراك قوى حتى يؤدى إلى المقصود فلا تعجب من خبط الكثيرين فيه على غير هدى وابتعاد الباحثين منه حتى الآن ، ولا سيما لانه لم يزل حديثا ، ولم يحصل الاتفاق على مبادئه :

ومهما يكن من قصور فلسفة التاريخ فى الكلى فقد حصلت الفوائد الجمة من تواريخ الممالك على حدتها لان هذه التواريخ اقل من تاريخ العالم باسره اتساعا واكثر منه كمالا اذ تاريخ بعض الممالك قد ختم وتاريخ بعضها قد صار فى الكهولة وظهرت الجهة المتجهة اليها .

ومن اعظم الفوائد المشار اليها ظهور اسباب التقدم والتاخر فى حياة الشعوب فصار يمكن للناس مراعاة الأول واجتناب الثانى . ومنها انكشاف حقيقة التمدن ووسائط نموه وحفظه من الزوال فصار يمكن للناس ان يرجوا بقاء تمدن هذا العصر ودوام تقدمه ما دام البشر موجودين بخلاف تمدن الاولين فانه كثيرا ما كان يبلغ درجة سامية فى الارتفاع ثم ينحط وتندرس آثاره . ومنها ارشاد المؤرخين الى منهاج افضل من منهاج الأولين فى تصنيف تواريخهم فانه بعد ما كان كثيرون يروون الروايات ويوردون القصص ولا ينظرون فى صحتها ولا يتحققون مطابقتها للواقع ولا يبنون اسباب الحوادث ونتائجها اضحى مؤرخو عصرنا هذا يتوخون الصدق وتمام الفائدة فى تصانيفهم حتى جاءت كتبهم كالابريز والفضة الممحصة بالنار مرارا . فعلى من رام التاليف فى التاريخ ان يراعى مبادىء فلسفته والسلام .

باب الأسئلة والأجوبة

(●) من بيروت : هل لكم ان تعرفونا معدل سكان بيروت .

الجواب : اننا لم نطلع على احصاء مدقق لسكان بيروت ولا نظن انها احصيت كذلك ولكن بعض المؤلفين قدر عدد سكانها خمسة عشر الفا سنة ١٨٣٨ وثلاثين الفا سنة ١٨٥٣ وما بين ستين وسبعين الفا هذه السنة .

(●) من الشوير : كانوا فى زمان الامير بشير اذا ارادوا ان يعرفوا البالغ من الذى لم يبلغ من الشبان يطوون خيطا من المصيص طاقا على طاق ويقيسون به غلظ رقبته على الحنجرة ثم يضعون طرفى الطاقين بين اسنانه ويفتحون الخيط مما يليهما ويدخلون الراس بينهما فاذا دخل حكموا ببلوغه وادخلوه الجند او اخذوا منه مال الاعناق واذا لم يدخل حكموا بعدم بلوغه واطلقوه وقد امتحنت ذلك فصح فهل له قاعدة عامة صحيحة يرد تعليله اليها .

الجواب : اما صحته فمؤكدة عندنا واما سببه فلم نعثر عليه فى مؤلفات العلماء ومهما كان تعليله فواضح ان بروز الحنجرة وغلظ الرقبة فى البلوغ يزيد عن كبر الجمجمة حتى تصير نسبتهما الى سائر الجسد بعد البلوغ اعظم من نسبته اليه مع كونها قبل البلوغ اصغر منها .

(●) من بيروت : ماذا يعمل لشعر الخيل حتى يتجعد وتحشى به الفرش ونحوها .

الجواب : يفتل حبالا ويسخن بحرارة ضعيفة فتكثر مرونته ثم يحل فيبقى متجعدا .

مطبوعات جديدة

مطبعة سيارة

يستفاد من الأخبار الواردة من (نيواورلن) باميركا ان العصبة القائمة بتحرير جريـــــدة (دمقراط) فى تلك المدينـة قد انشات لها مطبعة سيارة على نهر مسيسي تجاه مدينة منفيس فصارت اذا ارادت الرجوع الى مدينة نيواورلن تعود بلا مشقة ولا انزعاج واذا مرت بمكان يجدر بالوقوف للتفرج او التنزه تقف ما شاءت ولا تجد فى الحالين من مانع لصف الحروف وطبـــع الجريدة باحكام وسرعة وانتظام اما مساحة هذه المطبعة فهى ستون قدما طولا واثنتا عشرة عرضا والقدم تعدل نحو نصف ذراع وفيها غرفة لكل من المحرر والمصحح والمرتب وحجـــرة لدولاب الطبع ومكان للمائـــدة وغرف للنوم ومطبخ واصطبل للخيل يركبها العمال عندمـــا يخرجون الى البر ويتوغلون فى ارض الساحل ترويضا للاجسام وترويحا للارواح .

(التقدم)

أحمد عرابي
انفض زمن التنكيت ودخلنا عصرا جديدا



احمد عرابي

صورة ما كتب من صـــاحب العزة الهمام الفارس المقدم احمد بك عرابي الى ادارة المطبوعات المصرية البهية بشان هـــذه الجريدة .

لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن التنكيت اقتضى تبديل اسم جريدة التنكيت والتبكيت الادبية التهذيبية كما استقر عليه الراى بالممارسة مع حضرة الفاضـل عبد الله افندى نديم محررها ومدير ادارتها باسم (لســان الامة) وان يكون موضوعهـــا سياسيا تهذيبيا للذب عن حقوق الامة والمدافعة عن حقـــوق حكومتها التوفيقية فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الامل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتبارا من عددها التاسع عشر افندم فى ٢٤ ذا سنة ٩٨ مير بياده ٤ .

(نديم) بحمد الله تعـــالى خلصنا من زمن التنكيت واصبحنا فى زمن الحـــرية ومعرفة الحقوق وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريـــدة ومشربها فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة بعد ان كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية وجعلناها تطالب بحقوق الامة وتدافع عن حقوق الحكومة بمعنى انها تقوم بخدمة الامة من حيث الذب عنها ونشر افعـــال الظلمة المخالفين لسير حكومتنا الحرة العادلة وتدافع عن الحكومة من يرميها بسوء من الجرائد الافرنجية او العربية .

وحيث ان الامة صار لها مجلس نواب تعرف به حقوقها كذلك صار لها جريدة تنشر فضائلها وتدفع السنة الاعداء لا نتعرض للمدائح والاهاجي وانما نذكر لكل عامل عمله حسنا كان او قبيحا وهو يشهد لصاحبه او عليه . فنرجو من اخواننا الذين يكاتبوننا فى سائر الجهات ان لا يعتمدوا على اشاعة او ارجاف او خبر ذى غاية بل لابد من الوثوق بالمخبر عنه قبل التحرير حتى تكون الجريدة قذى فى عين الجهلة وشجا فى حلق الظالمين .

أخبار

المجمع الفرنساوي لترقية العـلم فى الجزائر

عقد احتفال هذا المجمع فى الرابع عشر من نيسان الماضى وحضره جمع غفير من العلماء لا يقل عن الف وخمس مئة فخطب الرئيس فى مذهب الجراثيم ومذهب باستور فى الاختمار ثم قرئت اوراق كثيرة فى جغرافية الجزائـــر وجيولوجيتها ومعادنها وسكانهـــا واراضيها وهوائها وتاريخها الطبيعى ولم تقتصر تلك الابحاث على بـــلاد الجزائر بل على كل القسم الشمالى من افريقية . ولهذا المجمع عشر سنوات منذ انشىء وهو مقسوم الى اربعـــة اقسام رياضى وطبيعى وكيمـــاوى واقتصادى وتحتها ستة عشر فرعا وقد افاد الجزائر والعلم فوائد عميمة على حداثته .

الطربوش

لم يصنع البشر لباسا للراس يلبس ايام الحر اقل مناسبة من الطربوش على ما نعلم . فهو دون العمامـة منفعة بل دون الكفية والعقال اللذين ينعم بهما عرب البادية بل دون القصعة التى يلبسها الصينيون . على اننا عبيـــد العوائد نفضل الزي على الصـــحة ونتباهى بالطربوش وذنبه ولو جاء بكل الضرر .

شرب الماء البارد

مما يجـب الحذر منه ايام الحـــر الشديد شرب كمية كبيرة من الماء البارد او المبرد بالثلج دفعة واحدة . واذا غسل الانسان صدغيه بماء بارد قلت حرارة جسده كما لو شرب ماء باردا وليس للغسل نتائج مضرة مثل نتائج الشرب .

مخلوق الفضاء .. وهو يحاول ان يلمس باصبعه وجه الصبي .. ليتعرف عليه اكثر.



مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا

بقلم : رؤوف توفيق

فيلم جديد للمخرج الشاب الذى حطم كل الأرقام القياسية فى الايرادات .. ومحاولة لفهم هذه الظاهرة الفريدة ؟

فى اليوم الأخير لمهرجان «كان» السينمائى لهذا العام ، احتفلوا بنهاية المهرجان ، بعرض فيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) للمخرج الامريكى الشاب (ستيفن سبيلبرج) .

كان هذا اول عرض عالمى للفيلم .. بعد أن انتهى المخرج من العمل فيه قبل موعد المهرجان بايام قليلة !!

ومن هنا .. كان هذا العرض .. اول اختبار حقيقى للفيلم .. وهو اختبار قاس لا مجاملة فيه .. حيث ان من بين شهوده حوالى خمسة الاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم !

وفى نهاية العرض .. ضجت القاعة الكبرى للمهرجان بتصفيق حار ومتواصل .. وقد كان هذا الترحيب الشديد ، شهادة ميلاد واعلان واضح بنجاح الفيلم .. وفى نفس الوقت ، تاكيد جديد بعبقرية هذا المخرج الأمريكى الذى لم يتجاوز عمره ٣٤ عاما .. ولكنه فى كل فيلم يخرجه ، يحطم رقما قياسيا فى الايرادات !

الاطفال الثلاثة فى الفيلم يتابعون بانبهار شديد لحظة هبوط سفينة الفضاء على الارض .



الصبى فى لقطة من بداية الفيلم .. وهو يحاول اكتشاف مكان اختباء مخلوق الفضاء .

فمازال عشاق السينما فى العالم يتحدثون عن فيلمه الاخير «غزاة القوس المفقود» الذى استطاع خلال الستة شهور الاولى من عرضه ان يحقق ارباحا وصلت الى ٣١٠ مليون دولار .. وفى نفس الوقت دخل الفيلم ترشيحات «الاوسكار» الاخيرة لثمان جوائز فى فروع الفيلم المختلفة !

وهو نفس المخرج الذى قدم من قبل فيلم «الفك المفترس» والذى حقق صدمة المفاجاة عند جمهور المشاهدين ، وابتلع الفيلم كل الارقام القياسية السابقة فى الايرادات .. ليسجل رقما مذهلا فى تاريخ صناعة السينما .. حيث حقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٤١٠ مليون دولار !!

وهو نفس المخرج الذى دخل موجة افلام الخيال العلمى والفضاء .. فقدم رؤية خاصة لسكان الكواكب الخارجية فى زياراتهم للارض عن طريق الاطباق الطائرة .. فى فيلم «لقاءات قريبة مع الجنس الثالث» .. حيث تعامل المخرج مع الخيال العلمى والمشاعر الانسانية فى مزج رائع وحب شديد .. ولم يستغل ظاهرة الاهتمام عند الشباب والمراهقين ، فى امريكا واوربا ، باسرار الفضاء .. ليقدم لهم ملهاة مثيرة بالتكنولوجيا الامريكية .. ولكنه اعطى لموضوعه بعدا انسانيا .. وقدم سكان الفضاء فى زياراتهم للارض داخل معزوفة موسيقية خلابة ومهيبة .. وكانه يريد ان يحطم الصورة التى حاول ان يرسمها بعض المخرجين ، الذين تناولوا نفس الموضوع واظهروا سكان الفضاء كمجموعة من المخلوقات الغريبة تحمل اسلحة مدمرة ومرعبة .. وانهم فى النهاية ليسوا إلا غزاة لا يعرفون لغة للتفاهم سوى العنف والشر .. وجاء ذلك المخرج العبقرى ليقول من خلال فيلمه (لقاءات قريبة مع الجنس الثالث) ان سكان الفضاء ليسوا من الاشرار .. وانهم لا يريدون سوى التعارف .. وانه من الممكن التفاهم معهم بلغة الموسيقى .. فهى اللغة التى لا تعرف الفروق فى مفردات الكلمات .. ولكنها لغة المشاعر العالمية .

واستطاع الفيلم ان يلوى التفكير السائد عند المتهمين بموضوع الفضاء .. وحقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٢٥٠ مليون دولار !

ويعود نفس المخرج .. الى نفس الموضوع فى فيلمه الجديد (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الارض) ليقدم فصلا جديدا من الخيال العلمى ، يحكى فيه عن علاقة صداقة تنشا بين مخلوق فضاء ، وطفل صغير .. وتتطور هذه الصداقة الى نوع من الارتباط الحميم ، وليصبح مخلوق الفضاء فردا محبوبا بين كل الاطفال فى هذه القرية الامريكية التى تدور فيها احداث الفيلم .. حيث ينضم كل الاطفال للدفاع عنه ، ومحاولة إسعاده بشتى الطرق !

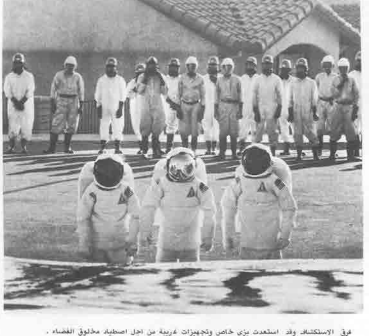
● اعتراف شخصي

واعترف اننى حضرت العرض الاول لهذا الفيلم فى مهرجان «كان» باحساس مسبق باننى ساشاهد حكاية اخرى من حكايات مخلوقات الفضاء .. وهذه الحكايات لا تشغلنى ، ولا تهمنى .. ولا تثير فى داخلى اى نوع من التعاطف .. لانى اتعامل معها بعقل بارد يعرف تماما ان ما اراه امامى ما هو إلا خدعة سينمائية يتبارى لتنفيذها مجموعة من الخبراء عندهم البراعة والقدرة على



مخلوق الفضاء

الذي صفقوا له طويلا



فرق الاستكشاف وقد استعدت بزي خاص وتجهيزات غريبة من اجل اصطياد مخلوق الفضاء .

التحكم فى الالات ، والازرار .. بالاضافة الى ان حكايات الفضاء نوع من الرفاهية الذهنية لا يحتملها عقل متفرج مثلى جاء من ارض ملتهبة بالمشاكل والهموم ، ويعيش حياته اليومية فى صراع مستمر لكى يحصل على حقه ، ويدافع عن بقائه .. ولا يتبقى له فى النهاية ، اى جهد ، أو اى رغبة ، فى ان يرفع راسه الى السماء ليفكر فيما بين النجوم والكواكب .. أو ما هو شكل المخلوقات التى تعيش عليها .. او متى يتم اللقاء بينى وبينها وكيف يكون شكل هذا اللقاء ؟!

لست رائق البال الى هذه الدرجة .. وحتى اذا كانت هذه الافكار عن الفضاء ، مجرد «هلوسة» .. فاننى لا استطيع ان ابوح بها لاحد ممن يعانون مثلى .. وإلا طاردتنى سخريتهم وشكوكهم باتى فقدت عقلى ..

قد يكون هذا ضريبة الواقع لصعب الذى نعيشه .. وربما اطلقنا عليه مسميات مثل التخلف .. و .. الجهل .. و ..

ولكنه فى النهاية .. هو الواقع الذى لا مفر منه !

● المفاجأة عند العرض

ولهذا جلست اتابع هذا الفيلم من باب التسلية فقط .. وقد اقنعت نفسى بانه لا مانع من الترفيه قليلا ، بعد ارهاق المتابعة اليومية المرهقة لعشرات الافلام على مدى اسبوعين من المهرجان .. لا مانع من اجازة قصيرة لا افكر فيها .. ولكن ماحدث لى اثناء الفيلم ، كان مفاجأة مذهلة .. مازلت حتى الآن لا اصدق كيف حدثت ؟!

وجدت نفسى مشدودا تماما للاحداث .. افرح وابكى كطفل صغير .. اتابع هذا المخلوق الغريب من الفضاء ، وكاننى اعرفه منذ زمن طويل .. اقلق عليه عندما يتعرض لمشكلة .. وانتعش بسعادة عندما يتخلص من المازق !

ولما انتهى الفيلم كان وجهى مبللا بالدموع .. وحاولت بسرعة أن اتخلص من هذا المنظر .. ولكنى فوجئت بان من حولى ــ رجالا ونساء من جنسيات مختلفة ــ يواجهون نفس الحالة .. الدموع فى عيونهم .. وايديهم تهتز بتصفيق متواصل !

واسرعت الى قاعة المؤتمرات الصحفية ، حيث حضر المخرج «ستيفن سبيلبرج» مع بعض اعضاء فيلمه .. ودارت اسئلة كثيرة حول الفيلم .. ولكنى لم استطع ان امنع نفسى من تامل هذا المخرج الذى وضعنى فى هذه الحالة .. كيف استطاع ان يستحوذ على مشاعرى .. ويقلب تفكيرى .. ويجعلنى اتعاطف مع خدعه ؟!!

هل هو نوع من البراعة والدقة الفنية ؟

ام انه قوة التاثير فى مخاطبة المشاعر ؟!

وما حيرنى .. كيف يواصل هذا المخرج الشاب ــ الذى لم يتجاوز ٣٤ عاما ــ نجاحه بهذه القفزات السريعة الواثقة .. ما ان يضع يده فى عمل ، حتى يتحول الى ذهب .. حتى كادت ايرادات افلامه تفوق ميزانية دولة باكملها !!

انها ليست بالتاكيد مسالة حظ .. ولكنها نوع من العبقرية الفنية التى لا تتكرر كثيرا .. عبقرية العثور على موضوع وتقديمه فى شكل متميز يؤثر على ملايين الأشخاص فى اى مكان فى العالم .. مهما اختلفت مشاكلهم وهمومهم وافكارهم ! .

● قصة الفيلم

وفيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) .. او كما اختصروا هذا العنوان الطويل الى حرفين فقط E.T. تبدا احداثه فى احدى الليالى الصيفية بقرية امريكية تحيط بها الغابات الكثيفة .. السماء صافية مرصعة بالنجوم ..

فى هذه الليلة .. يهبط من بين نجوم السماء ، شيء ما صغير الحجم ، يشبه سفينة فضاء .. وتستقر السفينة فوق احد التلال القريبة من تلك القرية .. ومن بين الظلام ، تبدو اضواء السفينة وكانها حلقة دائرية من الشعاع .

يفتح باب السفينة .. وينهمر منها مجموعة من الكائنات الحية الغير عادية .

فى هواء الليل الرطب ، وبين الضباب .. يظهر افراد طاقم السفينة كل منهم يمسك فى يده بالة صغيرة يستكشف بها موضع قدمه على الأرض .. يتحركون فى حرص وحذر خوفا من اللحظة الخطرة التى قد يكتشف فيها احد من سكان الارض ، وجودهم ..

واثناء تجوالهم فى نطاق ضوء السفينة .. كان احدهم قد سرح بعيدا عن المنطقة التى هبطوا فيها .. اختفى بين الأعشاب الطويلة على اطراف الغابة .. واثناء تجواله يمر بشعاع احد الأضواء الكاشفة ، فيظهر خياله على الأعشاب .. ويبهره هذا المنظر ويواصل السير مستغرقا تماما فى اكتشاف المكان .. حتى يبعد كثيرا عن زملائه والسفينة التى حملته الى هنا ..

ولكنه لا يدرك هذه المسالة .. ويواصل السير حتى يصل الى حافة ارض منحدرة .. حيث تظهر امامه اضواء متلالئة منتشرة فى وسط الخضرة .. وكان هذا أول ما يراه من حضارة الانسان .. ومن بين مساكن



الطفلة الصغيرة التى تعاملت مع مخلوق الفضاء وكانه لعبة مثيرة .. تحاول أن تسعده بكلبها وملابسها المزركشة .

الضواحى .. وحياة المراعى .. وفجاة ينطلق صوت مدو .. انه صوت موتور احد الموتوسيكلات التى يستخدمها شباب هذه القرية .. ولايدرى هذا المخلوق الغير عادى .. كيف يتصرف .. يصاب بالذعر والارتباك .. ويبحث عن مخبا .. وفى مخبئه بين الأشجار يرى عددا من الآدميين يركبون الدراجات البخارية ذات الصوت العالى .. ويتفرقون فى نواح كثيرة ..

فى ذلك الوقت كان زملاؤه من سفينة الفضاء .. قد فقدوا الأمل فى عودته .. واحسوا بالخطر .. فاستعدوا بسرعة للعودة من حيث اتوا .. وترتفع سفينة الفضاء فى ظلام الليل مرة اخرى .

ويكتشف المخلوق الغير عادى .. أن زملائه قد رحلوا .. والسفينة طارت .. ويصاب بالرعب والذهول .. يبحث عن مكان ياويه ..

إنه E.T. .. وحيدا تماما .. على بعد ثلاثة مليون سنة ضوئية من منزله .. مذعور .. خائف .. كسلحفاة فقدت درعها الواقى .. يقفز بين أعشاب الغابة ، كضفدع ضعيف .. يبحث عن مخبا .. حتى يصل الى مخزن مهجور قريب من احد المنازل ..

فى هذا الكوخ يعيش ثلاثة اطفال مع امهم .. بعد ان هجرهم ابوهم إلى المكسيك حيث تعرف على امراة اخرى ويعيش معها .. ويحاول الأطفال مع امهم ان يتماسكوا كعائلة صغيرة ، وأن يتحملوا غياب الأب .. وتفرغ الام كل حنانها على اطفالها حتى لا يشعروا بالحرمان من الاب .. وتحتمل هى المأساة فى صمت وشجاعة .. ولا تخونها دموعها إلا عندما يتحداها احد اطفالها بعناده واصراره بالسؤال متى يعود الأب .. ولو كان الاب موجودا لتغيرت الاحوال وتحقق لهم كل مايريدون !

إنها نموذج لعائلة امريكية عادية .. تعانى من مشكلة لها صدى فى كثير من البيوت الأمريكية .. او غيرها فى اي مكان بالعالم .

● الأطفال .. وهذا المخلوق الغريب

وبذكاء شديد يربط المخرج بين هذه العائلة .. وهذا المخلوق الغير عادى .. ويأتى الربط من خلال الابن الصغير ذي العشرة اعوام .. الذى يشعر بحركة غير مالوفة فى المخزن المهجور بالقرب من منزلهم .. وبفضول شديد يحاول اكتشاف سر هذه الحركة والتى تبعها صوت ارتطام بأحد الصفائح الفارغة .. ويتسلل فى هدوء وحذر الى داخل المخزن .. وفى ظلام الليل لا يرى شيئا .. ولكنه عندما ينظر تحت قدميه .. يرى اثار بصمات لاقدام غريبة .. ويتتبع هذه الاثار .. حتى يفاجا امامه بهذا المخلوق الغير عادى .. ويطلق الصبى صرخة فزع مكتومة .. ويذعر المخلوق الغير عادى بما حدث .. فيطلق هو الاخر صرخة متحشرجة .. وتطل من عينيه الدائرتين نظرات خوف وترقب .. ولكن اصرار الصبى الصغير على تحديد ماهية هذا الشىء المتحرك الذى يراه امامه .. يجعله يتوقف طويلا محاولا اكتشافه .. وتمضى اللحظات بطيئة .. ويشعر المخلوق الغير عادى .. ببعض الامان .. فيهز له عنقه الطويلة ، وكانه يستعطفه الا يؤذيه .. ويسمع الصبى صوت امه تبحث عنه .. فيسرع باغلاق باب المخزن على المخلوق الغير عادى .. ويرجع مسرعاً الى منزله وقد احس انه مقبل على مغامرة مثيرة ! .

فى صباح اليوم التالى .. يدعى الصبى المرض .. حتى تعفيه والدته من الذهاب الى المدرسة .. وما ان يخلو البيت له .. حتى يهرع الى المخزن ليدعو هذا المخلوق الغريب الى حجرته .. انه يعامله كطفل فى مثل عمره .. يحاول ان يشرح له محتويات الحجرة .. ومتعلقاته الشخصية من لعب وملابس .. وقد زال الخوف منه تماما .. اما المخلوق الغريب فقد تحول هو الآخر الى مستمع يقظ منتبها تماما الى تصرفات الصبى .. مندمجاً فى هذا العالم الجديد بلا قلق او خوف ..

ويركز الفيلم بعد ذلك على هذه العلاقة التى نشأت بين الصبى وهذا المخلوق الغريب .. ان كلا منهما يحتاج للآخر .. وكلا منهما يشعر بمشاعر الآخر .. بل يحدث نوع خاص وفريد من الاتصال والتوحد النفسى ، فعندما يتعود هذا المخلوق الغريب على المنزل ويعرف محتوياته .. يدخل الى المطبخ ويفتح الثلاجة ليشرب علبة من المياه الغازية .. وحينما يتجشا .. نرى الصبى فى مدرسته فى تلك اللحظة يتجشا هو الاخر .. وعندما يتمادى المخلوق الغريب فى العبث بمحتويات الثلاجة ويشرب علبة من البيرة .. نجده يتمايل حتى يفقد توازنه ويسقط على الأرض .. فى نفس اللحظة التى يمر بها الصبى فى مدرسته بنفس الاحاسيس .. يفقد توازنه هو الاخر .. وتزوغ عيناه .. ويسقط مغشيا عليه .

ولا يستطيع الصبى أن يكتم خبر هذا الضيف الغريب الذى يخبئه فى غرفته .. إذ يبوح بالسر لشقيقته الصغيرة .. التى تفاجا فى البداية ثم تتعود عليه وتلاعبه كما تلاعب كلبها .. ويعرف الأخ الأكبر ايضا بالموضوع .. ويتفق الثلاثة على كتمان الخبر عن امهم حتى لا تلجا الى البوليس لابلاغه بما حدث .

ومن خلال المواقف والتفاصيل الصغيرة .. يضعنا المخرج فى عالم هؤلاء الأطفال .. وياخذنا فى براعة شديدة لنتقبل نحن ايضاً كمشاهدين هذا المخلوق الصغير الحجم ، الغريب الشكل .. إنه مخلوق عاجز .. منفصل تماما عن عائلته .. ويعيش تجربة مثيرة .. ولا يمكن إلا وان تتعاطف معه .. وهو يحاول النطق بكلمات انجليزية .. ومدى الفرحة



مخلوق الفضاء

الذي صفقوا له طويلا



اهالي القرية يتابعون رحلة صعود سفينة الفضاء .. ويودعون المخلوق الغريب الذى عاش بينهم .



المخرج الامريكي - ستيفن سبيلبرج - يعطي ملاحظاتــه للصبي الموهوب - هنري توماس - بطل الفيلم

التى عمت الأطفال عندما اكتشفوا انه يستطيع ان يتكلم مثلهم .. انهم يدللونه .. ويخدمونه .. ويخافون عليه .. ويلعبون معه .. يلبسونه ثيابهم .. ويشاهد معهم التلفزيون .. ويتعلم كيف يمسك بالتليفون .. ويدق الارقام .. لقد اصبح واحدا منهم ..

كل هذا يحدث .. والام لا تشعر بوجوده .. فتكتل الاطفال وحرصهم على هذا المخلوق الغريب يدفعهم دائما لحمايته .. وفى احدى المرات عندماتسمع الام صوتا غريبا .. تسرع بتفتيش البيت .. وفتح دواليب الملابس .. ولا تكتشف وجود هذا المخلوق الغريب .. الذى كان الاطفال قد خبـاوه بين لعبهم فبدا كانه احدى هذه اللعب !

● البيت .. البيت !

ولا تملك كمشاهد طوال تلك اللحظات .. سوى الضحك والدهشة من تصاريف الاطفال وخفة ظلهم .. وفى نفس الوقت الاحساس بالقلق على هذا المخلوق العجيب ـ بعد ان تعودت على شكله الغريب ـ وحنينه الجارف للعودة الى اهله وبيته .. انه يردد دائما كلمة «البيت» .

ويحاول الصبى الصغير ان يصنع وسيلة اتصال بالعالم الخارجى ، لكى يستطيع ذلك المخلوق ان ينادى اهله .. ومن خلال بعض الادوات المهملة هنا وهناك يجمع الصبى الة كان قد شاهد نموذجا لها فى كتاب وبرامج للتليفزيون .. وينصب تلك الالة على احد التلال المحيطة بالمنزل . وبجواره ذلك المخلوق العجيب ينتظر فى قلق وشوق ان تعمل الالة لكى ينادى اهله ..

لقد استطاع هذا الصبى بادراكه ان يفهم ان هذا المخلوق يجب ان يعود لاهله .. فهذا شيء حيوى جداً بالنسبة له .. وإلا مات اذا استمر موجودا على الأرض .

وفى نفس الوقت يشعر ذلك المخلوق العجيب بمشكلة ذلك الصبى المحروم من الاب ومعاناة الام من خيانة الزوج وفراقه لها ..

● القرية تطارد هذا المخلوق

وعندما يفشل الاتصال بالعالم الخارجى .. يشعر المخلوق الغريب باليأس والحزن ..

ويمرض .. فى نفس الوقت الذى تواصل فيه فرق الاستكشاف فى القرية تتبع اثار بصمات المخلوق الغريب اثناء تجواله فى المنطقة ..

ويصور المخرج فرق الاستكشاف وكانها فرق الشر التى تحاصر هذا المخلوق .. وتحاصر ايضا هذه العلاقة الحميمة بين الاطفال .

إن فرق الاستكشـاف تتحرك فى عنف وفى ايقاع ينذر بالعنف .. وعندماتصل هذه الفرق الى المنزل المخبا فيه هذا المخلوق وقد تملكه

الضعف والمرض .. تفاجأ بعربة اسعاف مجهزة باحدث الاجهزة .. وغرف عمليات .. وفريق من الاطباء .. والات معقدة تتبع نبض المخلوق الغريب .. وحركة دائبة وسريعة للسيطرة عليه وابقائه حيا للاستفادة منه فى ابحاثهم العلمية ..

فى تلك اللحظات .. يمرض الصبي .. ويمر بنفس المرحلة التى يمر بها المخلوق العجيب .. إنه التواصل النفسي !

وعندما يسترد المخلوق العجيب ، وعيه .. ويفتح عينيه .. يحدث نفس الشيء بالنسبة للصبي .. ويسرع إليه ليختطفه بمساعدة اخوته واصدقائهما من الصبيان الذين ينطلقون به بدراجاتهم البخارية فى تشكيل رائع ..

وكان هؤلاء الاطفال الصبية والاطفال يدافعون عن انفسهم .. وعن حلمهم ..

ويبرع المخرج فى تاكيد هذا المعنى من خلال هذه المطاردة التى لا ينهيها سوى وصول سفينة الفضـاء مرة اخرى .. لقد جاءت هذه المرة لتعيد هذا المخلوق إلى عالمه ..

وفى مشهد النهاية يودع الصبي هذا

● المخرج يتحدث عن الاطفال

ولكي يعطي المخرج لمسة واقعية لهذه الحدوتة الخرافية .. تعمد ان يختار الاطفال الذين يلعبون الشخصيات الرئيسية فى الفيلم .. من بين وجوه جديدة لم يسبق لها التمثيل فى السينما او التليفزيون .

وكانت أصعب مهمة .. هي اختيار من يقوم بدور الصبي الذى تنشا بينه وبين هذا المخلوق الفضائي . علاقة الصداقة والارتباط .. فقد أجريت اختبارات لآلاف الاطفال من سكان الضواحي فى امريكا .. حتى يكون الصبي على دراية تامة باحاسيس ومشاعر الدور المرسوم في الفيلم .. وهكذا وقع الاختيار على الصبي « هنرى توماس » .

ويقول المخرج « سبيلبرج » :

– « لقد تعلمت خلال تعاملي مع هؤلاء الأطفال فى ذلك الفيلم .. احترام ذكائهم وحكمتهم .. إنني لم احتج لتبسيط اسلوبي او شرح معنى ما اقول .. فعندما ابدا فى الشرح او التبسيط اشعر بتفاهة ما اقول .. إن جيلي وجيل آبائي لا يقارنوا ابدا بهذا الجيل .. إن ذلك مثل الليل والنهار .. وهو شيء مدهش ومذهل .. فان اطفال العاشرة من هذا الجيل لديهم ادراك واسع يفوق مداركي عندما كنت فى السادسة عشرة من عمري .. وهي قفزة هائلة بين الاجيال » . !

● دعوة إلى الأحلام

ويطلق بعض النقـــاد على المخـــرج « سبيلبرج » انه المخرج الشاب الذى يعرف كيف يعبر عن احلام الشباب .. ويقدم لهم ما يفكرون فيه ..

اما المخرج فهو يقول عن نفسه « بيني وبين التليفزيون ثار قديم ، فقد تسلل التليفزيون إلى غرف الأطفال .. وأصبح التليفزيون لعبة .. وتحولت اللعبة إلى إدمان ..والادمان هو عنف وإرهاب .. ورعب .. من خلال اطنان الافلام الرديئة التى يعرضها التليفزيون .. ولهذا فانى اريد ان أخرج الأطفال من غرفهم ليذهبوا إلى السينما .. ويروا شيئا جديدا ومختلفا .. يداعب افكارهم ويدعوهم لاستعادة براءتهم وانسانيتهم واحلامهم مهما كانت غريبة » !!

وهكذا كان هذا الفيلم نوعا من الاحلام .. احلام الصغار والكبار معا .. نحو عالم يقوم على الحب والمشاركة ...

« رءوف توفيق »



المخرج « سبيلبرج » مع مخلوق الفضاء الذى صنعوا نموذجا له فى الاستوديــو .



فرق الاستكشاف وسيارات البوليس والاسعاف تحاصر المنزل الذى يستضيف مخلوق الفضـــاء .

الصديق الذى احبه وارتبط به .. تغالبه الدموع .. وهو يطلب منه ان يبقى معهم ..

بينما المخلوق الغريب يردد بعض الكلمات التى عرفها .. واجاد نطقها .. واهمها « المنزل » .

إنه سيعود إلى منزله ...

ويستسلم الطفل امام هذا المنطق .

فكل منا يجب ان يعود إلى منزله .. وإلى حنان الاهل ..

وتصعد سفينة الفضاء .. لتنهي هذه الحكاية المثيرة ..

● حكاية الثمانينات

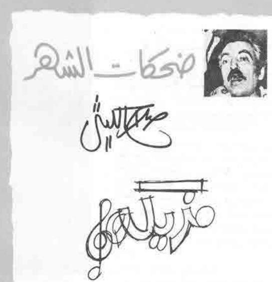
وقد اطلقوا على هذا الفيلم .. انه حكاية الثمانينات ..

ولا أرى انهم يبالغون فى هذا الوصف .. فانني اعتقد ان هذا المخلوق الغريـــب (E.T) .. سيصبح خلال الشهور القليلة القادمة .. من أهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. ولعب الاطفال .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة .

لقد صنع الفيلم وهما جميلا .. ولا يمكن للمؤسسات الامريكية ان تترك هذه الفرصة دون أن تستغلها أقصى استغلال ..

وقد تحدد موعد عرض هذا الفيلـم عالميا فى سبتمبر القادم ..

ويتوقع خبراء السينما .. ان تفوق إيرادات الفيلم .. كل الارقام القياسية فى تاريخ السينما الامريكية ...





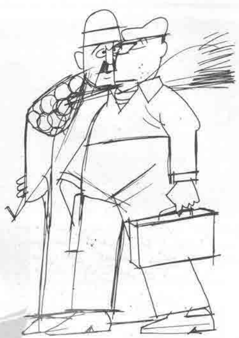
ـ بتنفخ ليه ..؟؟



ـ .. شوبان
ـ .. ما بان .. شي !!



ـ تسمح غطا الحلة ... عاوزين نكمل الطبيخ ... !!



ـ .. وانت « عازف » ... ولا متجوز ... !!



ـ عاوز انام .. غني فى سرك ... !!

مايسترو ـ .. الصف الثاني .. تالت واحد على اليمين .. عندك لوز .. !!

